محمود شلبي

حياة سليمان

دار الجيل
بيروت - لبنان

حياة سليمان

الاهـــداء

اللهـــم ... منـــك ... وإليـــك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَـدِّمَة

يا رب ... لك الحمد ... ملء السماوات ... وملء الأرض ... وملء ما شئت من شيء بعد ... أهل الثناء والمجد ... أحق ما قال العبد ... وكلنا لك عبد ...

والصلاة والسلام على إمام النبيين ... وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وسلام على المرسلين ... والحمد لله رب العالمين ...

وبعد ...

سليمان ... بن داوود ؟!

لئن كان داوود نبياً عظيماً كريماً ... « **ولقد آتينا داوود منا فضلاً** » !..

فإن سليمان ... ورث كل أولئك عن أبيه ... « **وورث سليمان داوود** » ...

ثم زاده الله ... فوق ذلك كله ... مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ...
« **وهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** » ...

فكيف يكون سليمان ... ذلك الذي جُمع له مجد أبيه داوود ... ثم زاده الله فضلاً على فضل ... ومُلكاً فوق مُلك ... وعلماً بعد علم ؟!.

ذلكم سليمان ...

وذلكم موضوع هذا الكتاب ؟!.

١٤٠٠ هـ

١٩٨٠ م

محمود شلبي

ووهبنا ... لداوود ...

سليمان ؟!...

كما وقع . . .

الاختيار . . . على يوسف . . . من دون إخوته جميعاً . . .

وقع الاختيار . . . على سُليمان . . . من دون اخوته جميعاً . . .

وكما كان يوسف أصغر إخوته . . .

كان سليمان من أصغر اخوته كذلك !..

هنالك في يوسف :

«يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين»،

ففهمها يعقوب . . . وأدرك لفوره . . . أن هـــذا الطفل . . . قد وقع عليه الاختيار . . . من بين إخوته الكبار . . .

فنظر إلى الطفل الجميل . . . ولاطفه في حنان وامتنان :

« يا بُنيّ لا تقصص رُءياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين » .

ونظر الطفل الرائع إلى أبيه . . . كأنه لا يدري ؟!

فقال الأب :

« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث .

« ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمهـــا على أبَوَيك من قبل ابراهيم وإسحاق . . . »

لقد وقع الاختيار على يوسف « **وربك يخلق ما يشاء ويختار** » !..

وها هنا ... في سليمان ...

نفس الناموس ... ولن تجد لسُنة الله تبديلا ...

« **ووهبنا لداوود سليمان** » !..

كان سليمان طفلا ... وكان له إخوة يكبرونه سنا ...

ولكن النبوة ... لا تكون للأكبر سناً ... ولا للأكثر مالاً وولداً ... ولا للأكثر حظوة عند الناس ... وإنما هي شيء عظيم ... يهبه الله لمن يشاء من عباده « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » ...

فكان سليمان ... هو الهبة التي وهبها الله لداوود ...

هو المنة التي امتن الله بها على داوود ...

كما كان يوسف ... هو المنة التي امتن الله على يعقوب ...

ان لداوود كثيراً من الأولاد الذكور ... قيل انه مات عن تسعة عشر من الذكور ...

ولكن أحـــداً منهم ... لم يسجله الله في سجل الشرف بقوله « ووهبنا لداوود » ...

وإنما « سليمان » هو النعمة ... وهو المنة ... وهو الهبة ... وهو الهدية...

فسجل الله ذلك .. اشارة الى عظيم ما وهب لداوود... فقال : « **ووهبنا لداوود سليمان** » !..

أما سائر أولاد داوود ... فليسوا من مرتبة سليمان ...

إن تمام الحقيقة الداوودية ... في تمام الحقيقة السليمانية ...

وكمال الشخصية الداوودية ... في ظهور الشخصية السليمانية .

كما كان تمام الحقيقة اليعقوبية ... في ظهور الحقيقة اليوسفية ...
تجد الإشارة إلى ذلك في قوله عزّ من قائل :

« ويتم نعمته عليك .
وعلى آل يعقوب كما اتمها على أبويك من قبل ابراهيم وإسحاق » .

ثم ماذا ؟!
انظر **« ووهبنا لداوود سليمان .**
« نعم العبد إنّه أوّاب » !..
نعم العبد ... داوود ... انه أوّاب ...
ونعم العبد ... سليمان ... انه أوّاب !..
ووقع الثناء ... على الوالد والولد ...
إشارة إلى أن تمام داوود ... في ظهور سليمان ...
كما أن تمام سليمان ... كان في ظهور داوود !..
وحين يقول سبحانه ... عن عبد **« نعم العبد »** !..
فقد اجتمع له النعيم والإنعام كله ...

« واوتينا من كل شيء » !..
وهكذا كما رأيت ...
حين أراد أن يتم نعمته على ابراهيم ... وهب له اسماعيل وإسحاق ...

« الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحـــاق إن ربي لسميع الدعاء » .

وحين أراد أن يتم نعمته على زكريا ... وهب له يحيى ...

« فهَبْ لي من لدنك وليًّا » ...

وحين أراد أن يتم نعمته على يعقوب ... وهب له يوسف ...

وحين أراد أن يتم نعمته على داوود ... وهب له سليمان ...

« ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب »

ناموس مطرد ... متكرر ...

وسُنة من سُنن الله ...

فتأمّل ... وتفكّر !..

ففهّمْناها ... سُليمان ...؟!

الفطنة ...

أو الذكاء ...

أو العبقرية ...

أو الإدراك السريع للأمور ...

شرط يتحتم توافره فيمن يقع عليه اختيار الله لعبد من عباده ... ليكون نبياً ... أو رسولاً ...

ذلك أن النبي أو الرســـول ... يبعثه الله ... ليرفع مستوى البشر إلى أفق أعلى ...

فيتحتم أن تكون صفاته ... أعلى ... وأزكى ... وأرقى ... وأسمى ... من صفات الذين يُبعث اليهم نبياً أو رسولاً ...

ومن تلك الصفات العليا ... صفة الفطانة ... أو سرعة الفهم للأمور ...

ولننظر الآن كيف تلألأت تلك الصفة ... من سليمان ... صبيّاً !..

« وداوودَ وسليمانَ إذ يحكمان في الحرْث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنّا لحكمهم شاهدين .

« ففهّمناها سليمانَ وكلاً آتينا حُكماً وعلماً وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطيرَ وكنّا فاعلين » .

ما هي هذه القصة الجميلة ؟!.

وما هو هـــذا الحُـكم العظيم . الذي شرفه الله ... بشهوده « وكنّا لحُـكمهم شاهدين » ؟!.

الله ؟!.

الذي ليس كمثله شيء ... يشهد هذا الحُـكم ؟!.

فما هو هذا الحُـكم العظيم ؟!.

« **وداوود** » واذكر قصة النبي الملك داوود ...

« **وسليمان** » واذكر سليمان ... إذ كان صبياً في الحادية عشرة من عمره ... وقد أجلسه أبوه الملك داوود في مجلس القضـــاء ... ليتمرن على أعمال الحُـكم والمُـلك ...

اذكر داوود ... واذكر سليمان ابنه ...

« **إذ يحكمان** » إذ أصدر داوود حُـكماً ... فنقضه سليمان ... وأصدر حُـكماً آخر ... غير حُكم أبيه ...

« **في الحرث** » في الزرع ...

وكانت القصة ... أو القضية التي عُرضت عليهما ...

« **اذ نفشت فيه غنم القوم** » إذ رعت فيه ليلاً بلا راع ... أغنام القوم ...

أتى خصمان ... قال أحدهما : ان زرعاً لي قد آتى ثمـــره ... ودنت قطافه ... وصار بهجة للناظرين ... وفجأة انتشرت فيه غنم خصمي هذا ... ولم يردها رادّ ... ويحكم وثاقها راعٍ ... وانسابت في الزرع ليلاً ... فأهلكته وأبادته حتى صارا أثراً بعد عين !..

قال صاحب الزرع ما قال ، ولم يبطل صاحب الغـــنم ادعاءه بحجة أو دليل ...

فثبتت عليه التهمة ... وحقت عليه كلمة القضاء ...

هذه هي القضية ...

« **وكنّا لحُكمهم شاهدين** » حاضرين ... نسمع ونرى ...

فماذا كان حُكم داوود ... النبي المَلك ؟!.

حكم داوود ... لصاحب الزرع ... بالغنم ... يأخذها خالصة له تعويضاً عن زرعه ... وجزاء إهمال أصحابها الذين تركوها فنفشت في الزرع ليلاً ... وانتشرت فيه حتى أهلكته وأتت عليه ...

« **ففهّمناها سليمان** » فأوحينا الى الصبي سليمان ... وفهمنـــاه الحق من القضية ...

فقال سليمان : غير هذا أرْفَق ... ودون هذا أوفق !..

فدهش القوم لجراءة الغلام ...

وانتظروا صامتين ما وراءه !..

فقال سليمان :

« تُدفع الغنم إلى أهل الحرث ، ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها .

« وتُسلم الأرض إلى أصحاب الغنم يقومون على زراعتها ، حـــتى تعود كما كانت .

« ثم يترادّان ، فيأخذ كلّ ما كان تحت يمينه .

« وبذلك لا يكون هناك غُنم ولا غُرْم .

« فهذا أقرب إلى العدل ، وأصحّ في الحُكم ، وأولى في القضاء » !..

هذا هو حُكم سليمان في القضية ...

وقضى ... داوود ... بما حكم سليمان ؟..

ورَجع داوود إلى الحق ... بعد أن نطق به الصبي ...

لأن داوود نبي ... يعلم مَن أوحى إلى الصبي ... ومَن فهّمه هـذا الذي نطق وبه حكم ...

يعلم أن الله يشهد القضية بنفسه ...

وأنه سبحانه ... هو الذي فهّمها سليمان !..

وقرّت عين داوود ... بابنه ...

وأيقن أن ذاك الصبي ... الذكي ... هو وارث النبوة من بعده ... ووارث المُلك ...

وها هي أنوار النبوة ... تتلألأ منه ... صبيّاً ...

فكيف إذا استوى نبيّاً ؟!.

ما أعظم تلك القضية !..

لقد حيزت لها العظمة من أطرافها ...

الله يشهدها « **وكُنا لحكمهم شاهدين** » !..

والقاضي ... داوود ... النبي العظيم ... والمَلك الكريم !..

وعضو هيئة المحكمة ... سليمان ... النبي القادم ... بعد أبيه داوود ...

وأصدر القاضي حُكماً ...

وأشار سليمان بحكم آخر ...

وكُلاً آتينا حُكْماً وعلماً » ...

فاجتمع لهذه القضية الشرف كله ...

وحسبها شرفاً ... ان الله يشهدها ... وكفى به شهيداً ...

وأن الحاكم فيها ... نبيان عظيمان كريمان ...

نبي مَلك ... قائم ...

ونبي مَلك ... سوف يقوم !..

وورث . . . سليمان . . .

داوود ...؟!

شـــاخ ...

الملك داوود ... ولزم الفراش سقيماً ...

ولكل داء دواء إلا الكِبر !..

وتطلع الناس ... وتحدثوا مَن يكون على عرش داوود ؟!

وحاول « أدُونيّا » أحد أبناء داوود ... أن يهتبل الفرصة ... ويلفت اليه الأنظار ... وأعانه على ذلك بعض اخوته ...

إلا أن فريقاً آخر رفعوا الأمر ... إلى الملك داوود في فراشه ...

فحسم الملك الفتنة فوراً وقال :

« ادع لي صادوق الكاهن وناثان النبي » ...

فدخلوا إلى الملك داوود ...

« فقال الملك لهم : خذوا معكم عبيد سيدكم .

« وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به الى جيحون .

« وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي مَلِكاً ...

« واضربوا بالبوق .

« وقولوا ليحيى الملك سليمان » ...

ونفذ هؤلاء أمر داوود ...

وقال جميع الشعب :

« ليحيى الملك سليمان » ...

« وصعد جميع الشعب وراءه » ...

وأفلتت الفرصة من « أدونيّا » ... وصار سليمان مَلكاً !..

« وقال داوود لسليمان ابنه :

« تشدد ، وتشجع ، واعمل .

« لا تخف ولا ترتعب ، لأن الرب الاله إلهي معك .

« لا يخذلك ولا يتركك ، حتى تكمل كل عمل خدمة بيت الرب » .

ثم أعلن داوود لكل المجمع :

« ان سليمان ابني الذي وحده اختاره الله .

« انما هو صغير ، وغضّ ، والعمل عظيم .

« لأن الهيكل ليس لانسان بل للرب الاله » .

ودعا داوود لابنه سليمان ...

« وأما سليمان ابني فأعطه قلباً كاملاً .

« ليحفظ وصاياك ، شهاداتك وفرائضك .

« وليعمل الجميع .

« وليبني الهيكل الذي هيأتُ له » .

« وجلس سليمان على كرسي الرب ملكاً مكان داوود أبيه » ...

وأطاعه الجميع ... الرؤساء والأبطال وجميع أولاد الملك داوود ...

« وعظّم الربِ سليمان جداً ...

« وجعل عليه جلالا ملكياً » !..

فلما مات داوود ... ودُفن مع آبائه ...

انتقل كل شيء إلى سليمان ... ظاهراً ... وباطناً ...

واستوى سليمان ... نبياً ... مَلِكاً ...

وكانت الأيام التي مَلك فيها سليمان أربعين سنة ...

حافلة ... بالأعمال العظيمة ... والأحداث الجسيمة ... والعجائب التي لم تكن لأحد من بعده !..

عبقرية ... سليمان ...!؟

الأنبيـــاء ...

ليس كمثل ذكائهم ذكاء !..

هم أعلى ... البشر على الإطلاق ... عقولاً ...

وذلك النبي ... سليمان ... تتلألأ أمامنا عبقريته الفذة ... في هـــذه القصة ... فنعلم ما لم نكن نعلم ... من بدائع الأنبياء !..

امرأتان ... تختصمان اليه ... في رضيع ...

كل منهما تزعم أنه وليدها ... فماذا كان حُكم سليمان ؟!.

اليك تفاصيل القصة كما وردت عند أهل الكتاب :

« حينئذ أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه .

« فقالت المرأة الواحدة : استمع يا سيدي .

« اني أنا وهذه المرأة ساكنتان في بيت واحد ، وقد ولدت معها في البيت .

« وفي اليوم الثالث بعد ولادتي ، ولدت هذه المرأة أيضاً ، وكنا معا ، ولم يكن معنا غريب في البيت غيرنا ، نحن كلتينا في البيت .

فمات ابن هذه في الليل ، لأنها اضطجعت عليه .

« فقامت في وسط الليل ، وأخـــذت ابني من جانبي ، وأمتك نائمة ، واضجعته في حضنها ، وأضجعت ابنها الميت في حضني .

« فلما قمت صباحا لأرضع ابني إذا هو ميت .

« ولما تأملت فيه في الصباح ، إذا هو ليس ابني الذي ولدته .

« وكانت المرأة الأخرى تقول : كلا ، بل ابني الحي وإبنك الميت .

« وهذه تقول : لا بل ابنك الميت وإبني الحي .

« وتكلما أمام الملك .

« فقال الملك . هذه تقول ، هذا ابني الحي وإبنك الميت ، وتلك تقول : لا بل ابنك الميت وإبني الحي .

« فقال الملك : ائتوني بسيف .

فأتوا بسيف الى بين يدي الملك .

« فقال الملك : اشطروا الولد الحي اثنين ، وأعطوا نصفاً للواحدة ، ونصفاً للأخرى .

« فتكلمت المرأة التي ابنها الحي إلى الملك .

« لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها .

« وقالت : استمع يا سيدي .

« أعطوها الولد الحي ولا تميتوه .

« وأما تلك فقالت : لا يكون لي ولا لكِ .

« اشطروه .

« فأجاب الملك وقال : أعطوها الولد الحي ، ولا تميتوه ، فانها أمّه »!..

هذه هي التفاصيل ... كما وردت عند أهل الكتاب ...

وهذه عبقرية سليمان ... وهذا لون من ألوان ذكاء الأنبياء ...

ومن دلائل النبوة الخاتمة ... أن القصة وردت مختصرة في صحيح الإمام البخاري ... وإليك النص :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مثلي ومثل الناس ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار .

« وقال : كانت امرأتان معهما ابناهما .

« جاء الذئب فذهب بابن احداهما .

« فقالت صاحبتها : انما ذهب بابنك .

« وقالت الأخرى : انما ذهب بابنك .

« فتحاكما الى داود .

« فقضى به للكبرى .

« فخرجتا على سليمان بن داود ، فأخبرناه .

« فقال : ائتوني بالسكين ، أشقه بينهما .

« فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها .

« فقضى به للصغرى » !..

وهذا الحديث من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

فمثل هذا التفصيل لا يكون إلا عن وحي يوحى !...

ثم انظر الى الدقة التي لا تكون إلا ممن شهد الواقعة ... وعلم بدقائقها « فقضى به للصغرى » ؟!.

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ... يحدد المرأة التي جزعت على شق الرضيع شقين ... بأنها الصغرى ... وهذا من دلائل النبوة ... ولا يأتي إلا عن وحي يُوحى ؟..

لقد ثبتت هذه القضية عن سليمان ... وأوردها البخاري في صحيحه ...
فأعطت لنا لوناً جميلاً من ألوان ذكاء الأنبياء ...

وإن اشعاعات قوله تعالى « **ففهّمناها سليمان** » في قضية الحرث ... التي ذكرها ...

ما زالت تتشعشع ... ها هنا ... وحيث شاء الله ...
فكما فَهّمه سبحانه هناك الحُكم ... فهّمه ها هنا الحكم ...
« **وكُلاً آتينا حُكماً وعلماً** » ا..

الملك . . . يأمر بقتل . . .
« أُدونيّا » . . .؟!

المُلك . . .

له مقتضيات ... وحتميات ... وضروريات !...

ان « أدونيَّا » هذا أخ أكبر لسليمان ... غير شقيق ... أخ لأب ...

وقد حاول أثناء مرض الملك داوود ... أن يجمع الناس عليه ليكون مَلكاً بعد أبيه ...

فلما حسم داوود الأمر ... وأمر بسليمان مَلكاً ... ضاعت الفرصة من « أدونيَّا » ... وانكشف أمره وأمر من شايعوه ...

إلا أنه لم يهدأ ... وبدأ يتدلل ويظهر أنه كان صاحب العرش ... لولا ما قرره داوود ... واختياره لسليمان !..

ثم جاء « أدُونيَّا » إلى أم سليمان ...

فقال : أنت تعلمين أن المُلك كان لي ... فدار المُلك وصار لأخي لأنه من قِبَل الرب صار له .

« والآن أسألكِ سؤالاً واحداً فلا ترديني فيه » .

فقالت له : تكلم .

فقال : قولي لسليمان الملك لأنه لا يردك أن يعطيني « أبيشَجَ الشونمية » امرأة .

فدخلت أم سليمان إلى الملك لتكلمه عن « أدونيّا » ...

فقالت : لِتُعْطَ

« الشونمية » لأدونيّا أخيك امرأة .

فقال الملك سليمان لأمه : ولمـــاذا أنت تسألين أبيشج الشونمية لأدونيّا فاسألي له المُلك . لأنه أخي الأكبر مني ...

« وحلف سليمان الملك بالرب قائلاً : هكذا يفعل ليَ الله ، وهكذا يزيد .
« انه قد تكلم أدونيّا بهذا الكلام ضد نفسه .

« والآن ، حي هو الرب الذي ثبتني ، وأجلسني على كرسي داوود أبي ، والذي صنع لي بيتاً كما تكلم .

« إنه اليوم يُقتل أدونيّا » !..

ولعل الكلمة التي أطاحت برأس أدونيّا ... هي قوله لأم سليمان « انت تعلمين ان المُلك كان لي » !..

اذا هو لم يستسلم ... وما زال الأمر يدور في رأسه !..

هنالك أصدر الملك سليمان أمراً بقتله !..

وأرسل الملك سليمان اليه مَن بطش به فمات !..

ولم يقف الأمر عند قتل «أدونيّا » رأس الفتنة ...

بل هناك رءوس عاونته في فتنته ...

هناك الكاهن الذي شايعه ... فأمر سليمان به ... فطرده عن أن يكون كاهناً للرب ... وإن كان يستحق القتل ...

وهناك « يو آب » الذي مال وراء أدونيا ... فأمر به سليمان فقُتل ...

ثم عيّن سليمان رجلاً مخلصاً له مكانه على الجيش ...

وجعل الملك ... صادوق الكاهن ... مكان الكاهن الذي عزله ...

انها حركة تطهير ...

القضاء على رأس الفتنة ...

وتغيير في المناصب العليا ...

والمُلك هو المُلك ...

له مقتضيات ... وله ضرورات ... وله حتميات

ولقد ... فتنَّا ... سليمان ...؟!

قال عز من قائل :

« ولقد فتنّا سليمانَ .

« وألقينا على كرسيّه جسَدا ثم أناب » .

ذكر الفخر الرازي في تفسيره وجوهاً لتفسير هذه الآية ...

أحسنها أن سليمان ابتلى بمرض شديد ، ضنى منه ، حتى صار لشدة المرض ، كأنه جسد ، أو جسم بلا روح ... « ثم أناب » أي رجع إلى حالة الصحة .

وفي موجة هذا التفسير أقول ...

الأنبياء أشد الناس بلاء ...

لأنهم أعظم الناس عطاء ...

هذه ... بتلك ... فيتحقق التوازن ... الذي هو الناموس العام ... في تركيب الإنسان ...

« قالت عائشة :

« ما رأيتُ رجلا أشدّ عليه الوجعُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

[أخرجه مسلم]

قالوا : الوجع هنا المرض ، والعرب تسمي كل مرض وجَعاً ...

أي ما رأيتُ أحداً أشد عليه المرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

« عن عبد الله قال :

« دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُوعك .

« فمسسته بيدي .

« فقلتُ : يا رسول الله ، انك لتوعكُ وعكا شديدا .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجَلْ اني اوعك كما يُوعكُ رجلان منكم .

« قال : فقلت : ذلك أن لك أجرَيْن .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجَلْ ... »

[أخرجه مسلم]

قالوا : الوعْك هو الحمى ، وقيل ألمها ... أي : انك لتألم ألماً شديداً ...

وقالوا : والحكمة في كون الأنبياء أشـــد بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل ، أنهم مخصوصون بكمال الصبر ، وصحة الاحتساب ، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ، ليتم لهم الخير « ويضاعف لهم الأجر ، ويظهر صبرهم ورضاهم ...

قلت ... ولما كان سليمان ... عليه السلام ... نبياً من الأنبياء ... تحتم أن يجرى عليه ناموس الأنبياء ... وهو أنهم أشد الناس بلاء ...

فكيف وسليمان ... من أعظم الأنبياء عطاء ... « **هذا عطاؤنا فامنُن أو امسِك بغير حساب** » !..

أعطاه كل ما أعطى أباه ... داوود عليه السلام ...

وما أدراك ما أوتي داوود ؟!.

ثم زاده ... « **مُلكا لا ينبغي لأحد مِن بعدي ...** »

نبي هذا شأنه ... من العطاء ... كان حتماً أن يكون شأنه من البلاء ... موازياً ... لشأنه من العطاء !..

وهذا ما قد كان ...

مرض النبي ... المَلك ... سليمان ... مرضاً شديداً ...

وتوجع وجعاً شديداً ... لا تطيقه الجبال ...

وصار ... « جَسَداً » ... لا يكاد يستطيع الحركة ... فهو شبه ميت ... أشبه بجسد لا روح فيه ...

وكان يجلس على كرسيه ... كأنه جَسد ... جُثة ميت ...

ها هو المَلك العريض ... تحت يديه ...

يأمر ... فيُطاع ...

قصور ... جُند ... امكانيات... علم ... نبوة ... حكمة ... مملكة...

ولكن كل هذا لا يُغني عنه شيئاً ...

هنالك يرى سليمان الحقيقة ... ويباشر التجربة ...
أن كل نِعَم الله على الإنسان ... إنما هي حُجُب ...

والحق ... والحقيقة ... أن الله هو الذي يُعطي ويمنع ... ويُنعم ويَسلب ...

هنالك ... يرقى سليمان ... ويرقى ... درجات ودرجات ...

ويشهد نفسه ... وشخصه الذي يهابه الشعب والملوك ...

وقد تحول إلى لا شيء ... ولا يستطيع لنفسه شيئاً ...

مقامات ... درجات ... يصعدون اليها ... ربهم أعلم بهم ...

ثم لما يمضى القَدَر ...

وبلغ الكتاب أجـــله ... ردّ الله اليه ... عافيته ... وصحته خيراً مما كانت ...

وخـــرج سليمان من الفتنة ... أعظم نوراً ... وأعظم حكمة ... وأعظم رحمة بالناس ...

« وإن له عندنا لزُلفَى » !..

ربـ . . . اغفر لي . . .

وهبـ لي ...؟!

أمرهم ...

وراء العقول ...

لا ندرك منهم ... إلا قليلا ...

لأن الأنبياء ... مرايا التجلي الإلهي ... الكامل ...

كل منهم ... بحر لا يتناهى ...

فإذا أدركنا منهم شيئاً ... فإنما هو نقرة عصفور ... في بحر لا ساحل له !..

وها نحن أولاء ... نفاجأ من أحدهم ... و هو « سليمان » ... بأمر تضطرب منه العقول !..

ان سليمان ورث مُلك داوود ... ظاهراً ... وباطناً ...

فماذا بقي من أبعاد المُلك بعد ذلك ؟!

العقل يقول : لا شيء وراء ذلك ... والحمد لله على ذلك !..

ولكن الأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم ...

يعلمون أن عطاء الله ... لا يتناهى ...

وأن وراء كل عطاء عطاء ...

ووراء كل فضل فضل ...

ووراء كل علم علم ...

هنالك ... نادى ... سليمان ربه ...

« قال ربّ اغفر لي .

« وهَبْ لي مُلكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهابُ » !..

مطلبان عظيمان ...

أولا ... « اغفر لي » هذا هو المطلب الأول ...

اغفر لي ... ما قدمت وما أخرت ... وما أسررت وما أعلنت ...

اغفر لي ... ما كان مني ... وما سوف يكون ...

انه يطلب ... مما أعطاه الله ... لخاتم النبيين .

« انـّا فتحنا لك فتحاً مبيناً .

« ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر .

« ويتم نعمته عليك .

« ويهديك صراطاً مستقيماً » .

والمغفرة مراتب لا تُحصى ... بعدد المستغفرين والمستغفرات !..

بل بعدد أنفاس المذنبين والمذنبات ...

ذلك أن الناس مراتب شتى ...

ولكل فرد منهم ذنوب شتى ...

فلزم أن تكون المغفرة ... مراتب شتى ...

ولكن ... هؤلاء الأنبياء ... الذين لا ذنوب لهم ... علام يستغفرون ؟!.

ومم يستغفرون ؟!.

وقد ثبت عنهم أنهم دائماً يستغفرون ؟!.

عندما يرفعهم الله ... من مقام ... إلى مقام أعلى ...

يستغفرون ... عما كان منهم ... حين كانوا هناك ...

ولكن ماذا كان منهم هناك ؟!.

هل كانت ذنوباً ؟!.

كلا ... وإنما كل مقام يُرفعون اليه ... يشعرون فيه ... أن المقام السابق ... يحتاج منهم إلى استغفار !..

فإذا قال سليمان « ربّ ... اغفر ... لي » ...

إنما هو يَرقى ... ويُرَقّى ... ويبصر ما لم يك يبصر ... ويعلم ما لم يكن يعلم ...

كلما صعد ... إلى مقـــام ... استغفر ربه ... عما كان منه ... في المقام السابق ...

ومن هنا كان الأنبياء ... أكثر الناس استغفاراً ... لأنهم دائمي الترقي ... فكانوا دائمي الاستغفار ...

استغفارهم ... استغفار أنوار ... صعود من نور إلى نور أعلى ...

أما استغفارنا نحن ... فاستغفار الخروج من الظلمات إلى النور !..

« ربّ اغفر لي » ؟!.

هذا هو مطلب سليمان الأول ...

فلما غفر له ... صعد سليمان صعوداً عظيماً ...

وأبصر ما لم يكن يبصر ...

أبصر لله مُلكاً ... واسعاً وسيعاً ...

فنادى سليمان ربه :

« هَب ... لي ... مُلكا » !..

وأثنى على ... المَلك ... المليك ... المقتدر ...

« انك أنت الوهاب » !..

انظر ... إلى الجمال الشمشماني ؟!.

هبْ لي ... إنك أنت الوهاب !..

أنبياء ... ليس كمثل كلامهم كلام !..

يفوح من أفواههم الشريفة عطراً وطيباً ونوراً !..

وليس ذاك وحده ... ولكن ...

« لا ينبغي لأحد من بعدي » !..

مُلكاً انفرد به ... لا يشركني فيه أحد من بعدي ...

مُلكاً ... تخصني به ... ولا يتكرر في أحد من بعدي ...

طمع لا آخر له ...

فاستجاب ربه لندائه ... استجابة ... لا آخر لها !..

وأعطاه ... ثم أعطاه ... ثم أعطاه ...

« هذا عطاؤنا » ؟!.

بنون العظمة ... إشارة الى شمول العطاء ... « وأوتينا من كل شيء » ...

أعطاه في الظاهر ... في الدنيا ... آتاه مُلكاً عظيماً ... فوق ما ورثه عن أبيه داوود ...

وأعطاه في الباطن ... مُلكاً أعظم ... فوق ما ورثه عن أبيه داوود ...

فسخّر له الريح ...

« فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رُخاء حيث أصاب » !..

عجب ... لقد امتد المُلك إلى الهواء !..

بل ما هو أعجب ؟!.

سخّر له الجنّ ؟!.

« **والشياطين كل بنّاء وغوّاص** » !..

بل ويفعل بهم ما يشاء ...

« **وآخرين مقرنين في الأصفاد** » !..

ما هذا ؟!.

« **هذا عطاؤنا** » !..

وإلى أي مدى له حرية التصرف في هذه العوالم ؟!.

بغير حدود ... افعل يا سليمان ما تشاء !..

« **فامنُن أو أمسك** » !..

لك مطلق التصرف !..

وكيف أطيق حساب هؤلاء جميعاً يا رب ؟!.

« **بغير حساب** » !..

لا حساب عليك يا سليمان ... فيما آتيناك ... ولا فيما فعلت فيما أعطيناك !..

ما هذا ... كيف هذا ؟!.

لقد نادى سليمان ربه « **هبْ لي** » ... « **إنك أنت الوهاب** » !..

وملك الملوك ... إذا وهب ... لا تسألن عن السبب !..

هل هذا هو كل ما وهب الله لسليمان ؟!.

كلا ... ثم كلا ... وتأمل قول سليمان وهـــو في طرب النعمة ... وشكر المنعم الوهاب ... « **وأوتينا من كل شيء** » ... تدرك أن ما آتاه الله ... لا تطيقه العقول ...

وفي هذا يقول ابن العربي :

« **لو نبهنا على المقام السليماني على تمامه .**

« **لرأيت أمراً يهولك الاطلاع عليه** » !..

فسخرنا . . . له . . . الريح ...؟!

قال تعالى ...

« فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء .
حيث أصاب » .

وفي موضع آخر :

« ولسليمانَ الريح عاصفة تجري .
بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » .

وفي سورة أخرى :

« ولسليمانَ الريحَ غُدُوها شهرٌ ورَواحها شهرٌ » ...

بالتأمل والتعمق في الآيات ... نجد أحوالاً ثلاثة ...

مرة ... تكون الريح رُخاء أي : لينة هادئة ...

ومرة تكون ... عاصفة ... أي شديدة الهبوب ...

ومرة تكون ... غدوها شهر ... ورواحها شهـــر ... أي تقطع في يوم واحد ... ما يقطعه المسافرون في شهرين اثنين ...

فما معنى هذا كله ... وكيف كان هذا ؟!

« فسخّرنا » الفاء هنا إشارة إلى الفورية ... أي بمجرد أن دعانا « رب اغفر لي وهبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » ...

استجبنا له ... وفوراً ... سخرنا له الريح ...

فوراً ... آتيناه شيئاً جديداً ... أضفنا إلى مُلكه طاقة جديدة ... قوة جديدة... قوة جبارة هدارة... لم تكن لأحد قبله... ولا لأحد بعده!..

وقلنا فوراً : يا ريحُ أطيعي أمر سليمان ... هبّي رُخاء حيث أراد أن تهبي ... وهبّي عاصفة حيث أراد أن تعصفي ... وسيري بأمره حيث شاء...

وأنت يا سليمان ... اعلم أنّا سخرنا لك الريح ... تجري بأمرك حيث تشاء ... طوراً رُخاء إذا شئت رخاء ... وطوراً عاصفة إذا شئت عاصفة...

هذا عُمق جديد في ذلك الأمر الجديد ... من مُلك سليمان ...

ولكن هناك إشارة جبّارة في قوله تعالى : « **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر** » ؟!.

وما هي الإشارة في هذا ؟! ولماذا لا يكون غدوها مثلاً شهرين ورواحها شهرين ... لماذا شهر في الغدو ... وشهر في الرواح ... لماذا شهر واحد بالذات ؟!.

لعل السر في ذلك ... هو تحديد مجال التسخير لسليمان ...

أي اعلم يا سليمان ... أننا سخرنا لك الريح ... تجري بأمرك حيث شئت ... كيف شئت ... في مجال محدد لا تتعداه ...

في دائرة عرضها مسيرة المسافر شهراً ... وطولها مسيرة المسافر شهراً ...

فإذا كان المسافر مثلاً يقطع ٥٠ كيلو في اليوم ... فهو يقطع في الشهر ٥٠ × ٣٠ أي ١٥٠٠ كيلو ...

أي مجـــال تسخير الرياح لك يا سليمان هو ١٥٠٠ كيلو ذهاباً و ١٥٠٠ كيلو إياباً ...

أما ما وراء ذلـــك من الريح ... في الكرة الأرضية ... فلا سلطان لك عليه ...

انه تحديد لمجال التسخير ... ولعل الحكمة في ذلك ... هو عدم اضطراب دورات الرياح في الكرة الأرضية ... مما يعود بالضرر على سكانها !..

وبالتأمل نجـــد أن ساحل الشام حيث كان مُلك سليمان يمتد من الشمال إلى الجنوب ما يوازي مسيرة شهر المسافر في عصر سليمان حيث كانوا يركبون الدواب ...

أي سخرنا لك الريح تجري بأمرك ... في منطقة مُلكك ... وما حوله من اليابس أو البحر ... وتجد الإشارة إلى ذلك في قوله « **تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها** » أي أرض الشام ...

وعلى هذا يتكامل المعنى ... وتفسر الآيات بعضها بعضاً ...

فنفهم أن الله ... أعطى سليمان طاقة جديدة في مُلكه ... ليست لأحد من الملوك المعاصرين له ...

أعطاه الريح ... قوة الريح ... طاقة جديدة ...

يسخرها كيف شاء ... متى شاء ... ان شاء رُخاء لينة هادئة ... وإن شاء عاصفة شديدة العصف ... في حـــدود مسيرة شهر ... في حدود رقعة مملكته بالشام ... براً وبحراً ...

ففي البحر حيث تسير سفن سليمان ... يأمر الريح أن تجري عاصفة ...

فتتحرك السفن سريعاً ... وتصل إلى غاياتهـــا أسرع من مثيلاتها في أنحاء العالم ...

أو يأمرها ... أن تجـــري رخاء أي هادئة ... إذا رأى أن المصلحة في هدوئها ...

وفي البر ... له نفس السلطان ... فالريح تحت أمره ... رخاء وعاصفة ... حسبما يشاء ...

كل أولئك ... مسيرة شهر ... في الذهاب أو الإياب ...

أي أن سلـــيمان نُقل إلى عصر السرعة بتسخير الريح له ... بينما سائر الملوك وسائر الدول ... تعيش في نواميس عصرها ... وتخضع للبطء في وسائل مواصلاتها ...

وهذا تفوق هائل لسليمان ودولته ... على سائر الدول التي في عصره .

وأخرى أكثر تحديداً ... وأعجب فهماً !..

أن يا سليمان الريح تحت أمرك ... مسيرة شهر ... من حيث تأمرها ... من المكان الذي تأمرها فيه « **تجري بأمره رخاء حيث أصاب** » حيث أراد ... حيث صدر أمره ... من حيث هو قائم ...

فإذا كان مثلاً في عاصمة مُلكه في بيت المقدس ... وأمر الريح أن تعصف ... فله عليها السلطان التام ... على امتداد مسيرة شهر ... في أي اتجاه ... إما شمـــالاً ... وإما جنوباً وإما شرقاً وإما غرباً ... من نقطة البدء ... من المكان الذي صدرت إرادته فيه ... أي من عاصمة مُلكه حيث أراد ... حيث صدر أمره إلى الريح ...

وهذا يفسر لنا عجائب بساط الريح ... الذي كثرت فيه الأقاصيص !..

فمن قائل ... كان لسليمان بساط تحمله الريح حيث شاء من الأرض ... ويركب هو عليه ومعه من شاء من جنوده من الجن والإنس والطير ...

ويطير به ومن معـــه ... يأمره أن يسرع فيسرع ... وأن يبطىء فيبطىء ... وأن يرتفع فيرتفع ... وأن ينخفض فينخفض ... كيفما شاء ...

ورووا في ذلك الخيالات ... وأطلقوا العبارات !..

والذي أميل اليه ... أن بساط الريح ... حقيقة ... لا نذهب إلى انكاره كما ذهب بعض العلماء .

ولا نذهب إلى المغالاة في وصفه ... كما غالى كثير من القصاص ...

وإنما نقول بالأمر الوَسَط ...

ان بساط الريح ... حقيقة ... يؤيد ذلك ... تسخير الريح لسليمان ... تجري بأمره حيث يشاء كيفما شاء ...

إذ ما فائدة تسخير الريح له ... إذا لم يستعملها في تنقلاته ... فيتحقق له التفوق على سائر ملوك زمانه ...

فبينما هم جميعاً لاصقون بالأرض ... يتحركون عليها ركباناً ومشاة ... إذا هو يطير في الهواء ... ويتحرك حيث يشاء تحمله الريح .

فإذا كان لا يستطيع ركوب الريح ... وتسخيرها لحمله ... ومن شاء من جنوده ... فما هي الميزة التي انتفع بها من تسخير الريح ... وما هو التفوق الذي يتحقق له على سائر الملوك ... حتى يكون مُلكه « **مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** » ؟!.

فالذي أميل اليه ... ان بساط الريح حقيقة ... والذي لا أميل اليه هو المغالاة في وصفه ...

وإنما نقول ... انه كان لسليمان بساط يركبه ومعه من شاء من حاشيته ... من الجن والإنس والطير ... ويأمر الريح فتحمله ... وترتفع به ... وتجري به سريعـــاً أي عاصفة ... أو بطيئاً أي رُخاء ... حيث أصاب أي حيث أراد ...

ثم يأمر الريح أن تهبط به فتهبط ... أو تعلو به فتعلو ...

وكل أولئك يتشمشع من قوله تعالى « **فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء حيث أصاب** » ...

وفي كلمة « **رُخاء** » هنـــا اشارة جديدة ... أي لينة ... أي هي تلين لأمره ... هي طوع أمره ... يفعل بها ما يشاء ... وتنفعل لأمره كيفما شاء ...

وإن استفاضة أخبـــار بساط الريح ... وتواترها دليل من أدلة كونه حقيقة ... كانت واقعة ... وليست محض خيال ...

وإنما الخيال فيها ... هو المغالاة في وصفه ... والإسراف في الأساطير التي نسبت اليه ...

قال صاحب تفسير « الفواتح الإلهية » ...

« **وحُشر** » وجُمع

« **لسليمان جنوده من الجن والانس والطير** » وقد كان معسكره مسيرة مائة فرســـخ ، خمسة وعشرون للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش .

« تمشي كل طائفة منهم من بني نوعهم صافين مستوين ، وإن تسابق بعضهم على بعض ...

« فهم » حينئذ

« يُوزعون » ويحبسون حتى يتلاحقوا ، ويتساوى صفوفهم .

« وكان سليمان صلى الله عليه وسلم يأمر الريح فترفعه فوق رؤوسهم ، مشرفاً عليهم ، فتسير معه رخاء ، من كمال فضل الله عليه انه ما تكلم أحد منهم بكلام إلا وقد حملته الريح وألقته في سمعه .

« فبينما هو يسير مع عسكره هكذا ، قد رآه وجنده حراث فقال مستغرباً متعجباً : والله لقد أوتى آل داوود ملكاً عظيماً !

« فسمع سليمان عليه السلام قوله

« ومشى نحوه فقال له : انما مشيت اليك لأوصيك ، ان لا تتمنى ما لا تقدر عليه ، وليس في وسعك تدبيره .

« ثم قال : والله لتسبيحة واحدة يتقبلها الله ، خير مما أوتي آل داود » .

وأقول : مثل هذا القصص قصص حق ... تناقله أئمة أعلام ...

وواضح فيه ... أن سليمان كان يأمر الريح فترفعه عليهم ... ويستعرض جيوشه وهو على هذه الصورة البديعة ...

لقد عُجِّل لسليمان ... ما يفعله الملوك الآن ... حين يركبون طائرة هيلوكوبتر ... ويستعرضون منها ... جيوشهم ... في الاستعراضات العسكرية الضخمة ...

ان ما أوتي النبيون من معجزات ... إشارة إلى بني آدم جميعاً ... على

امتداد الحياة البشرية ... أنهم سوف يحققون بالعلم ... شيئاً ممـــا عجّله الله لأنبيائه كمعجزات لهم ... وآيات منه ...

إن الإشارة في تسخير الريح لسليمان ... يركبهـــا ... حيث يشاء ... ويأمرها عاصفة ورخاء ... تؤكد أن ما ُطوي لسليمان من تسخير الريح ...

سوف يُعطى لجنس الإنسان مستقبلاً ...

ولكن بنواميس العلم ... ونواميس الأسباب ...

لا هبة من الوهاب ... كما أوتي سليمان ...

وهذا ما كان ... فقد تحقق للإنسان ... على مر الأيام ... بعد سليمان ... ما أشارت اليه معجزة سليمان في تسخير الريح له ...

فها هو الإنسان الآن ... يركب الريح ... ويسير بهـــا حيث يشاء ... كيفما شاء ...

ها هي الطائرات ... النفاثة وغير النفاثة ... والأسرع من الصوت ...

ها هي القلاع الطائرة ... يركبها الناس ... وتحملهم الريح حيث شاءوا ... لا مسيرة شهر ... في الذهاب أو الإياب ... بل مسيرة سنين ...

ها هو الإنسان يطير في الهواء ... ويركب الريح حيث يشاء ...

بل تجاوز هذه المرحلة ... وها هي سفن الفضـــاء ... تحمله ... فيشق مناطق الريح كلها في لحظات ... ويدخل مناطق اللاوزن ... ثم يرق إلى إلى طبقات أعلى وأعلى ... وينزل على كوكب القمر ...

وها هو سباق الفضاء ... يبشر بالوصول إلى ما هو أبعد من القمر !..

وتحققت الإشارة ... في معجزة تسخير الريح لسليمان ...

وصار الآن ... ما كان معجزة لسليمان ...

حقيقة واقعة ... يستمتع بها كل إنسان ... ولكن عن طريق العلم ...

ومن هنا نقول للذين استبعدوا... بساط الريح ... وذهبوا إلى انكاره...

لا تسرفوا في الإنكار ... فإن الإنسان بعلمه الآن ... صنع ما هو أعجب من بساط الريح الذي كان لسليمان ...

فإن مركبة الفضاء ... التي تنطلق من الأرض إلى القمر ... ثم تعود من القمر إلى الأرض ... أمكن أن تحقق ما لم يحققه بساط الريح لسليمان ... وهذا كله بالعلم والتجربة ...

فكيف تستبعدون بساط الريح لسليمان ... وهو صادر من أفق أعلى ... ومن أمر إلهي « **فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء حيث أصاب** » ؟!.

تسخير ... الجن ...
لسليمان ...؟!

لئن ...

كان تسخير الريح لسليمان عجيباً ...

فإن ما هو أعجب ... تسخير الجن لسليمان !..

وأعجب من تسخيرهم ... أن يقوموا له بأعمال يعجز عنها الناس !..

ثم الأعجب من كل ذلك ... أنهم لا يستطيعون الإفلات من قبضته وسلطانه !..

يقول تعالى :

« والشياطين كل بنّاء وغوّاص .

« وآخرين مقرنين في الأصفاد .

« هذا عطاؤنا فامنُن أو أمسك بغير حساب » .

وفي موضع آخر :

« ... ومِن الجنّ مَن يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير .

« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجِفانٍ كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

وفي موضع آخر :

« وحُشر لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير فهم يوزعون » .

وفي موضع رابع :

« ومِن الشياطين مَن يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلــــك وكنا لهم حافظين » .

وفي موضع خامس :

« قال عفريت مِن الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين » .

من هذه النصوص يثبت أن الله أذن لسليمان في تسخير الجنّ ...

وآتاه الله بذلك قوة جديدة ... بالإضافة إلى قوة تسخير الريح ...

تجد الإشارة إلى ذلك في قوله :

« وحُشر لسليمان جنوده مِن الجنّ والانس والطير » ...

أي قواته ... من الجن ...

وقواته ... من الإنس ...

وقواته ... من الطير ...

وقبل أن نسبح في هذا البحر العجيب ... بحر تسخير الجنّ لسليمان ... يواجهنا سؤال خطير لازم ...

ما هو الجن ؟!.

الجن خَلق من خلق الله ...

يأكلون ... ويتزاوجون ... ويتناسلون ... ويطمثون ...

أما دليل أنهم خَلق من خلق الله ... فمثل قوله تعالى :

« وخَلقَ الجانّ مِن مارج من نار » .

وقوله تعالى :

« والجانّ خلقناه من قبل من نار السَّموم » .

فالجنّ ... أو الجانّ ... خُلق من نار ...

أما دليل أنهم يتزاوجون ويتناسلون ويطمثون ... فمثل قوله تعالى :

« لم يطمثهنّ انس قبلهم ولا جانٌ » .

ومثل قوله :

« أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني » ؟!.

والجنّ مكلفون ... ومنهم الصالحون ... ومنهم المجرمون ...

« وأنـَّا منا الصالحون ومنـَّا دون ذلك كنا طرائق قِدَداً » .

والجنّ يُبعثون ... وسوف يُسألون يوم القيــــامة ... فإما إلى الجنة ... وإما إلى النار ...

وهم يروننا ... ونحن لا نراهم ...

لأنهم أجسام لطيفة ... ونحن في أجسام كثيفة ...

« ... إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ...

هذا هو الناموس العام ...

وإذا شفَّ الإنسان ... استطاع أن يراهم ...

وهذا واقع لكثير من أهل هذه الصفة ...

إلا أن المرتبة الآدمية أشرف من المرتبة الجنية ...

فالإنسان الصالح أرقى وأرقى من الجنّ الصالح ...

قال القاشاني في شرح الفصوص لابن العربي :

« واعلم ان الجن أرواح قوية متجسدة في أجرام لطيفة .

« يغلب عليهـــا الجوهر الناري والهوائي ، كما غلب علينا الجوهر الأرضي والمائي .

« وللطافة جواهر أجسامهم وقوة أرواحهم ، أقدرهم الله على التشكل بالأشكال المختلفة .

« والتمكن من حركات سريعة ، وأعمال عن وســـع البشر متجاوزة ، كالملائكة .

« إلا أنها سفلية ، والملائكة علوية » .

هذه فكرة سريعة ... سطحية ... كمقدمة لازمة لهذا الباب ... باب تسخير الجنّ لسليمان ...

والجرم من الجنّ يسمى شيطاناً ...

وهم أنواع منهم المارد ...

« وحفظاً من كل شيطانٍ ماردٍ » .

ومنهم العفريت ... وهو المتمرد ... شديد التمرد ...

« قال عفريتٌ من الجنّ » ...

وبالتأمل في نصوص الكتاب الكريم ... نجد أن الكتاب يشير إلى أن الذين سخرهم سليمان في الأعمال الشاقة ... التي لا يستطيعها البشر ... كانوا من مجرمي الجنّ ... الذين يُطلق عليهم الشياطين ... انظر ...

« والشياطين كل بنّاء وغوّاص » .

أي : وسخرنا له الشياطين الجنّ ... كل ماهر منهم في أعمال البناء ... وكل ماهر في أعمال الغوص في البحار ...

ومن حيث أنهم مجرمون متمردون أصلا ... فيجب أخذهم بالعنف ...

« **وآخرين مقرنين في الأصفاد** » .

يعاقبهم أشد العقاب ...

ويجعلهم مقرنين ... مقيدين في الأغلال ... جـــزاء إجرامهم ... وعقوبة تمردهم !..

بل كان يعاقبهم بما هو أشد ... بإحراقهم حرقاً ... جزاء زيغهم...

ومِن الجنّ من يعمل بين يديه باذن ربه .

« **ومن يزغ منهم عن أمرنا .**

« **نذقه من عذاب السعير** » .

عذاب النار ... عذاب الإحراق فوراً ...

ثم انظر الى قوله « **ومِن الجن مَن يعمل بين يديه** » ...

أي : ونوع من الجن مسخرٌ له ... يعمل تحـــت يديه ... وله عليه السلطان التام ...

ثم انظر إلى قوله :

« **ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك** » ...

تجد أن المسخر له في الأعمال الشاقة كالغوص في البحار ... هو من نوع الشياطين ... أي من مجرمي الجنّ ...

وليس معنى هذا ... أن المسخر من الجن لسليمان هو نوع الشياطين فقط ... كلا ... وإنما كل الجن مسخر لسليمان ...

وإنما نص على الشياطين ... الذين هم عتاة الجنّ ... لأنه أدل على القدرة والتسلط ... فإن الاقتدار على الجبابرة والعتاة دليل على قوة المتسلط عليهم...

كما أن الحكمة في تسخير الشياطين في الأعمال الشاقة ... دون الصالحين من الجنّ ... أن يكون ذلك نوع عقاب لهم وإذلال ... أما الصالحون فالمناسب لهم التكريم وعدم التسخير ...

تجد الاشارة إلى ذلك في قوله تعالى :

« ... فلمــــا خرّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المُهين » .

إذاً هم كانوا وهم يعملون فيما يعملون فيه لسليمان ... كانوا في عذاب مُهين... فيه أشد إهانة لهم ... وأشد عذاب !..

كائنات كانت حرّة منطلقة ... تعربد كيف شاءت ...

وفجأة سُلسلت بالأصفاد ... وأُرغمت على السخرة ... والعمل باستمرار للآدميين ... ولا تستطيع أن تكف يدها عن العمل ... ولا أن تهرب ... أو تزيغ ...

لأن هناك عقاباً أليماً ... ينتظرها ... إما الأغلال ... وإما الإحراق...

وزاد في غيظهم ... أنهم لبثوا هكذا مدة طويلة ... يظنون أن سليمان لم يمُت ... فلما سقطت عصاه وأيقنوا بموته ... اشتد غيظهم : كيف يكونون أسارى سليمان هكذا ... يكدحون وهم لا يعلمون ؟!.

وإذا علمنا أن هؤلاء المسخرون من الجنّ في شاق الأعمال... كانوا يعربدون في الأرض ... بحـــكم طبيعتهم الشياطينية الإجرامية ... علمنا مدى ضيقهم وضجرهم من القبض عليهم ... وإرغامهم على التسخير في عمل مُهين لهم ...

وعلمنا كذلك مدى الحكمة ... في تسخير هـذا النوع الشرير بالذات ... لأن فيه كفّهم عن مباشرة شرورهم ...

كما تقبض الدولة على أكابر مجرميها ... وتزجهم في سجونهـــا ... منعاً لشرورهم !..

ثم ماذا ؟!. ثم ما هي الفائدة التي تعود على سلـــيمان ... من تسخير الجنّ لأمره ... وقد كان يمكن له أن يسخر من شاء من الناس بدلاً منهم ؟!.

الفائدة واضحة ... أن الجنّ طاقة عامـــلة ... انتاجية بلا مقابل ... وبلا أجور ...

فإن تسخير البشر في العمل ... يحتم أن تدفع لهم أجوراً ... وأن تهيء لهم مساكن ومتطلبات تتكلف كثيراً ...

أما الجنّ ... فإنهم يعملون ... وينتجون ... ولا يكلفون سلـــيمان أجوراً ولا إنفاقاً ...

فهم طاقة جبارة منتجة ... بلا أجور أو تكلفة ...

وهذه ثروة ضخمة ... تضاف إلى ثروة الملك سليمان ...

فإنه لا يوجد في الأرض في عصره ملك ... يملك قوة منتجة بلا مقابل من أحد سواه !..

وفائدة أخـــرى ... أن الجنّ يقومون بأعمال لا يستطيعها البشر أيا ما كانوا ...

فالغوص في أعماق المحيطات ... واستخراج اللآلىء ... وإحضارها بسرعة الجنّ إلى سلـــيمان ... شيء لا يستطيعه البشر في عصر سليمان ... ولا بعد عصر سليمان !..

وفائدة ثالثة ... أن فنون الجنّ في أعمال التشييد والبناء وزخرفة المباني زخرفة عجيبة ... خارقة لعصر سليمان ... كل ذلك يجعل سليمان متفوقاً على جميع ملوك الأرض في عصره ... وبعد عصره ...

ومثال ذلك في صريح القرآن :

« **وقيل لها ادخلي الصَّرْح .**

« **فلما رأته حسبته لُجَّة وكشفت عن ساقيها .**

« **وقال إنه صَرح مُمَرَّد مِن قوارير** » ...

هذا القصر الأملس ... المُشيد كله من زجاج مختلف الألوان ... مما دفع ملكة سبأ أن ترفع ثوبها ... وتكشف عن ساقيها ... ظناً منها ... أنه بحر يجري فيه الماء !..

مَن صنع له هذا القصر العجيب ... الذي لا عهد للملك من الملوك بمثله ؟!.

إنهم الجنّ ... أصحاب الصناعات البديعة ... التي لم يكن البشر حتى عهد سليمان ... يعلمون عنها شيئاً !..

وهذا تفوق كبير ... لسليمان على جميع ملوك عصره ... بل على جميع ملوك من بعده ...

فما سمعنا أن ملكاً ... أقيم له قصر كبير كله من الزجاج شديد الشفافية... من قوارير ... تجري المياه من خلاله ... ولا يدرك الناظر اليها ... أن هناك زجاجاً من فوقها من شدة صفاء الزجاج ... وهذا معنى « **من قوارير** » !..

وهذا كله ... شيء من معاني « **مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** » ...

وقد كان ... وما صنع هذا مَلِك بعده ... وما يستطيع ذلك أحد من بعده !..

ثم ماذا ؟!. ثم إن تسخير الجنّ لسليمان ...

منظر ... من المناظر الإلهية ... الفريدة العجيبة ...

منظر ... خطوطه العريضة ...

مَلِك من البشر ... له سلطان مطلق على عوالم الجنّ ...

والجنّ عوالم بالملايين ... لا يحصيهم إلا الله ...

وسليمان مُسلط عليهم بإذن الله ...

يأمرهم بما شاء ... ولا يعصون له أمراً ...

ويسخر منهم ما شاء ... فيما شاء ...

ويعتقل منهم من شاء ... ويفرج منهم عمن شاء ...

« **فامنُنْ أو أمسِكْ** » ...

امنُن على من شئت منهم بالإفراج عنه ... أو إعفائه من السخرة ...

أو أمسك مَن شئت منهم ... معتقلاً في الأصفاد ... أو أمسك من منهم مسخراً في الأعمال ...

يأمرهم أن يعملوا له ما يشاء ... ما يخطـــر على باله ... من عجيب الإنشاءات العبادية ...

« **يعملون له ما يشاء من محاريب** » ...

ويخرجونها أبدع إخراج ... ويزخرفونها بعجيب الزخارف ...

« **وتماثيل** » وكان ذلك مشروعاً في شريعته ... يبثونها في المعابد ...

أو يأمرهم بإقامة أضخم المشروعات الدنيوية ... في أسرع وقت ...

« **وجِفانٍ كالجوابِ** » وقصاع للطعام كأنها الحياض الضخمة ...

أدوات الطعام ... التي يُقدم فيهـــا الطعام لألوف الجند ... وألوف الضيوف ...

« وقدورٍ راسيات » ثابتات لضخامتها ... من الصعب نقلهـا لثقلها وضخامتها ...

لوازم الجيوش الضخمة ... لوازم طهي الطعام لألوف الجند ... وألوف العمال الذين يعملون لسليمان ...

منظر فريد ... ألوف من الجنّ ... تعمل ليل نهار لسليمان ...

هذا في البر ... فماذا في البحر ؟!

« ومن الشياطين من يغوصون له » ...

عمالقة من الجنّ ... يغوصون له في سائر البحار ...

ويستخرجون له اللؤلؤ والمرجان ... وما يحتاج اليه من غرائب البحار ...

ثم يعودون يحملون ما استخرجوا ... ويضعونه بين يديه ...

ليس ذاك وحده ... بل هم
يخافونه خوفاً شديداً ...

ويدلك على ذلك ... أنهم مكثوا يعملون له ولا يجترءون على التوقف عن العمل ... طيلة لبثه متكئاً على عصاه ... رغم أنه كان ميتاً ...

ولكن إذا نظروا ... ورأوه قائماً ... ظنوا أنه حيّ ... فاستمروا يعملون !..

وهذا يفسر لك شدة خوفهم من سليمان !..

لقد كان سليمان آنذاك سُلطان البشر ... المسلط عليهم ...

وكان هذا إشارة إلى قوة الجنس البشري ... وتفوقه على الجنس الجنّي...

وهاهو بشر واحد... آدمي واحد... وكل الجنّ مسخرون لأمره بإذن ربه...

فهو أعلى منهم جميعاً ... لأنهم سُخروا له جميعاً ...

منظر من المناظر الالهية الفريدة العجيبة ...

تجلت في سليمان ... وكم هناك من مناظر إلهية ... تجلت فيه !..

وهناك معنى أنسب بقدرة الجن في قوله « **وجِفان كالجوابِ** » وقصاع ضخمة كالحياض في الضخامة ...

« **وقدور راسيات** » وقدور ضخمة لا تُحرك من أماكنها ...

وهذا كله لزوم الصناعات المعدنية التي كانت تعج بها دولة سليمان ...

جفان كالجوابِ ... أحواض ضخمة يُصب فيهـــا الحديد ... أو النحاس المذاب ... ليتشكل بالأشكال المطلوبة ...

وقدورٍ راسياتٍ... وهي المرحلة السابقة على صب الحديدالمذاب والنحاس في الجفان ... مرحلة صهر الحديد أو النحاس ... وهذه يتحتم أن تكون قدوراً ضخمة متينة مما يجعلها يصعب نقلها أو تحريكها ... حيث يوقد تحتها النيران لصهر خام الحديد أو النحاس الذي فيها ...

أي ان الجنّ يصنعون له ما يعجـــز البشر عن صناعته من لوازم صناعات الحديد والنحاس ...

فالقدور لصهر الحديد والنحاس ...

والجفان ... لصب سائل الحديد والنحاس فيها ... لتشكيله في الهيأة المطلوب تشكيله فيها ...

وهذا أنسب لطبيعة الجنْ ... وعظمة الأعمال التي قاموا بها لسليمان ... وأظهر لوجه المنّة التيّ منّ الله عليه ... وميّزه بها !..

جفانٍ ... كالجوابِ ... كالأحواض ...

انهـــا أحواض الصب ... صب سائل الحديد ... أو سائل النحاس ... بحيث إذا برد أخذ الشكل المطلوب .

ففي الحوض المستدير ... كان لوحاً من الحديد مستديراً ...

وفي الحوض المستطيل ... أعطى لوحاً مستطيلاً وهكذا ...

أما القدور الراسيات ... فهي المرحلة الأولى ... حيث يُصهر الحديد أو النحاس ... وهذه الأفران يتحـــتم أن تكون سميكة الجدران ... غليظة البنيان حتى لا تتفجر وتتشقق ... ومن هنا كانت راسيات ... لا تتحرك وإنما هي ثابتة لتقاوم قوة صهر الحديد أو النحاس ...

وهذا يدخلنا إلى معجزة أخرى ؟!.

وأسَلْنا ... له ... عينَ القِطْر ...؟!

جمَع ...

الله ... في آية واحدة ... من كتابه الكريم ...

ما خصّ به سليمان ... من معجزات ... زيادة على ما ورثه عن أبيه داوود عليهما السلام ...

حيث قال عزّ من قائل :

« ولسليمان الريحَ غُدوها شهرٌ ورواحها شهر .

« وأسَلنا له عيْن القِطْر .

« ومِن الجنّ مَن يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » .

أرأيت ؟!.

المعجزات الثلاث التي آتاها الله سليمان ... زيادة عن أبيه ... أو بالإضافة إلى ما ورثه عن أبيه ...

سجلت في آية واحدة !..

الريح ... « **ولسليمانَ الريحَ** » ... ولسليمان خاصة سخرنا له الريح ... زدناه تسخير الريح ...

عيْن القِطر ... « وأسَلْنا له » له خـاصة ... « عيْنَ القِطْر » عين الحديد ... أو عين النحاس ...

قالوا : أسَلْنا من الإسالة ... أي أذبنا له من الإذابة ...

وقال البخاري : وأسَلْنا له عين القِطْر : أذبنا له عين الحديد ...

وقال قتادة : عين من النحاس ...

وقال الأعمش : سيلت له كما يسال الماء ...

الجنّ ... **« ومِن الجنّ مَن يعمل بين يديه »** ...

وهكذا وردت المعجزات الثلاث في آية واحدة متتابعات ...

تسخير الريح ... اسالة الحديد ... تسخير الجن ...

فانضم إلى مُلكه علاوة على ما ورثه عن داوود ... قوّى ثلاث ... ريح تجري بأمره ... حديد أو نحاس ... يسيل له كما يشاء ... عالم من الجنّ يعمل بين يديه ... أمام عينيه ... وطوع أمره ...

ولكن ما هي عيْن القِطْر هذه التي أسالها الله لسليمان ؟!

هل هي عيْن تسيل بالحديد كما تسيل العيون بالمـاء ... أو عين تسيل بالنحاس ... كما تسيل العيون بالماء ؟!.

ثم يغرف منها سليمان سائل الحديد ... أو سائل النحاس ... ويصنع منه ما شاء من مصنوعات ؟!.

هذا جائز في القدرة ... وأظهر المنّة على سليمان ... ودليل على أن الله خصّه بشيء لم يكن لأحد قبله ولا لأحد بعده ... استجابة لدعائه **« وَهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي »** ...

يبقى إشكال آخر ... هل القِطْر هو الحديد أم هو النحاس ؟!

الإمام الكبير البخاري ... ذهب إلى أنه الحديد ...

والذي يميل اليه القلب ... هو رأي البخاري ...

ويقوّي ذلك أن الآية السابقة على الآية الجامعة للمعجزات الثلاث تقول :

« ولقد آتينا داوود منا فضلاً ياجبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديدَ ».

« أن اعمل سابغات وقدّر في السّرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير » .

وبعد هاتين الآيتين مباشرة :

« ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسَلْنا له عيْن القِطْر »...

فبالنسبة إلى داوود ... « **وألنّا له الحديد** » . جعلنــــا الحديد له ليّناً كالشمع ... يشكل منه ما شاء من دروع سابغات ...

وبالنسبة إلى سليمان ... « **وأسَلْنا له عين القِطْر ...** » أي آتيناه عيناً يسيل منها الحديد كما يسيل الماء ... تتمة لعطاء داوود ... وزيادة عليه ...

فبعد أن ألين لداوود الحديد ... صار لسليمان مذاباً يسيل كما يسيل الماء ... ليتم سليمان ما بدأه داوود من مصنوعات ...

وإذا أخذنا أن « القِطْر » هو النحاس ... فتكون المعجزة هنا مميزة عن معجزة داوود في إلانة الحديد ...

هذا من ناحية القِطْر ... هل هو الحديد أم هو النحاس ؟! .

المهم أن الله أعطى سليمان منبعاً ينبع بالحديد ... ويمده بما شاء من المــادة الخام ... خام الحديد ...

وها هنا نفهم الإشارة في قوله تعالى :

« يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجِفــــان كالجواب وقدور راسيات .

« اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور » .

« يعملون له » يعمل الجنّ لسليمان ...

« ما يشاء » ما يأمر بعمله ...

«من محاريب » المحاريب بنيان ما دون القصور ... وقيل المحاريب جمع محراب وهو مقدم كل بيت ... وهو أيضاً المسجد والمصلى ...

أي ما يشاء من واجهات المباني ... التي يتركز فيها النقش والزخرفة ... أو واجهات المعابد ... حيث فن النحت والتصوير ...

» وتماثيل » جمع تمثال ... وهي الصُور ... وكان عمل الصور في الجدران وغيرها سائغاً في شريعتهم ...

والتماثيل تحتاج إلى فن رفيع ... وعلم بديع ... وكانوا يبثونهـــا في القصور والمعابد ...

« وجِفانٍ كالجوابِ » الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ... شبهت بالجوابي وهي الحياض التي يجبي فيها الماء ...

أي ... وقصاع كالحياض اتساعاً ...

« وقُدورٍ راسياتٍ » أي ثابتات لا يحركن من أماكنهن لعظمهن .

وكما قلنا من قبل ... أن القدور الراسيات ... هي أفران الصهر ... صهر الحديد أو النحاس ... وهذه يلزم أن تكون قدوراً ضخمة على الغاية من الصلابة وسمك الجدران ... لتتحمل حرارة الصهر المرتفعة ... وهـــذا يفسر قوله « راسيات » أي ثقيلة لا يمكن تحريكها ...

وأما الجفـــان كالجوابِ وقد فسرها الأقدمون ... بالقصاع كالحياض اتساعاً ... فهذه هي الحياض التي يُصب فيها الحديد السائل أو النحاس السائل ... بعد نقله من أفران الصهر أو القدور الراسيات ... لتشكيله في

الهيئة المطلوبة وتبريده ... فيجف ويبرد ... ويأخذ شكل الحوض المصبوب فيه ... أي يصير ألواحاً من الحديد أو النحاس ... ومن هذه الألواح ... تبدأ صناعة الحديد ... وصناعة النحاس ...

وها هنا ... يُضاف فهم جديد ...

انه يمكن أن يكون قوله « **وأسَلْنا له عين القِطْر** » ... بمعنى مكناه من اسالة الحديد ... وإسالة النحاس ... مكناه من اذابة الحديد والنحاس ... من صهر الحديد حتى يصير كالماء ... وصهر النحاس حتى يصير كالماء ...

وهذا يكون في أفران الصهر ... في القدور الراسيات ...

ثم مكناه من صب هذا السائل الحديدي ... أو النحاسي ... في أحواض التبريد ... جفانٍ كالجوابِ كالحياض ... وهي أحواض فعلاً ... وبالتجفيف عن طريق التبريد في هـــذه الأحواض ... يعود الحديد أو النحاس صلباً كما كان ... إلا أنه أخذ الشكل المطلوب ...

يمكن أن يكون هذا المعنى صحيحاً ... وهو لا ينافي المنّة على سليمان ... لأن اقامة أفران الصهر ... وأحواض التبريد ... لم يكن قائماً من قبل ... فإذا مكّن الله سليمانَ من إنشاء أفران الحديد وأحواضه ... بهذه الضخامة ... وسخّر له الجنّ ليعملوا له ذلك ... وهو ما لم يكن موجوداً ولا معلوماً للناس من قبل ... فإن ذلك يعتبر منّة وأي منّة ؟!.

وسواء هذا الاحتمال ... أو احتمال أن اسالة عين القطر ... كان اسالة عين بالحديد المذاب حقيقة ...

فالخلاصة أن الله أعطى سليمان منبع الحديد ومنبع النحاس ...

وهما أساس إقامة الصناعات الثقيلة والخفيفة كلها في عصره ... العسكرية أو المدنية ...

وسخّر له في ذلك جنوداً ليست لأحد سواه من الملوك في عصره ... أو من بعده ...

سخر له الجنّ ... يعملون له ما يشاء ... من بديع المبـــاني ... وروائع المعابد ... وعجيب التماثيل ...

فإن احتاجوا إلى الحديد ... فالحديد بكميات وافرة ...

وإن احتاجوا إلى النحاس ... فالنحاس مكدس لديه ...

وهذا تفوق له على سائر ملوك زمانه ... وبعد زمانه ...

والقوة العاملة في هذا ... قوة خارقة ... لهـــا قدرة خارقة ... قوة الجنّ ...

ينتجون ويعملون بلا مقابل ...

لأنهم مسخرون ... مهددون جميعـــاً بالإحراق فوراً ... اذا زاغوا عن أمره ...

« ومَن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » !..

نذقه فوراً ... عذاب الإحراق ...

وليس معنى عمل الجن لسليمان في هذه الأعمال كلها ... أنه أوقف عمل الإنس في مملكته اكتفاء بالجنّ ...

كلا ... فالكل يعمل عملاً دائباً ...

الإنس يعملون ... **« اعملوا آل داوود شكراً »** ...

اعملوا كلكم ... واشكروا لله ...

والجنّ ... **« يعملون له ما يشاء ... »** !!!

انها عملية التنافس والمنافسة ... التي هي أساس الإبداع في الأعمال ...

البشر يعملون ... ما هو في قدرة البشر من أعمال ...

والجنّ يعملون ... فيما لا يستطيعه البشر ... وما هو فوق قدرة البشر ...

وبذلك تـــتم النعمة ... وتستوجب الشكر ... « **اعملوا آل داوود شكراً** » !..

وسوف نرى ... في فصـــول قادمة ... عجائب إنشاءات سليمان ... وبدائع الصناعات ...

عجائب ... اجتمع فيها فنون البشر ... وفنون الجان !..

فذكرت ... دعوة ...

أخي سليمان ...؟!

أخرج البخاري ...

« عن أبي هريرة رضي الله عنه .

« عن النبي صلى الله عليه وسلم .

« ان عفريتاً من الجنّ تفلّتَ البارحة .

« ليقطع عليّ صلاتي .

« فأمكنني الله منه فأخذته .

« فاردت أن أربطه على ســـارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم .

« فذكرْتُ دعوة أخي سليمان ربّ هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي .

« فرددته خاسئاً » .

قالوا : عفريت : متمرد من إنس أو جان ...

والعفريت : القوي المتشيطن ...

تفلّت : تعرض لي فلتة أي بغتة ...

فذكرت دعوة أخي سليمان ... الخ : دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على ذلك ، إلا أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام .

قال ابن العربي :

« فقد أوتي محمد عليه الصلاة والسلام ما أوتيه سليمان وما ظهر .

« فمكنه الله تمكين قهر من العفريت الذي جاءه بالليل ليفتك به .

« فهمّ بأخذه وربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح فيلعب ولدان المدينة به .

« فذكر دعوة سليمان عليه السلام فرده الله خاسئاً .

« فلم يظهر عليه الصلاة والسلام بما أقدر عليه ، وظهر بذلك سليمان .

« ثم قوله (مُلكاً) فلم يعم ، فعلمنا أنه يريد مُلكاً ما ، ورأيناه قد شورك في كل جزء وجزء من الملك الذي أعطاه الله .

« فعلمنا أنه ما اختص إلا بالمجموع من ذلك .

« وبحديث العفريت إنه ما اختص إلا بالظهور .

« وقد يختص سليمان بالمجموع والظهور .

« ولو لم يقل صلى الله عليه وسلم في حديث العفريت « فأمكنه الله منه » لقلنا انه لما همّ بأخذه ذكره الله دعوة سليمان ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدره الله على أخذه فرده الله خاسئاً .

« فلما قال « فأمكنني الله منه » علمنا أن الله تعالى قد وهبه التصرف فيه .

« ثم ان الله ذكره فتذكر دعوة سليمان ، فتأدب معه .

« فعلمنا من هذا أن الذي لا ينبغي لأحد من الخلق بعد سليمان الظهور بذلك في العموم » .

وهذا رأي لطيف لابن العربي ... انه يريد أن يقول ... أن الذي لا ينبغي

لأحد من الناس بعد سليمان ... هو عموم تسخير الجنّ له ... عوالم الجنّ كلها مسخرة لسليمان في عمومها ... أما تسخير جنيّ واحد ... أو عدد محدود من الجنّ ... فيجوز أن يقع هذا لأحدٍ بعد سليمان ...

أما السيطرة على جميع الجنّ ... والتمكن من عوالمهم كلها ... وتسخيرها كلها ... وظهورها عياناً مجسمة ... فهذا لا يكون إلا لسليمان ... وهو يدخل في عموم دعوته « مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي » !..

وهو رأي رائع جميل !..

الملك سليمان ... يستعرض ...
سلاح الفرسان ...!؟

قال تعالى . . .

« إذ عُرض عليه بالعشي الصافناتُ الجيادُ .

« فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب .

« رُدوها عليّ فطفق مسحاً بالسُّوق والأعناق » .

أثنى الله تعالى على سليمان فقال :

« ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أوّاب » .

ثم أعطانا مثالاً جميلاً ... يدل على أن سليمان كان أوّاباً ... في أمره كله ... رجّاعاً إلى ربه ... في شئونه كلها ... فقال :

« إذ عُرِضَ عليه » إذ أمر بإقامة استعراض عام لسلاح الفرسان من جيشه ...

فأقيم الاستعراض الملكي ... وجلس سليمان على المنصة ومن حوله قادة الدولة ... وعُرض عليه ...

« بالعشيّ » بالمساء ... وهو أفضل وقت لاستعراض الخيل ... حيث يكون النسيم جميلاً ... لا يرهق الخيل في جريها واستباقها ...

« الصافنات » الخيل الصافنات ... وهي الخيل التي تدور سريعاً كالرحى ، على طرف حافر من حوافره ، ان أراد الراكب تدويره ... وهي من أجمل

أوصاف الخيل ، وأكملها عند أصحاب القتال ، إذ المبارز كثيراً ما يحتاج إلى تدوير فرسه يوم الحرب ... وأثناء النزال ...

« **الجياد** » سريعة الجري والعدو ...

وذلك انه قد جلس على كرسيه يوماً ... لإعداد أسباب القتال الذي قصد الخرُوج اليه يومئذ ... فأمر بعرض الخيول عليه ...

وفي بعض التفاسير ... عُرض عليه عشرون ألف فرس !..

منظر عسكري رائع ...

عشرون ألف فرس ... من أحسن أنواع الخيل ...

يركب عليها فرسانها ...

ويمرون جميعاً على الملك سليمان ... وهم يسابقون الريح بخيولهم ...

يتتابعون أمامهم عدْواً ... سراعاً ... حتى يغيب الفارس بفرسه عن الأعين ... ويتوارى في الأفق ... يتوارى بالحجاب ... بحيث يحتجب عن الأنظار ...

واستغرق الاستعراض الكبير وقتا طويلاً ...

وأحس سليمان ان الاستعراض أثار اعجاب الحاضرين ...

« **فقال اني أحببت حب الخير** » حب الخيل ... والعرب تسمي الخيل خيراً ... لما فيها من الخير ...

« **فقال** » فوراً بمجرد أن لاحظ سليمان استغراق الجماهير في تتبع الاستعراض ... وإعجابهم بكثرة الخيل ... وإعجابهم بقوة الدولة ...

فوراً ... قال ... مخاطباً ربه ... مناجياً خالقه ... معتذراً اليه ... أوّاباً اليه ...

« **اني أحببت حب الخير** » يا رب اني أحببت حــــب استعراض هذه الخيل ...

« **عن ذكر ربي** » حُباً صادراً عن ذكر ربي ... اعلاء لدينك ... ونشراً لدعوتك ... وإحقاقاً للحق في الأرض ... ما أحببتها لذاتها ... ولا إعجاباً بالقوة ... وإنما أجريتها تنفيذاً لأمرك ... وتعظيماً لجلالك ... وما النصر إلا من عند الله ...

اللهم اجعلها في سبيلك ... وابتغاء مرضاتك ... ولا تفتنا بقوة ... ولا تجعلنا نركن إلى الأسباب فنهلك ...

« **نعم العبد انه أواب** » ؟!.

وهذا مقام من مقامات سليمان ...

ها هو يُعرض عن الخيل ... ويستغرق في مناجات ربه ...

وهكذا أولئك الأنبياء ...

كلهم لله ... ظاهرهم باطنهم ...

حركاتهم ... سكناتهم ...

ها هو يحول استعراض الخيل ... إلى سيمفونية رائعة ... من ذكر الله ... وشكره على نعمته عليه ...

ها هو يؤوّب ويؤوّب ... لربه شاكراً ... ذاكراً ... رادّاً الأمــــر كله لله ...

وظل هكذا طيلة مدة الاستعراض ... حتى ؟!.

« **حتى توارت بالحجاب** » حـــتى غابت الشمس وتوارت بالأفق ... واحتجبت عن العيون !..

هنالك ... وقبل أن يغطي الظلام الأفق ... وتتعذر رؤية الخيل ...
أصدر سليمان أمراً ؟!.

« **رُدُّوها عليّ** » أعيدوا الخيل ... تمر عليّ ... تباعاً ... مشاة في سير بطيء ... بعد ان كانت تمر عليّ وهي تعدو سراعاً ...

وعادت الخيل تمرُّ على سليمان ... متتابعة ...

ووقف الملك سليمان يستقبلها ... كلما مرّ عليه فرس أصيـــل ... وعلى صهوته فارس كريم ...

« **فطفق مسحاً** » فجعل يمسح سليمان بيده الشريفة ...

« **بالسوق** » تارة يمسح بيده ساق الفرس ...

« **والأعناق** » وتارة يمسح عنق الفرس ...

تكريماً للفرس ... وتكريماً للفارس ...

وهذه الملاطفات للخيل ... تفرح بها الخيل ... وتتمايل لهـــا طرباً وسروراً ...

ويدرك الفرسان منها ذلك ... فتراهم يمسحون بسوقها وأعناقها ... وهي تتراقص طرباً !..

ما أعظم الأنبياء !..

وما أكرم الأنبياء !..

انهم أشرف البشر على الإطلاق ...

تصرفاتهم أكمل التصرفات ...

وأحوالهم أزكى الأحوال ...

ها هو النبي ... الملك ... سليمان ... عليه السلام ...

يستعرض آلاف الخيل ... وآلاف الفرسان ...

فما شغله ذلك عن ذكر ربه ...

بل جعله ذلك ... متوجهاً بكل قلبه إلى ربه ...

فبينما هو في الظاهر ... في استعراض ... في النـــاس ... إذا هو في الباطن ... يتوجه الى ربه ... أن يبارك هذه الخيل ... وهؤلاء الفرسان ... وأن يجعل ذلك كله في سبيل الله ...

حتى الخيل ... لم تُحرم من رحمة النبي سليمان ...

ها هو يمسح منها ... بالسوق والأعناق ...

وحين تمسح يد النبي فرساً ... يحس ذلـــك الفرس ... برحمة تسري في ثناياه ...

لأن الأنبياء ... ممدودون من الله ...

الأنبياء مستودعات للرحمة الربانية ...

فإذا مسُّوا شيئاً ... سرى فيه من رحمتهم ...

ولا تعجب ... فإنه سلـــيمان ... وارث داوود ... بكل فضل الله على داوود ...

وإنه مَن سخّر الله له الريح تجري بأمره حيث يشاء ...

وإنه مَن سخر الله له الجنّ ...

نبيّ هذا بعض شأنه ...

أتعجب أن تسري الرحمة منه ... إلى الخيل ... إذا مسح منها بالسُوق والأعناق ؟!.

وما .. كفر ... سليمان ...؟!

« وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدُوّاً .

« شياطين الانس والجنّ .

« يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » !..

ناموس أزلي ... ما من نبي إلا جعل الله له عدواً ...

أي ... ضداً ...

قوّى مضادة له ...

هم أهل الظلام ... شياطين ... مجرمو ... الإنس ... ومجرمو الجنّ ...

يُوحي بعضهم ... يوسوس بعضهم إلى بعض ... زخرف القول ... باطل الأقاويل ... وتزاويق الأوهام ...

غروراً ... وهْماً ... يتوهمون من جهلهم أنهم يستطيعون اطفاء نور الأنبياء ... الذي هو من نور الله ... بأفواههم ... وبما يصدر عنهم من أباطيل !..

وهيهات هيهات ...

فلو استطاع أحد ... أن يُطفىء الشمس ... اذا نفخ من فمه نفخة ...

لاستطاع هؤلاء المجانين ... أن يطفئوا نور الأنبياء !..

ولكنه ناموس إلهي ...

ما من نبي ... إلا جعل الله له عدواً ... شياطين الإنس والجنّ ...

لـماذا ؟!. ليتحقق الصراع ... بين الحق ... الذي جاء به الأنبياء ...
وبين الباطل الذي جاء به الأعداء ...

ومن ضرب هؤلاء بهؤلاء ... وهؤلاء بهؤلاء ...

تتشمشع الشرارة ...

وتنفجر الذرّة ... ويسطع الحق ... ويزهق الباطل ...

« بل نقذف بالحق .

« على الباطل فيدمغه .

« فاذا هو زاهق » !..

فكل نبي ... له عدو ... له ضد ...

وكما يصاول الأنبياء عن حقهم بالقول الحق ...

يصاول الأعداء عن باطلهم ... بزخرف القول غروراً !..

وسليمان ... باعتباره نبياً من الأنبياء ...

يتحتم دخوله ... في هذا الناموس ... ولن تجد لسُنة الله تبديلا !..

فماذا قال أعداء سليمان عنه ... وماذا زخرفوا من الأباطيل ؟!.

رشقوه ... بأنه ساحر !..

وتلك التهمة عناها الأنبياء جميعاً ... من قبله ... ومن بعده !..

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا .

« ساحر أو مجنون » .

ما من نبيّ ... إلا رشقوه بإحدى هاتين الفريتين ...

إما ساحر ... وإما مجنون ...

أو بهاتين الأكذوبتين معاً ... ساحر ومجنون ...

والكتاب العزيز ... ناطق بذلك ... في ثناياه ...

ولا يلزم سرد ما ورد فيه ... فإنه مشهور معلوم !..

وحين حار المسمى فرعون في أمر موسى ...

رشقه بالتهمتين معاً ...

« فتولى برُكنه وقال .

« ساحر أو مجنون » !..

هكذا ... ظن هذا اللعين ... أنه قضى على موسى ... حين قرر ... أنه إما ساحر ... وإما مجنون !..

فلماذا هاتين الفريتين بالذات ... يرشقون بهما أو بأيهما الأنبياء ؟!.

منشأ هذا هو الغباء !..

غباء البشرية المتواصل ... وقليل من الناس الأذكياء !..

الغباء يدفع الأغبياء ... إلى رفض ما أتى به الأنبياء !..

والعقدة منشؤها ... أن الأنبياء يأتون الناس ... بأفق أعلى مما ألفوا ...

يدعونهم ... مثلاً ... إلى إله واحد ...

أيُعقل هذا ؟!.

هل يُعقل أن يدير ويدبر هذا الملكوت كله إله واحد ؟!.

« اجَعَل الآلهة إلهاً واحداً .

« إن هذا لشيء عجاب » !!.

عجاب ؟!. ليس شيئاً عجيباً ... وإنما عجاب !..

إن عقولهم اضطربت أمام هذه الحقيقة الجبّارة الهدّارة !..

فليس أمامهم إلا أن يرفضوها ثم يقاوموها ... ثم اتهام مَن جـــاء بها بالجنون !..

فإذا تحداهم الأنبياء بالمعجزات الخارقات ... ولم يستطيعوا لها تفسيراً ... قالوا ... ساحر ... ما جاء به نوع من السحر !..

تمويهاً على الناس وتخليطاً !..

وهذا ما أصاب سليمان ... من هؤلاء المجرمين ...

رشقوه ... انه ساحر !..

لم يستطيعوا لمعجزاته تفسيراً ...

انه يُسخّر الريح ... تجري بأمره حيث يشاء ... عاصفة ورُخاء ...

ما هذا ... أيُعقل هذا ؟!.

فماذا إذاً يقولون ... قالوا ... انه ساحـــر ... يسحر الريح ... ويسخرها بالسحر !..

انه يُسخّر الجنّ ... تعمل بأمره ما يشـــاء من عجائب الإنشاءات ... وتغوص له في البحار ... وتأتيه بالمنقولات على بعد آلاف الأميال وتضعها بين يديه ... كما قال ذلك العفريت :

« قال عفريت من الجنّ .

« أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » !..

أيعقل هذا ... وكيف هذا ؟!.

فماذا يزخرفون في تعليل تلك الخوارق ؟!.

ليس أمامهم ... ألا أن يقولوا للناس ... ان سليمان ساحر ... بارع في السحر ... يُسخر الجنّ بالسحر ... بالتعاويذ ... والأقسام ... فتتطاوع له ... وتعمل له ما يشاء !..

هكذا ... كأنهم أتـَوْا على سليمان بهذا من القواعد ؟!.

وهذا جهل ... وغباء ... منتهى الغباء ...

فإن السحر ... علم تافه ... يستطيعه كثير من التافهين ... ويمكن تعلمه لمن شاء ...

ولكن معجزات سليمان ... ليست سحراً ... أيها الحمقى الأغبياء ...

معجزات سليمان ... أمرٌ ... صادر من الله ... فضلاً منه على نبيه ...

« **وسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء حيث أصاب** » !..

إنا نحن الله ... سخرنا ... له خاصة ... الريح ...

قلنا : يا ريحُ أطيعي أمر عبدنا سلـــيمان ... حيث يشاء ... عاصفة أو رُخاء !..

فسمعت الريح لأمر ربها ... وحُقـَّت ...

وكذلك الجنّ ...

« **والشياطينَ** » وسخرنا له ... نحن الله ... الشياطين ...

قلنا ... يا أيها الجنّ ... يا أيها الشياطين ... أطيعوا أمر عبدنا سليمان ...

وسمعت الجنّ لربها ... وتطاوعت لسليمان ...

لـماذا ؟!.

« **باذن ربه** » انه إذن من الله ... لسليمان ...

ما كان سليمان يستطيع أن يُسخّر نملة ... إلا أن يأذن الله له ... وإلا أن يصدر الله إلى النملة أمراً !..

تلك هي مصادر معجزات سليمان ... وهذا ما يعلو على عقول أعدائه ... فلا يستطيعون له فهماً !..

ودافع الله عن نبيه سليمان فقال :

« واتَّبَعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان .

« وما كَفَرَ سليمانُ .

« ولكن الشياطين كفروا .

« يعلمون الناس السحْر » ...

ماذا تتلو الشياطين على مُلك سليمان ؟!.

ماذا يقول شياطين الإنس والجنّ على عهد سليمان ؟!.

وماذا يقولون عن عجائب مُلكه ... من تسخير الريح ... وتسخير الجنّ ؟!.

ماذا يُرجفون ... وماذا يزعمون ؟!.

يذيعون في الناس ... أن سليمان ساحر !..

وأن كل ما يصدر عنه من خوارق ... وما يعمل له الجنّ من عجائب ... إنما هو سحر ...

إنه يسخر الجنّ ... بتعاويذ كتعاويذ الرهبان والعرّافين ...

وشاع ذلك وذاع ... على ملك سليمان ... أي على عهده ... وتناقله أعداؤه !..

« **وما كَفَـرَ سليمانُ** » ما نافية ... أي لم يكفر سليمان ... لأن السحر وتعاطيه ونسبة المعجزات إلى السحر ... كفر بالله ... وقدرته ... وسلطانه العظيم على خلقه ...

وهذا مستحيل في حق الأنبياء أجمعين ...

ومستحيل أن يصدر عن سليمان ... النبي الكريم ...

لأن السحر يبطل تأثيره بمجرد إبطال مفعوله وتأثيره ...

« **ما جئتم به السحر .**

« **إن الله سيبطله** » ...

وليس كذلك المعجزة ...

لأنها حق واقع ... ما له من دافع ...

فلو اجتمع الإنس والجنّ ... على أن يوقفوا ... مثــلا ... تسخير الجنّ لسليمان ما استطاعوا ...

لأن هناك أمر من الله ... ان تتسخر لسليمان !..

أما السحر فهو تمويه وحِيَل ينتهي بانتهاء تأثيره ...

« **ولكن الشياطين كفروا** » ولكن المجرمين ... من شيــاطين الإنس والجنّ ... هم الذين كفروا ... حين كفروا بسليمان ... وأنكروا نبوته ... وأنكروا معجزاته ... وأنها شيء من الله ...

« **يعلمون الناس السحر** » وما زالوا يعلمون الناس السحر ...

وهو علم ضار ... لا خير فيه ...

وألاعيب ... وتمويه ...

يحاولون بذلك... اضلال الناس ... وإضرارهم وإرهاقهم ...

وحاشا لسليمان ... أن يكون ساحراً ...

ولو كان ساحراً ... كما تشيعون وترجفون ...

لكان الجنّ أول من يتفلت من سلطانه عليه ...

ولكنهم يعلمون ... أن الأمر أمرنا ... والتسخير بإذن منـّا ...

فأنى لهم الهروب ... من أمرنا ...

« ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » .

المعجزة ... أمرٌ ... من الله ...

والسحر ... باطل ... من أباطيل الناس ...

هذا هو الفارق ... بين المعجزة ... وبين السحر ...

المعجزة ... بُرهان ... على قدرة الله ... يؤيد بها من شاء من أنبيائه ...

والسحر ... بُهتان ... يصدر عمن لا خلاق لهم من الإنسان ...

« ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم .

« ولقد علموا لَمَن اشتراه ما له في الآخرة من خَلاق .

« ولبئس ما شَرَوْا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

لو كانوا يعلمون ؟!.

وأنى لهم العلم ... وأكثرهم أغبياء ؟!.

سليمان ... يبني ... البيت ...؟!

نبي كريم ...

ومَلك عظيم ...

وهب الله له مُلكاً ... لا ينبغي لأحد من بعده ...

ترك له أبوه داوود ... كل امكانيات تشييد بيت الله ...

وأوصاه أن يبني لله بيتاً ... وأصى الشعب كله أن يعاونوه في اقامة ذلك البيت ...

فما أن استقر سليمان على عرشه ...

وما جاءت السنة الرابعة من حُكمه ...

حتى شرع في تشييد البيت ... وصبّ فيه كل امكانيات مُلكه ... وسخّر له طاقات البشر ... وطاقات الجنّ ...

فجاء أعجوبة من أعاجيب البناء ...

لا يضارعه بناء على الأرض في عصره ...

واستغرق التنفيذ سبع سنين ...

وافتتحه سليمان رسمياً ...

ودعا إلى حفل الافتتاح كل الشعب ... رؤساء ومرءوسين ...

وكان يوم الافتتاح عيداً عظيماً ... وحدَثاً جسيماً !..

لقد كانت أمنية تمناها داوود ...

ومات وهو يُعِدّ لها ...

فأوصى ابنه سليمان ... بتحقيقها ... فحققها في اخراج يفوق ما كان يتخيله داوود !..

فكيف كان ذلك ؟!.

اليك مقتطفات مما جاء عند أهل الكتاب ... تضع أمامك صورة حيّة لذلك المشهد العجيب ...

وكان لسليمان أربعون ألف مذود لخيل مركباته .

« وإثنا عشر ألف فارس ...

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطىء البحر ...

وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ...

« وكان صيته في جميع الأمم حواليه .

« وتكلم بثلاثة آلاف مَثَل .

« وكانت نشانده ألفا وخمسا ...

« وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته » .

هذا شيء عن سليمان ... وعظمة شخصيته ... وعظمة مُلكه !..

فماذا عن البيت ؟!.

« ... في السنة الرابعة لُملك سليمان ... بنى البيت للرب ...

« وكان كلام الرب الى سليمان قائلا :

« هذا البيت الذي أنت بانيه ، إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها ، فاني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به الى داوود أبيك » ...

لقد بدأ سليمان بناء البيت في السنة الرابعة من مُلكه ... فكيف كان هذا البيت ؟!

« فبنى سليمان البيت وأكمله .

« وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرْز ، من أرض البيت إلى حيطان السقف .

« وغشّاه من داخل بخشب ، وفرش أرض البيت بأخشاب سرْو .

« وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرْز من الأرض الى الحيطان .

« وبنى داخله لاجل المحراب أي قدْس الأقداس .

« واربعون ذراعاً كانت البيت ، أي الهيكل الذي أمامه .

« وارْز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قثّاء وبراعم زهور .

« الجميع أرْز . لم يكن يُرى حجر .

« وهيأ محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب .

« ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً ، وعشرون ذراعاً عرضاً ، وعشرون ذراعاً سمكاً .

« وغشاه بذهب خالص ، وغشى المذبح بأرْز .

« وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص .

« وسدّ بسلاسل ذهب قدّام المحراب ...

« وغشاه بذهب .

« وجميع البيت غشاه بذهب ، إلى تمام كل البيت ، وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب .

« وعمل في المحراب كرُوَبيّن من خشب الزيتون ، علو الواحد عشر أذرع .

« وخمس أذرع جناح الكروب الواحد ، وخمس أذرع جناح الكروب الاخر .

« عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه .

« وعشر أذرع الكرُوب الاخر .

« قياس واحد ، وشكل واحد للكروَبيْن .

« علو الكروب الواحد عشر أذرع ، وكذا الكروب الاخر .

« وجعل الكروبين في وسط البيت الداخلي ، وبسطوا أجنحة الكروبَيْن فمسّ جناح الواحد الحائط ، وجناح الكروب الاخر مسّ الحائط الاخر ، وكانت أجنحتهما في وسط البيت ، يمس أحدهما الاخر .

« وغشى الكروبَيْن بذهب .

« وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشاً بنقش كرُوبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج .

« وغشّى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج .

« وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون ...

« ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهب .

« ورصّع الكروبيم والنخيل بذهب .

« وكذلك عمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة، ومصراعين من خشب السرْو .

« المصراع الواحد دفّتان تنطويان ، والمصراع الاخر دفتان تنطويان .

« ونحت كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشاها بذهب مطرّق على المنقوش .

« وبنى الدار الداخلية ثلاثة صفوف منحوتة ، وصفاً من جوائز الأرْز .

« في السنة الرابعة أسس بيت الرب ...

« وفي السنة الحادية عشرة ... أكمل البيت ، في جميع أموره واحكامه .

« فبناه في سبع سنين » .

هذه صورة تفصيلية ... للبيت الذي بناه سليمان ...

أثبتناها ... من مراجع أهل الكتاب ... لأنهـــا حدث تاريخي وقع في يوم من الأيام !..

عظمة ... قصور ... سليمان ...؟!

كما ...

أمر سليمان ببناء بيت الله ...

أمر ببناء بيت ملكه ... يجلس فيه مَلكاً ...

« وأما بيته فبناه سليمان في ثلاث عشرة سنة ، وأكمل كل بيته .

« وبنى بيت وَعر لبُنان طوله مئة ذراع ، وعرضه خمسون ذراعاً ، وسمكه ثلاثون ذراعاً .

« على أربعة صفوف من أعمدة ارْز ، وجوائز ارْز على الأعمدة .

« وسُقف بأرْز من فوق على الغرفات الخمس والأربعين التي على الأعمدة .

« وكل صف خمس عشرة .

« والسقوف ثلاث طباق ، وكَوّة مقابل كوة ثلاث مرات .

وجميع الأبواب والقوائم مربعة مسقوفة ، ووجه كوّة مقابل كوة ثلاث مرات .

« وعمل رواق الأعمدة طوله خمسون ذراعا ، وعرضه ثلاثون ذراعا .

« ورواقا آخر قدامها ، وأعمدة وأسكفة قدامها .

« وعمل رواق الكرسي حيث يقضي ، أي رواق القضاء ، وَغُشي بأرْز من أرض الى سقف .

وبيته الذي كان يسكنه في دار أخرى داخل الرواق كان كهذا العمل .

« وعمل بيتاً لابنة فرعون التي أخذها سليمان كهذا الرواق .

« كل هذه من حجارة كريمة , كقياس الحجارة المنحوتة ، منشورة بمنشار من داخل ومن خارج ، من الأساس إلى الافريز ، ومن خــــارج إلى الدار الكبيرة .

وكان مؤسساً على حجارة كريمة ، حجارة عظيمة ، حجارة عشر أذرع ، وحجارة ثمان أذرع .

« ومن فوق حجارة كريمة كقياس المنحوتة وأرْز .

« والدار الكبيرة في مستديرها ثلاثة صفوف منحوتة ، وصــــفاً من جوائز الأرْز » ...

هذه بعض أوصاف قصور سليمان ... كما وردت عند أهل الكتاب ...

هذه فكرة عن قصوره ... فماذا عن رياش القصور ؟!.

« وعمل الملك سليمان مئتي تُرس من ذهب مُطرّق .

« خصّ الترس الواحد ست مئة شاقل من الذهب .

« وثلاث مئة مِجَنّ من ذهب مُطرّق .

« خص المجن ثلاثة أمناء من الذهب .

« وجعلها سليمان في بيت وعْر لبنان » .

ما هذا ؟!. هذه أدوات حرب من ذهب ...

مئات من التروس والمجانّ من ذهب !..

أودعها المَلك ... في قصره بالجبل !..

فماذا عن كرسي العرش ؟!.

« وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج ، وغشاه بذهب ابريز .

« وللكرسي ست درجات .

« وللكرسي رأس مستدير من ورائه .

« ويدان من هنا ومن هناك على مكان الجلوس .

« وأسدان واقفان بجانب اليدين .

« وإثنا عشر أسداً واقفة هناك على الدرجات الست من هنا ومن هناك .

« لم يُعمل مثله في جميع الممالك » !..

هذا كرسي الملك سليمان ...

منظر رائع ... ويزيده روعة ... أن الذي يجلس عليه نبيّ ... مَلك !..

فماذا عن آنية الملك سليمان ؟!.

« وجميع آنية شُرب الملك سليمان من ذهب .

« وعَر لبنان من ذهب خالص .

« لا فضة .

« هي لم تُحسب شيئاً في أيام سليمان » !..

هذه آنية الملك ... صحاف من ذهب ... كؤوس من ذهب خالص !..

انه « مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي » !..

في المُلك الظاهر ... فاق سليمان كل الملوك ...

وفي المُلك الباطن ... يحكم الإنس والجنّ والريح والطير ...

« فتعاظم الملك سليمان على كل ملوك الأرض في الغنى والحكمة .

« وكانت كل الأرض ملتمسة وجه سليمان .

« لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه » !..

ولنترك الآن مُلك سليمان الظاهر ...

ونرجع إلى مُلكه الباطن ...

لنستمتع بشيء من عجائب مُلكه الباطن ؟!.

قالت ... نملة ...!؟

قال ...

عزّ ثناؤه ... وتقدست أسماؤه ...

« ولقد آتينا داوود وسليمان علماً .

« وقالا الحمد لله .

« الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » .

بحر موّاج ... يموج بالجمال موجاً ... تلكم الآية الجميلة !..

ضَمّ موجة سليمان ... إلى موجة داوود ... واعتبرهما موجاً واحداً ...

لأن حقيقة داوود ... هي حقيقة سليمان ...

وحقيقة سليمان ... هي حقيقة داوود ...

كالبحر الزخّار ... تتعالى فيه ملايين الموجات ...

كل موجة لها هديرها ... وزئيرها ... ومظهرها ... ومنظرها ...

فإذا سكن البحر ... عادت الأمواج كلها بحراً واحداً !..

فإن قيل : لماذا اعتبر داوود وسليمان موجة واحدة ؟!.

قلنا : هاكم اقرءوا ... مطلع الآية التي بعدها مباشرة :

« وورث سليمان داوود » ...

ورثه وراثة كاملة ... كل ما آتى اللهُ داودَ ... ورثه سليمان ... ثم زاده الله ... ما شاء من فضله ...

ان هذا الكتاب عجيب ...

ما من شيء يهجس في نفسك ... إلا ويسارع الى تبيانه لك قبل أن تفكر فيه ؟!.

ولا عجب ... فإن الذي أنزله ... هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض !..

« علماً » ؟!.

الابهام ... للتفخيم والتعظيم ...

علماً ... لا ترقى اليه عقولكم ... ولا يخطر على بالكم ...

خصصناهما بعلم ... ان فصلناه لكم كذبتم ... وإن اجملناه لكم جهلتم...

اثنان ... يعلمان هذا العلم ...

داود ... وسليمان ...

لأنهما موضع التجربة ... يسري هذا العلم فيهما ... ويجري ...

أما أنتم ... فأنّى لكم الإحاطة بعلمهما ؟!.

الأنبياء ... علماء ...

ولكن أي نوع من العلماء ؟!.

لا سبيل لنا ... إلى شيء من هذا ... ولا نستطيع حيلة !..

علمهم ... منه ... وإليه ...

فهل فهمت شيئاً ؟!.

هو ... مصدر علمهم ...

وهو ... اليه يصعد علمهم ...

وهو ... أعلم بهم !..

وأخرى تتلألأ بالجمال الذي لا نهاية لجماله ...

« **وقالا الحمد لله** » قال داوود ... الحمد لله ...

وقال سليمان ... الحمد لله ... الثناء كله لله ...

كيف قال داوود ... وكيف قال سليمان ... الحمد لله ؟!.

أما داوود ... فكل ما كان منه ... طيلة حياته ... من أحاسيس ... أو مزامير ... أو أفعال ... أو أحوال ... هي أمواج من بحـــر حمد داوود لله ...

وكذلكم سليمان ... كل أحواله ... وكل أنفـــاسه ... وكل تصرفاته ... وكل حياته ... هي أمواج في بحر حمده لله ...

لأن الأنبياء ... كلهم ... ظاهرهم وباطنهم ... لله ...

وهذا هو حمدهم ...

« **قل** .

« **ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي** .

« **لله رب العالمين** .

« **لا شريك له** .

« **وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » !..

فليس معنى « **وقالا الحمد لله** » انهما قالا ذلك بلسانهما ... أو قالاه حيناً دون حين ...

كلا ... وإنما حياتهم كلها ... لله ...

وأقوالهم كلها ... ثناء على الله ...

وأفعالهم كلها ... ثناء على الله ...

وقلوبهم ... دائماً حامدة لله ... شاكرة لأنعمه ...

« الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » ...

يشعر داوود ... ويشعر سليمان ...

أن الله ... رفعهما رفعاً عظيماً ... لم يظفر به أحد من المؤمنين ...

نبوة ... مُلك ... معجزات ... حُكم ... فضل لا آخر له ...

بحار من الأنوار ... يسبحان فيها حيث شاءوا ...

وحيٌ يتنزل عليهم ...

الجبال تُنادَى « يا جبالُ أوبي معه » ... من أجل داوود ...

وسليمان ينَادَى « هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب » !..

تفضيل عجيب ... وعطاء واسع غريب !..

وكل منهم يشعر بهذا .. فكان قول داوود باستمرار ... وقول سليمان « الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » !..

ثم ماذا ؟!

ثم يقول سبحانه :

« وورث سليمان داوود .

« وقال يا أيها الناس عَلمنا مَنطق الطير .

« وأوتينا من كل شيء .

« إن هذا لهو الفضل المُبين » .

« وورث سليمان داوود ؟!

ماذا ورث سليمان عن أبيه داوود ؟!

ورثه في النبوة ... هذا نبي ... وذاك نبي ...

وورثه في المُلك ... هذا مَلك ... وذاك مَلك ...

وورثه في الحُكم ... هذا يحكم بين الناس « **فاحكم بين الناس بالحقّ** » ... وذاك يحكم بين الناس « **وكلا آتينا حُكماً وعلماً** » ...

وورثه في الصفات العليا ... صفات الأنبياء ... فأثنى عليهما معاً ... في ثناء واحد ... « **ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أوّاب** » ... أي نعم العبد داوود إنه أوّاب ... نعم العبد سليمان إنه أوّاب !..

وهذا من اعجاز القرآن !..

أي يشتركان في صفة عليا هي « **إنه أواب** » ... ويشتركان في جميع الصفات العليا ... فكل منهما « **نعم العبد** » !..

وفي قوله « **ووهبنا لداوود سليمان** » اشارة مكنونة ... ان في الابن كل ما في الأب من صفات عليا ... وهذا تمام النعمة على داوود ... وتمام النعمة على المولود !..

وورثه في العلم ... وكلاً آتينا حُكماً وعلماً » ...

وفي قوله « **ولقد آتينا داوود وسليمان علماً** » اشارة صريحة أن سليمان ورث علم أبيه ... ثم زاده « **ففهّمناها سليمان** » !..

وورثه في العلم بمنطق الطير ...

فهناك في داوود « **والطيرَ محشورة كل له أواب** » ...

وها هنا في سليمان ...

« وقال :

« يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير » ...

كما عُلِّم أبي داوود منطق الطير ... فإن الله أورثني ذاك ... وعُلمنا منطق الطير !..

وها هنا نُلغي عقولنا فوراً ... ونتفكر بقلوبنا ...

لأن العقل ها هنا صفراً ...

يقف كالأبله لا يفهم شيئاً !..

كيف ؟!. العقل يقول ... لا أدري ... لا تحملني ما لا أطيق !..

فنقول له : سُحقاً لك من أداة تافهة !..

ولنسبح بقلوبنا ... في بحر « **علّمنا منطق الطير** » لنشهد عجائب هذا المنظر الإلهي البديع ... الذي كان سليمان هو المرآة التي يتجلى فيها ...

جميع المراتب ... التي هي دون مرتبة الإنسان ...

الحيوان ... الطير ... الزواحف ... الحشرات ... الجراثيم ... الفيروسات ... الذرّات ...

عُلِّم سليمان ... منطقها ... هذا هو معنى « **عُلّمنا منطق الطير** » ...

وإنما نصّ على الطير ... لأنه أقرب إلى فهمنا ... والمنطق فيه أظهر للإنسان ...

فإن قلت ما دليلك على هذا التوسع ؟!.

قلت قوله : « **قالت نملة** » ... فالنمل مرتبة حشرات ... دون الطير بكثير ...

وإن قلت وما دليلك على أن سليمان عُلِّم منطق الذرّات والجمادات ؟!.

قلت قوله « **يا جبالُ أوّبي معه** » ... والجبال جمادات ... مكونة من ذرّات ... كان داوود يعلم تأويبها ... وتعلم تأويبه ... ويؤوبون « **معه** » !..

وورث سليمان داوود ... أي ورثه في هذا !..

وأخرى قد تمزق عقلك تمزيقاً !..

أن سليمان كان يعلم منطق الريح ؟!.

ودليلنا « **تجري بأمره رُخاء حيث أصاب** » !..

هناك أمر من سليمان إلى الريح ... وهـــذا الأمر يصدر من سليمان بمنطق تفهمه الريح ... لتستطيع أن تفهم ماذا يريد منها ؟!. أعاصفة أم رُخاء؟!.

فمثلا يريدها عاصفة ...

فهو يأمرها ... هُبي عاصفة ...

وهذا الأمر يصدر بلغة ... بمنطق تفهمه الريح ... ويفهم سليمان عنهـــا كذلك منطقها !..

فماذا هو قائل عقلك ؟!.

وأخرى ... قد تسلم بها تسليماً سريعاً ...

أن سليمان عُلـّم منطق الجنّ ... وعُلـّم الجنّ منطقه ...

فإن قيل : ما دليلك على هذه الثالثة الأخرى ؟!.

قلنا : صريح القرآن « **قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين** » !..

استبان الآن ... ونحن نسبح بقلوبنا ... لا بعقولنا ... في بحر « **عُلـّمنا منطق الطير** » ... انه ليس قاصراً على منطق الطير ... ولكن ممتداً ... إلى منطق المراتب كلها ... الجنّ ... الريح ... الحيوان ... الطير ... الزواحف ...

الحشرات ... الجبال ... الذرّات ... وما لا تعلمون !..

وتجد الإشارة إلى ذلك ... في تعقيب سليمان بعدها مباشرة ... اسمع :

« يا أيها الناس عُلـّمنا منطق الطير .

« وأوتينا من كل شيء » ؟!.

تأمل هذه بقلبك « وأوتينا من كل شيء » فيها شمول ... ومن شمولها ... أوتينا منطق كل شيء ... كما أوتينا منطق الطير ... وإنما أطلقها سليمان ولم يفصلها رحمة بعقول المخاطبين ... لأن عقولهم لا تطيقهـــا ... وتركها لأهل الإشارة ... وأهل القلوب يفتح الله عليهم في فهمها ما يشاء !..

بحر عجيب ... ومشاهد عجيبة ... وحقاً كما قال سليمان ...

« ان هذا لهو الفضل المبين » . الواضح وضوحاً شديداً ... لمن كان له قلب ... أو ألقى السمع وهو شهيد !..

ليس ذاك هو الأمر ... وإنما الأمر هو ...

سلـّمنا أن سليمان عُلـّم منطق المراتب كلهـــا ... فكان يعلم ماذا تقول الجنّ ... ماذا تقول الريح ... ماذا تقول الحيوانات ... ماذا تقول الطير ... ماذا تقول الأسماك في البحار ... ماذا تقول الجبال ... ماذا تقول الأشجار ... ماذا تقول الذرّات ؟!.

فضل آتاه الله إياه ...

ولكن الذي لا تطيقه العقول ... ولا تفهمه ... كيف عُلـّم هؤلاء جميعاً منطق سليمان ؟!.

هل كان سليمان يتنزل الى منطقها ويخاطبها بلغتها هي ... أم هي تتعالى إلى سليمان وتخاطبه بلغته هو ؟!.

أجيبوا أيها الناس ... وما أظنكم تستطيعون !..

بمعنى حين حاور سليمان الهدهد ... وحاوره الهدهد كما هو مسجل في كتاب الله ...

هل وقع الحوار بينهما بلغة سليمان والهدهد كان يفهم لغة سليمان ...

أم وقع الحوار بلغة الهدهد ... وسليمان كان يفهم لغة الهداهد ؟!.

أم هناك لغة كونية ... مشتركة بين الكائنات جميعاً ... كانت هي وسيلة التخاطب بين سليمان وبين هؤلاء ؟!.

كل أولئك كان جائزاً ...

وكل أولئك ... قد تكون الحقيقة مخالفة له ...

انها حيرة العقل ...

ولكن القلب يقول ... آمَنّا به ... كل من عند ربنا !..

ولننتقل الآن ... إلى تلك الجميلة الرائعة ...

التي اسمها « **نملة** » ؟!.

فتبسم ... ضاحكا ...

من قولها ...؟!

هذه النملة ...

احبها ... لأن الله اختارها ... من بين ملايين النمل ... وسجلها في كتابه الكريم ... وأنزل فيها آيتين من كلامه العظيم ...

وهذا شرف لم يظفر به كثير من خلق الله ...

احبها ... لأنها دليل على أن التجلي الإلهي في أصغر شيء ... كالتجلي في أكبر شيء ...

ها هنا قدرة ... وها هنـــا قدرة ... واللبيب من يدرك مظاهر القدرة في أي شيء ...

احبها ... لأنها اضطرت نبياً من الأنبياء ... إلى الضحك ... والأنبياء يندر أن يضحكوا ...

وقصتها البديعة ... تبدأ من ها هنا ...

« وحُشر لسليمان جنوده .

« من الجنّ والانس والطير فهم يُوزعون » .

في مكان ما بالشام ... في مكان واسع بالخلاء ... خارج زحمة المدينة ...

أمر سليمان بهذا الحشر ...

والحشر هو الجمع ... أي أصـــدر أمراً الملك سليمان بحشد قواته ... من الجنّ ... ومن الإنس ... ومن الطير ...

منظر جميل ... ألوف من الجنّ ... المسخرين لسلـيمان ... من الجن المؤمنين ... أو من الجنّ الشياطين ...

ونادى الملك سليمان ... آمراً قواده من الجنّ وقواده من الإنس ... وقواده من الطير ...

اجمعوا لي قواتكم ... في استعراض عام ....

في وادٍ فسيح ... خارج المساكن ... وادٍ يسمح بالحركة لهذه الألوف العديدة ...

واصطف الجنّ صفـّاً صفـّاً ....

ولا شك أنه منظر فريد ... لم يحدث لأحد قبل سليمان ... ولا لأحد بعد سليمان ...

فربما كان الجنّ بالملايين ...

ويزيدهم غرابة ... أن يُؤمروا بالظهور ... في أجسام مرئية ... يبصرها الناس ... وهذا يثير العجب والفزع في الناس ...

ثم ألوف من الجند من البشر ... وعلى رأسهم قادتهم ... مشاة ... أو على صهوة خيولهم ...

ثم ألوف من الطير ... من شتى أنواع الطير ... تجمعت من أنحاء الأرض ... واصطفت صفوفاً ...

ساحة فسيحة ... وهؤلاء جميعاً يتلاحقون فيها ... ويصطفون في نظام تام ... وتوزيع بديع ... كل صنف مع صنفه ... حتى يتيسر للملك سليمان استعراض الجميع ...

« **وحُشر** » وُجمع .

« **لسليمان** » تنفيذاً لأمر سليمان ... بإقامة استعراض عام لجميع قواته ...

لسليمان ؟!.

فيها إشارة جميلة ... ان هذا الحشر لسليمان فقط ... ليس لأحد قبله ... ولن يكون لأحد بعده ...

خاصية لسليمان ... ميزة ميزنا بها عبدنا سليمان ...

فإن جمع المراتب كلها ... هكذا في جمع عام ... لم يحدث قبل سليمان ... ولا يحدث بعد سليمان !..

« جنوده » القـُوى المسخرة له خاصة ...

« من الجنّ » من جميع أنواع الجنّ ... من مـــلوك الجنّ ... وصعاليك الجنّ ... من مؤمني الجنّ ... ومن كفار الجنّ أي الشياطين ... من المردة والعفاريت وسائر أنواع الجنّ ... فإن سلطان سليمان كان عليهم جميعاً ...

وحشر الجنّ في هذا الموضع .٠. حشر اظهار للجنّ في أجسام ظاهرة ... وهذا أدل على القدرة ... فإن حشرهم لو كان بغير ظهور لا فائدة فيه ... وإنما الجديد ها هنا ... هو ظهور هؤلاء الجنّ بحيث يراهم الإنس ...

وهذا منظر لم تشهده الأرض قبل سليمان ... ولا بعده ...

معجزة له خاصة ... وهذا هو معنى « لسليمان » ...

« والانس « والناس ... الجيش كله يخرج لهذا الاستعراض ... ألوف من الفرسان ... كل يمتطي صهوة جـــواده ... وألوف من المشاة ... كل يحمل سلاحه ...

« والطير » وأصدر سليمان أمراً ... إلى الطير ... من كل نوع ... فاجتمع له ملايين منها ... كل صنف يتبع أميره ... ويصطف خلفه ...

« فهُم » جميعاً ...

« يُوزعون » يُحبس أولهم لآخرهم حتى يتلاحقوا ...

وهذا بلغة العسكرية ... أي يسيرون في نظـــام عسكري ... صفوفاً منتظمة ... في خُطى منتظمة ... اذا اضطت صف ... سوّى السائرون صفوفهم أولاً بأول ... حتى تكون الصفوف كلها مستوية في مشيتها ...

وكذلك في اصطفافهم في الساحة ... اصطفوا في نظام تام ... وصفوف مستقيمة مستوية ... وعلى رأسها قادتها ...

ما هذا ... وما معنى هذا ؟!.

معناه جميل جداً ...

كأنه يراد أن يقال ...

لا خلق الله المراتب ... وأقامها في نواميسها ...

الجنّ ... يرون الإنس ... والإنس لا يرونهم ...

والطير ... مفرقة في أنحاء الأرض ... تطير حيث تشاء ...

فإن الله الذي أقامهم في نواميسهم هذه ...

يقدر أن يخرجهم من هـــذه النواميس ... ويقيمهم في أسلوب آخر غير ما تألفون ...

فها هي الجنّ تستخرج من ناموسها ... الذي لا يسمح للإنس برؤيتهم ... إلى ناموس آخر ... يسمح للبشر برؤيتهم ظاهرين ...

وها هي الطير ... التي لا سلطان لأحد عليها في حياتها ...

تُجمع وتُحشر وتستعرض في مكان واحد ...

وها هو سليمان ... سلطاناً على الجميع ...

يأمرهم أن يجتمعوا ... فيجتمعوا ...

والناس يدفعهم للكفر إلف النواميس ... وثباتها وعدم تغيرها ...

فلا بد من هزمهم هزاً عنيفاً ... وذلك يكون بتغيير النواميس ... وهو ما يسمى بالمعجزة ...

وهدفها زلزلة الغباء المتراكم على عقول الناس ... من إلف الأشياء تسير على وتيرة واحدة ... لا تحرك منهم ساكناً ...

فتأتي المعجزة بشيء يخالف المألوف فتهزهم هزاً عنيفاً ...

وتشعرهم أن هنـــاك قوة خارقة ... تستطيع أن تغير النواميس إذا شاءت ...

وسليمان باعتباره نبياً ... مهمته الأولى ... إظهار قدرة الله ...

وكأن هذا المنظر العجيب ... المراد منه ... تفهيم الناس وغير الناس ... أن قدرة الله ... تفعل ما تشاء ... ولا يقيدها شيء ... كما يتوهمون ...

منظر غاية في الغرابة ... ألوف وألوف من الجنّ ظاهرين ... كيف كانت هيأة الجنّ حين ظهروا ... وكيف كانت صُورهم ؟!.

وكيف كان شعور الإنس ... حين فوجئوا بالجنّ أمامهم صفوفاً صفوفاً ؟!.

ثم كيف كان منظر ألوف الأنواع من الطير ... وهي تقف صفاً صفاً ... كل يغرد أغاريده ... في أصوات مختلفة ...

وسليمان كيف كان في هذا المشهد العجيب ؟!.

الظن أنه كان يركب الريح ... يركب الهواء ... فإن الريح مسخرة له عاصفة ورُخاء !..

المراتب محشورة ...

وسليمان على متن الريح ... يُطل عليهم من أعلى ... ويتنقل بينهم كيف يشاء ... ويستعرضهم جميعاً ...

ويفهم منطقهم جميعاً ... ويتخاطب مع من شاء منهم !..

وحين يركب سليمان الريح ... في استعراض ضخم كهذا ... لا يؤوده أن يراهم جميعاً ... فرداً فرداً ... وصفاً صفاً !..

في هـــذا المشهد البديع ... وقعت واقعة النملة البديعة ... فكيف كان ذلك ؟!.

« **حتى إذا أتـَوا على وادِ النمل** » فلما اقتربوا أثناء مسيرهم وتجمعهم إلى ساحة العرض الكبرى ...

فلما أوشكوا أن يسيروا في واد النمل ... وهو وادٍ يكثر فيه النمل ... ويتخذ فيه كثيراً من المساكن ...

« **قالت النملة** » فزعت مما شهدت ... وخشيت على أهلها ... فصاحت محذرة منذرة ...

« **يا أيها النمل** » نادت جميع النمل المنتشر في الوادي ... كما هي عادة النمل حين ينتشر في كل اتجاه ...

« **ادخلوا مساكنكم** » أسرعوا ... أسرعوا ... وعـــودوا فوراً الى مساكنكم ...

« **لا يحطمنـّكم** » لا يسحقنكم ... لا يدمرنكم ...

« **سليمان** » ها هنا وجه العجب العجاب ؟!.

من أين لهذه النملة الخالدة ... معرفة أن هذا الرجل هو سليمان ... وأن اسمه هو سليمان ؟!.

ها هنا أسرار عجيبة ...

ان النمل من ضمن المراتب التي عُلـّم سليمان منطقها ...

فهي مسخرة له ... وهي تتكلم معه ... ويتكلم معها ... وتفهم عنه ... ويفهم عنها ...

ومن هنا سبق المعرفة ... من هذه النملة لسليمان ...

تعرف اسمه ... وتعرف شخصه ... وتعرف لغته ... وتتخاطب معه... وتتلقى أمره ... وتنفذ أمره !..

عجب ... والله عجب !..

فلو أن الذي عرف أن هذا هو سليمان ... كان فرداً من البشر ... لقلنا هذا شيء طبيعي ... فشهرة الملوك تجعلهم معلومين للناس ...

ولكن ... هذه النملة ... ما علاقتها بسليمان ... ومن أين لها ادراك أن هذا هو سليمان ... ومن أين للنمل كله الذي تصيح فيه ... ادراك أن هذا هو سليمان ؟!.

انها تصيح « **لا يحطمنكم سليمان** » ... اذاً هؤلاء النمل يعرفون أيضاً ... مَن سليمان هذا ... وإلا فلا فائدة من تحذيرهم منه !..

عجائب ... والله عجائب !..

« **وجنوده** » وهذه أعجب من أختها !.. من أين لهذه النملة ادراك أن هؤلاء جنود سليمان ؟!. ومن أين للنمل كله ادراك أن هؤلاء كذلك جنود سليمان ؟!.

« **وهم لا يشعرون** » لضآلة أجسامكم ... تسحقكم أقدامهم سحقاً ... وهم لا يشعرون ان الآلاف من النمال قد سُحقت ومُحقت !..

ما أجمل هذه النملة !..

لقد نبهت أمة من النمل إلى خطر ساحق ... ومصيبة قادمة ...

وفوراً ولـّى النمل هارباً إلى مساكنه ... شاكراً لله أن سخّر له من ينبهه إلى الخطر !..

وها هنا ... تسطع شمس سلـيمان ... وندخل الى آية من آيات الله ... تلألأت من عبده سليمان ...

« **فتبسم** » وفوراً بمجرد أن سمع مقالتها ... وعلم قولها ... تبسم ...

« **ضاحكاً** » واشتد به الإحساس بنعمة الله عليه ... فضحك ...

لم يقهقه لأن الأنبياء لا يقهقهون ... وإنما ضحك ...

ما الذي أضحك سليمان ؟!.

« **من قولها** » من احكام قولها ... وصدق حديثها قومهـا ... وحسن ادراكها للخطر ... وأدب تعبيرها حين قالت « **وهم لا يشعرون** » لأنها تعلم أن سليمان نبي معصوم ... والأنبياء لا يعتدون !..

أضحكه الإعجاب بقدرة الله ...

أضحكه عظيم الشعور ... بفضل الله عليه ... أن علـّمه منطق النملة ... وأسمعه قولها ... من دون الناس جميعاً ...

وعلى الفور ... أمر سليمان ... مواكب جنوده أن تحيد عن وادِ النمل هذا ... وتتخذ طريقاً سواه ...

وعظـُم احساس نبي الله ... بنعمة الله عليه ...

وتلألأت أمام عيني قلبه ... قدرة الله في خلقه ... حتى بلغت في نملة هذا المبلغ ... فنادى سليمان ربه ...

« **وقال رب اوزعني** » رب ألهمني ... وامنـُن عـلـيّ ... كما مننت عليّ كثيراً ...

« أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليّ » وأي نعمة هي أعظم من هذا ... نملة تقول هذا ... وتفعل هذا ... وتدرك هذا ... سبحانك ؟!.

« وعلى والديّ » وعلى والدي داوود ... وقد آتيته فضلاً عظيماً ... وعلى والدتي أن وهبت لها سليمان ...

ثم تواضع سليمان وتواضع ... وخشع ثم خشع ... وامّحى ثم امحى ...

« وأن أعمل صالحاً » وألهمني ... أن أعمل عملاً صالحاً ... يصلح أن يصعد اليك ...

« ترضاه » لأن العمل لا عبرة بصلاحه ... وإنما العبرة أن يكون عند الله مرضياً ...

« وادخلني برحمتك » لا بعملي فإنه لا عمل لي ... وإنما برحمتك ... وبفضلك ...

« في عبادك الصالحين » ... ها هنا كان سليمان في مقام الفناء ...

حيث لا يرى إلا الله !..

أما هؤلاء جميعاً ... هذا الحشد الحاشد من الجنّ والإنس والطير ... فقد غابوا من قلب سليمان ... ولم يبق إلا ذو الجلال والإكرام ...

لقد فجّرت نملة ... نملة واحدة أحاسيس سليمان ...

فتبسم ... ضاحكاً ... من قولها !..

وضحك الأنبياء حق ...

وإياك إياك أن تظن أنهم يضحكون مما منه نحن نضحك ...

كلا ... انهم يضحكون اعجاباً بالقدرة !..

فجّرت نملة من قلب سليمان ... ما لم يفجره هؤلاء جميعاً من جنوده ..

والأنبياء يصعدون في لحظة . . . ما لم تصعده أمة بأكملهـــا . . . طيلة أعمارها !..

أعجبني من تفسير الإمام الميرغني قوله :

« وقتل النمل منهى عنه لحديث مرفوع .

« لا تقتلوا النمل ، فان سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي ، فاذا هو بنملة مستلقية على قفاها ، رافعة قوائمها تقول :

« اللهم إنا خلق من خلقك ، لا غنى لنا عن فضلك .

اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك القانطين .

« واسقنا مطراً تنبت لنا به شجراً ، وأطعمنا به ثمراً .

« فقال سليمان لقومه : ارفعوا ، فقد كفيتم وسقيتم بغيركم » .

[رواه الدار قطني]

ولله في خلقه أسرار !..

ما لي ... لا أرى ...

الهدهد ...؟!

في تنفس ...

الاستعراض العام ... الذي أقامه سليمان ... لجنوده من الجن والإنس والطير ...

وقعت هذه الواقعة ...

« وتفقد الطير فقال ما ليَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين .

« لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنَّه أو ليأتينّي بسلطان مبين » .

جاء دور استعراض الطير ...

وجعل سليمان يتفقد أنواع الطير المحشورة له في صفوف منتظمة ...

على رأس كل نوع من الطير أميره ...

وجاء دور الهداهد ... ألوف من الهداهد تصطف في نظام بديع ...

وجعل سليمان ... يتكلم معها ... ويداعبها ... وتتكلم معه ...

وها هنا وقعت معجزة من النبي الملك سليمان ...

معجزة فيها برهان على أن سليمان ... كان يحيط علماً بكل أنواع مملكته من الجنّ والإنس والطير ... ويحصيهم عدداً ... فرداً فرداً !..

وهذا لا يمكن أن يكون من أحـــد ... إلا عن علم علمه اياه ربه ... واختصه به ...

وقد يكون هذا ممكناً في أفراد جيش من الإنس ... حيث تمسك ادارة الجيش سجلات ... وتثبت فيها أفراد القوات فرداً فرداً ... وإسماً إسماً ...

وبذلك يمكن معرفة الغائب من قوة الجيش أثناء التفتيش ...

أما اذا كانت هذه القوات من الجنّ ...

أو من الطير ... وهي أنواع لا تُحصى ...

فإن هذا لا يمكن حدوثه ... أو معرفة الغائب من أي نوع منها ... إلا عن علم إلهي ... موهوب للنبيّ ...

وها هنا المعجزة من أمر سليمان ...

لقد لاحظ أثناء تفتيشه على الهداهد ... أن هناك هدهداً واحداً غائباً ... وغير موجود ...

هدهد واحد ... تخلف عن الحضور مع زملائه من الهداهد ...

فعلم سلم سليمان ... فوراً ... أن هذا الهدهد غـــير موجود ... بين زملائه الهداهد !..

ومعنى هذا أن سليمان قد أحاط بكل الهداهد علماً ... وأحاط بهم عَدَداً ... وهذا مستحيل إلا اذا كان عن علم إلهي !..

« ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » !..

علمـــاً ؟!.

وهذا الأمر العجيب ... هو من هذا العلم ...

علماً ... به يَعـــلم أفراد مملكته من الجنّ ... والإنس ... والطير ... فرداً ... فرداً ... وواحداً واحداً ...

وتلك هي المعجزة ... وذلك هو الفضل المبين !..

« وتفقد الطير » واستعرض سليمان ... أنواع الطير كلها ... وتأملها ... وكلمها ... وكلمته ... حتى جاء الدور على الهداهد ...

« فقال » حين لاحظ أن هناك هدهداً واحداً غائباً ...

« ما لِيَ لا أرى الهدهد » ومعنى هـــذا أن هذا الهدهد بالذات معلوم لسليمان باسمه ...

« أم كان من الغائبين » عن هذا الاستعراض أصلاً ... ولم يحضر اليه ... لأنه غائب عن المكان كله ...

وهذه احاطة عجيبة ... من سليمان ...

هدهد واحد غائب ... أثار انتباهه ... وجعل يسأل عنه !..

وهذه الدقة البالغة ... والإحاطة الشاملة من سليمان بأفراد الطير ... من كل نوع ...

أثارت دهشة الطـــير كله ... وحمد كل طائر ربه ... انه لم يكن من الغائبين ... فيقع به ما هدد سليمان بإنزاله بذلك الهدهد الغائب !..

« لأعذبنّه عذاباً شديداً » تهديد شديد ... أمام الجميع ... لهذا الهدهد الذي اجترأ ... وغاب عن الحشد العام ... بغير استئذان ...

« أو لأذبحنّه » أو اذا كان جرمه فظيعاً ... لأذبحنه ... موتاً يموت ذبحاً ... ليكون عبرة لغيره ...

« أو ليأتيني بسلطان مبين » بعُذر يوضح أسباب غيابه ...

بعُذر بيّن أعذره فيه ...

قال الامام القشيري ... في لطائف الاشارات :

« تطلبه ... فلما لم يره ... تعرّف ما سبب تأخره وغيبته ...

« ودلّ ذلك على تيقظ سليمان في مملكته ...

« وحسن قيامه وتكفله بأمور أمته ورعيته .

« حيث لم تخف عليه غيبة طـــير ، هو من أصغر الطيور ، لم يحضر ساعة واحدة !.

« ثم تهدّده ان لم يكن له عُذر بعذاب شديد .

« وذلك يدل على كمال سياسته وعدله في مملكته .

« في هذه الآية دليل على مقدار الجُرم .

« وأنه لا عبرة بصغير الجثة وعظمها .

« وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف .

« ولا يبعد الآن أن يكون عليها شرع ، وأن لهم من الله إلهاماً وإعلاماً ، وإن كان لا يعرف ذلك على وجه القطع .

« وتعيين ذلك العذاب الشديد ، غير ممكن قطعاً ، إلا تجويزاً واحتمالاً .

« وعلى هذه الطريقة يحتمل كل ما قيل فيه .

« وقد قيل هو نتف ريشه وإلقاؤه في الشمس .

وقيل يفرق بينه وبين أليفه .

« وقيل يُلزمه خدمة أقرانه » ...

قلت : بل الأعجب من اعجابنا بيقظة سليمان في مملكته ... وعدله في أحكامه ...

ان نعجب من احاطته ... بأفراد مملكته من الطير ... فرداً فرداً ... حتى يعلم غياب هدهد واحد لم يحضر الاستعراض ...

فالمعجزة الكبرى لسليمان ... في هذا المشهد ... أن يحيط علمه بدقائق قواته ... وأن تبلغ هذه الإحاطة ... الى درجة تمكنه أن يدرك على الفور ... أن هناك واحداً من آلاف الهداهد غائباً ...

ولما كانت المعجزة الكبرى ... ها هنا هي الإحاطة ...

لزم أن يكون التحدي ... بنفس النوع ...

أنت يا سليمان ... أحطت علماً بأفراد مملكتك ... فرداً فرداً ...

إذاً ... ُخذ هذا التحدي ... من نفس النوع ...

معجزتك الإحاطة ... فسوف نتحداها ... بإحاطة تطيح بها ...

وأنت تهددت الهدهد ... َعلناً ... أمام الجميع ...

فسوف ... يتحداك الهدهد ... علناً ... أمام الجميع ...

وماذا أنت قائل ... وأنت النبي الملك ...

إذا تحداك ... طائر صغير ... في احاطتك ...

فتفوقت احاطته ... على احاطتك ... أمام الجميع ؟!.

مشهد على الغاية من الجمال ...

ومنظر من المناظر الإلهية البديعة ...

وهذا هو السر ... في قول الهدهد ؟!.

أحَطتُ ... بما لم ... تُحِطْ به ...؟!

ظهور ...

القدرة الإلهية ...

أو ظهور التجلي الإلهي ...

في طائر صغير ... ضعيف ... كالهدهد ...

أعجب وأغرب ... من ظهور القدرة ... في نبي كريم ... وإنسان عظيم ... كسليمان !..

ذلك أن الإنسان كائن مؤهل من حيث تركيبه ... المعقد غاية التعقيد ... والمحكم غاية الإحكام ... مؤهل لأن تظهر فيه عجائب القدرة الإلهية ...

أما طائر كالهدهد ... محدود التركيب ... إذا ظهر فيه التجلي الإلهي ... فإن الأمر يكون عجيباً حقاً !..

قلنا أن معجزة سليمان ... في فطنته ... بحيث أحاط علمه بغياب أحد الهداهد ... عن حضور الاستعراض ...

ومن هنا كان التدبير الإلهي ... أن تُضرب احاطة سليمان ... بإحاطة هُدهُد ...

ليظهر للخَلق أجمعين ... ان الأمر كله لله ... وأن ليس لسليمان من الأمر شيء ...

وإن العلم علم الله ... يؤتيه من يشاء من عباده ...

وإن الفضل بيد الله ... يؤتيه من يشاء ...

وإن علم سليمان الذي بهركم ... هو علمي وليس علم سليمان ... « **ولقد آتينا داوود وسليمان علماً** » ...

ولو ذهبنا بما آتيناه من علم ... لوقف سليمان لا يعلم شيئاً ...

ولو منحنا كائناً ما ... مهما كان صغيراً في أعينكم ... علماً منا ... لظهرت منه علوم تحارون في فهمها !..

وسوف نشهدكم ذلك في تجربة عملية ...

تجرى أمام أعين المراقب كلها ...

أمام أعين الجنّ ... الذين يرعبون من سليمان رُعباً !..

وأمام أعين الإنس ... الذين يحارون في معجزات سليمان !..

وأمام أعين الطير ... الذين جاءوا من أطراف الأرض... طوعاً وكرهاً ...

«**فمكث غير بعيد فقال أحطتُ بما لم تحطْ به وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين**».

« **فمكث غير بعيد** » فلم يلبث الهدهد ان جاء ... وعلم أن سليمان قد تهدده ...

غير بعيد ... غير طويل من حين تفقده ...

« **فقال** » الهدهد ... حين قال له سليمان : ما خلفكَ عن نوبتك ؟

منظر تاريخي ...

النبي الملك ... ذو السلطان المطلق ... على الجنّ والإنس والطير ...

هدّد الهدهد علناً ... إما العذاب الشديد ... وإما الذبح ... وإما عذر مقبول ...

وها هو الهدهد المتهم ... يعود من رحلته الطويلة ... من بلاد اليمن ... الى الشام ... ويتوجه رأساً الى حيث يقام الاستعراض ...

وها هي الهداهد ... تتلقاه ... مشفقة عليه ... أن يذبحه سليمان ...

فيستمع الى الأخبار ... ثم يطير متوجهاً الى سليمان رأساً ...

وها هو سليمان يبادره : أين كُنت أيها الزائغ بغير عذر ؟!

وتطلع الجميع : ماذا يقول ... وماذا يكون دفاعه عن نفسه ؟!

ان الجنّ لا تجرؤ على الزيغ من أوامر سليمان ... فكيف بهذا الصغير الضئيل يجرؤ على معصية سليمان ؟!

« **أحطتُ بما لم تُحط به** » وألقاها الهدهد الى سليمان ... فيها هدير الحق ... وزئير المظلوم ...

وسمعها سليمان ... وهي تقتحم كيانه كله ... وأحس بإحساس النبوة أنه أمام أمر خطير ...

وسمعها جميع الحاضرين ... فعجبوا ... من غلظ الخطاب ... وشدة التحدي !..

ان الهدهد يتحدى سليمان ...

يتحداه في أخص خصائصه ... خاصية الإحاطة علماً بدقائق مملكته ...

ان الهدهد يهز كيان سليمان هزاً ...

انه يقرر أمام الجميع ... انه أحاط بما لم يُحط به سليمان ...

وليت الهدهد قال ... علمتُ بما تعلم به ... أو شهدت ما لم تشهد ... وإنما قال « **أحطتُ بما تُحط به** » ... أحطت أنا الهدهد الضئيل احاطة تامة ... بما لم تُحط به أنت أيها النبي الملك . . رغم ما أوتيت من علم ؟!

وأدرك سليمان لفوره ... أنه أمام اختبار إلهي ...

والأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم ...

ثم انظر الى أسلوب الخطاب ... ان الهدهد ... يكلم سليمان تكليم الند للند ... فلا فرق بينه وبينه ... كأنهما في مستوى واحد ... « **بما لم تُحط به** » هكذا ... بدون مقدمات من التوقير اللازم في مخاطبة الأنبياء !..

ان الهدهد يرى سليمان ... عبداً من عباد الله ... كما أنه هو كذلك عبد من عباد الله ... فليخاطبه كأنهما سواء ... لأنهما في العبودية سواء !..

« **وجئتك** » الآن ... حيث اني عائد من سفري الآن ...

« **من سَبإ** » من مملكة سبأ ... من بلاد سبأ ... من بلاد اليمن التي بينك وبينها آلاف الكيلو مترات ...

« **بنبأ** » بخبر عظيم ... على الغاية من الخطورة ...

« **يقين** » لا سبيل الى الشك فيه ... عاينته بنفسي ... وشهدته بعيني !..

إني وجدت ... امرأة ... تملكهم ...!؟

بلقيس ...

ملكة سبأ ...

فتاة حسناء ... ويزيدها جمالاً ... أبهة المُلك ... وعظمة السلطة ...

كل أولئك ... اذا أضيف اليه عقل راجح ... وعفة عن السفاسف ...

كانت أمامنا ... ملكة هي أعظم ملكات عصرها ... مُلكاً وسياسة ...

فمن هي بلقيس هذه ؟!.

قالوا :

« وأما مُلكها اليمن فقيل ان أباها مات عن غير وصية بالمُلك لأحد .

« فأقام الناس ابن أخ له .

« وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً ، لا يبلغه عن بنت قيْل ولا مَلك ذات جمال .

« إلا أحضرها وفضحها .

« حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه .

« فأراد ذلك منها ، فوعدته أن يحضر عندها الى قصرها .

« وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها .

« فلما دخل اليها ، وثبا عليه فقتلاه .

« فلما قُتل أحضرت وزراءه فقرّعتهم .

« فقالت : أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ؟!.

« ثم أرتهم اياه قتيلا .

« وقالت : اختاروا رجلا تملكونه .

« فقالوا : لا نرضى بغيرك .

« فملكوها » .

ثم ماذا قالوا عن مُلكها ؟!

قالوا :

كان تحت يدها أربعمائة مَلك .

« كل ملك منهم على كورة .

« مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل .

« وكان لها ثلاثمائة وزير ، يدبرون مُلكها .

« وكان لها اثنا عشر قائداً .

« يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل » !..

ثم ماذا قالوا عن أبهة مُلكها ؟!

قالوا :

« أنفقت على كوّة بيتها التي تدخل الشمس منها ، فتسجد لها ، ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب .

« وكان عرشها سريراً من ذهب مكلّل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ » !..

هذا شيء عن الملكة بلقيس ...

فماذا عن شعبها ... ومدى ما كان ينعم فيه من نعيم ؟!.

يصور لنا ذلك قوله تعالى :

« لقد كان لسَبأٍ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » .

« **لقد كان لسبأٍ** » أي لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

« **في مسكنهم** » ومواضع سكناهم وهي باليمن ، يقال لها مأرب ، بقرب صنعاء ، مسيرة ثلاث مراحل .

« **آية** » عظيمة ، ونعمة جسيمة ، دالة على كمال معطيها وموجدها ، وعلى اتصافه بالأوصاف الكاملة ، والأسماء الحسنى الشاملة وهي ...

« **جنتان** » حافتان محيطتان .

« **عن يمين وشمال** » أي جنة عجيبة عن يمين بلدهم ، وأخرى عن يسارهم ...

وبعد ما قد أعطيناهم هاتين الجنتين العظيمتين المشتملتين على غرائب صنائعنا وبدائع مخترعاتنا ، قلنا لهم على طريق الإلهام .

« **كلوا** » أيها المتنعمون المتفضل عليهم من عندنا .

« **من رزق ربكم** » الذي رباكم بأنواع الكرامات .

« **واشكروا له** » نعمه وواظبوا على أداء حقوق كرمه ، مع أن بلدتكم التي أنتم تسكنون فيها ...

« **بلدة طيبة** » ماء وهواء ، بريئة عن مطلق المؤذيات .

« **و** » أيضاً ربكم الذي رباكم فيها بأنواع النعم ...

« **رب غفور** » ستار عليكم عموم فرطاتكم وزلاتكم ...

هذه فكرة عن مدى رفاهية الشعب ... ومدى النعيم الذي كان فيه ... على عهد الملكة بلقيس .

شعب يعيش في جنات متصلة ... وجو طيب جميل « بلدة طيبة » ... وعلى رأسه ملكة جميلة ... ذات سياسة حكيمة ... وحكم ديموقراطي رائع ... « ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون » !..

هذا عن الشعب ... وعن نظام الحكم ... وعن طبيعة الملكة ... فماذا عن أساس هذه الرفاهية ... وما سببها ؟!.

سببها المشروع الضخم ... الذي أقامته الملكة ... فوفرت به مياه الري للحدائق طول العام ... وأدى الى ازدهار البلاد عمرانياً ازدهاراً عجيباً ...

« فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيْلَ العَرِمِ » ...

« فأعرضوا » وكان ذلك بعد حُكم بلقيس ... حيث وقع بهم العقاب ... ودمّر عليهم السد الذي كان أساس رفاهيتهم ...

« فأرسلنا عليهم سيْلَ العَرِمِ » وهي الحجارة المركومة بالجص وأنواع التدبيرات والترصيعات المحكمة للأبنية والأساس .

« وذلك أنه قد كان لهم سد قد بنته بلقيس ، بين الجبلين .

وقد جعلت لها ثلاث كوات ، بعضها فوق بعض .

« وقد بنت أيضاً دونها بركة عظيمة .

« فإذا جاء المطر اجتمع اليها مياه أوديتهم .

« فاحتبس السيل من وراء السد .

« فيفتح الكوة العليا عند الاحتياج .

« ثم الثانية الوسطى .

« ثم الثالثة السفلى .

« فلا ينفذ ماؤها الى السنة القابلة .

« فلما طغوا وكفروا لنعم الله بعد ما أمروا بالشكر على ألسنة الرسل .

« قيل قد أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبياً ، فكذبوا الكل وأنكروا عليهم .

« ولهذا قد سلط الله على سدهم نوع من الفأرة فنقبت في أسفل السد بإلهام الله اياها .

« فسال الماء ، ففرقت جنتهم ، ودفنت بيوتهم في الرمل .

« وقد كان ذلك من غضب الله عليهم على كفرانهم نعمه » .

لقد أقامت بلقيس هذا المشروع المائي الضخم ...

وهو يُشبه مشروع السد العالي ... المقام على النيل عند أسوان ...

وهذه البركة التي كانت أمام سد مأرب ... تشبه البحيرة التي وراء السد العالي ...

فلما طال العهد على الشعب ... واستمر كفرهم ... وبعد عهد بلقيس بزمان طويل ...

أرسل الله سيلاً جارفاً ... فاقتلع سدهم ودمره ...

فجفت الحدائق ... وتمزقت البلاد ... وتفرق السكان في أنحاء الأرض ... وصاروا حديثاً يتناقله الناس ... ويضربون به الأمثال ... حيث يقال « قد تفرق أيدى سبأ » !..

هذا كان سبب نعيمهم ... وأساس رفاهيتهم على عهد بلقيس ...

وقد وصف الهدهد كل ذلك وصفاً دقيقاً حكيماً صادقاً حيث قال :

« **اني وجدتُ امرأة تملكهم .**

« **وأوتيتْ من كل شيءٍ .**

« **ولها عرشٌ عظيمٌ** » !..

« اني وجدت » أثناء رحلتي الى اليمن ... ونزولي بتلك البلاد ...

« امرأة » فتاة جميلة ... عظيمة ... حكيمة ...

« تملكهم » ملكة عليهم ...

وفي تعبير « تملكهم » ... اشارة الى اعجاز عجيب ...

أي تملك قلوب شعبها ... تحبهم جميعاً ... ويحبونها جميعاً ...

قد ملكت مشاعرهم ... فوق ما هي تملكهم ظاهراً ...

عرشها قوائمه ... حب الشعب لها ... فهو عرش مكين ...

« وأوتيت » وآتاها الله ...

« من كل شيء » ظاهراً وباطناً ... أسبغ الله عليها نعمه ظاهرة وباطنة ...

وقد ازداد اكبار الشعب لها ... حين دبرت لقتل الملك الفاجر العاهر ... وارتفعت أسهمها في أعين الجميع ... لأنها مسحت عار الجميع !..

« ولها عرش عظيم » لها كرسي مملكة ... بلغ من العظمة مبلغاً عجيباً ...

تتربع على عروش قلوب رعاياها ... وهذه هي عظمة العرش في الحقيقة ...

قالوا في وصف عرشها :

« كان ضخماً حسنـــاً ، مقدمته من ذهب ، مكللة بالياقوت الأحمر ، والزبرجد الأخضر .

« ومؤخرته من فضة ، مكللة بأنواع الجواهر .

« وله أربع قوائم : قائمة من ياقوتة حمراء .

« وقائمة من ياقوتة صفراء .

« وقائمة من زمرد أخضر .

« وقائمة من در أبيض .

« وصفائح السرير من ذهب .

« قال ابن عباس رضي الله عنه : وطول عرش بلقيس ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً ، وارتفاعه في الهواء ثلاثون ذراعاً .

« وكان بداخل جوف سبعة أبيات ، لهـــا سبعة أبواب ، على كل بيت باب مغلق » !..

هـــذه أوصاف قيلت في عرشها الذي عبّر عنه الهدهد **« ولها عرش عظيم »** !..

ولا يبعد مثل هذا ... فالمرأة امرأة دائماً ... تحول كل شيء إلى زينة ...

فكيف اذا كانت ملكة ... وأوتيت من كل شيء ؟!.

لا يستغرب اذاً أن تجعل الكرسي ... الذي تجلس عليه ... أجمل شيء في العيون ...

انها تحوله الى زينة ... تأخذ بمجامع القلوب ...

حتى اذا خرجت تتبختر في زينتها ... ووقف لهـــا رجال الحكم تعظيماً وولاءً ...

وأقبلت يتلألأ التاج على رأسها ...

ويفوح العطر من ثيابها ...

ثم أخذت مجلسها على عرشها ...

أثارت الإعجاب من الناظرين ...

وأحست في أعماقها ... بغريزة الأنوثة ... ان هذا شيء عظيم ... أو كما قال الهدهد :

« ولها عرش عظيم » !..

يسجدون ... للشمس ...؟!

عجائب ...

الأستاذ الكبير ... الهدهد ...

لا تدركها العقول !

لقد أحاط بمملكة بلقيس علماً ...

ونبأ سليمان عنها بنبإ يقين ...

ووصف له عرشها ... وأحوال شعبها ...

ولم يقف عند ذلك ... بل وقف يهز سليمان هزاً عنيفاً ...

يهزه في صميم اختصاصه ... اختصاص الأنبياء ...

ويتحداه على الملأ من حشوده من الجنّ والإنس والطير ...

ان يا سليمان ... يا من سخّر الله لك ... الريح ... والجنّ ... والإنس ... والطير ... وآتاك من كل شيء ...

يا أيها النبي ... يا ذا السلطان العظيم ...

هناك ببلاد اليمن ... شعب بأكمله ... يسجد للشمس ...

فكيف غاب عنك هذا ... وتحت يدك ما تستطيع به أن تعلم كل ما يجري في بلادهم ؟!.

لقد فجّر الهدهد ... من سليمان الغيرة في الله ...

وقال له ... في يقين ...

« **وجدتُّها وقومها** .

« **يسجدون للشمس** .

« **من دون الله** .

« **وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون** » .

ها هنا يحار العقل البشري ... وكم اغتررنا بعقولنا !.

ما شأن الهدهد بهذا ؟!

انه من مرتبة الطير ... فما علاقته بمرتبة الآدميين ؟!

وحتى لو تطفل ودسّ أنفه في شئون البشر ... فمن أين له هذا الإدراك ؟!

هل أوتي الهدهد عقل نبي ... فرأى نفسه مسئولاً عن هداية شعب بأكمله وهداية ملكته ؟!

وإذا كان سليمان لم يفعل هذا ... فلِمَ يكلف الهدهد نفسه ما لا يُطيق ؟!

وكيف عرف انها وقومها يسجدون للشمس ؟!

هل شاهد طقوسهم ... ورأى كهنوتهم ... وهم يسجدون للشمس ؟!

وماذا يعيب الهدهد من سجودهم للشمس ... وهل هو يعلم أن السجود للشمس خطأ لا ينبغي أن يكون ؟!

« **وجدتُّها** » شاهدتها ... بعيني ... أكثر من مرة ...

« **وقومها** » وشعبها ...

« **يسجدون للشمس** » يعبدون الشمس ... ويأتون بطقوس وترانيم ... ثم يسجدون لها ...

« **من دون الله** » المستحق للتذلل والعبادة .

« و » من غاية جهلهم بالله ، وغفلتهم عن كمال أوصـــافه العظمى وأسمائه الحسنى قد ...

« **زين لهم الشيطان أعمالهم** » هذه وعبادتهم هكذا ...

« **فصدهم** » الشيطان وصرفهم بتزيينه وتغريره .

« **عن السبيل** » السوي الموصل الى توحيد الحق ، الحقيق بالعبودية والتذلل.

« **فهم** » بسبب تضليل الشيطان ، وتغريره اياهم ، ورسوخهم على ما قـــد زينه لهم .

« **لا يهتدون** » إلى التوحيد ، حسب فطرتهم الأصلية ، وجبلتهم الحقيقية .

فلا بد لهم من مرشد كامل ، وهاد مشفق يهديهم إلى سواء السبيل ... مع انهم من زمرة العقلاء المميزين بـــين الهداية والضلال ، لأنهم لانهماكهم في الغفلة والغرور قد زين لهم الشيطان عبادة الشمس ، التي هي من جملة مظاهر الحق ، وذلك لقصور نظرهم .

ولو نبههم منبه نبيه على توحيد الله ، واستقلاله سبحانه في عموم مظاهره لأيقظهم من منام الغفلة ...

هذا منطق الهدهد !..

وهو لعمري يوازي منطق أعظم أستاذ في التوحيد في التاريخ !..

وماذا يكون التوحيد إلا ما جاء به الهدهد ؟!.

لقد كشف لنا الهدهد أسرار عجيبة ...

ان الإنسان قد يفوق الملائكة توحيداً ... إذا ترقى إلى أعلى ...

وفي نفس الوقت قد ينحط عن أحقر الكائنات في توحيده ... إذا تدلى إلى أسفل ...

ذلك ان الإنسان ... كائن مختار ... له حرية الاختيار ...

يعلو ... ويسفل ... كيف يشاء !..

وتلك هي قضيته ... وفي نفس الوقت تلك هي مصيبته !..

فالطير مثلا ... مجمدة على التوحيد ... لا تستطيع منه فكاكاً ...

أما الإنسان... فإذا شاء تفكك من التوحيد... وهوى وتدهور إلى ما هو أحط من مرتبة الحمير ...

فالحمار مجمد على التوحيد ... لا يستطيع أن يشرك بالله ...

وهؤلاء الذين يتحدث عنهم الأستاذ الهدهد ... قــد انحطوا عن مرتبة الحمير ... وسجدوا للشمس !..

والهدهد يتفجع ويتوجع ... كيف هذا ... كيف ينحط الإنسان إلى هذه الهاوية ؟!.

ولو قد علم الهدهد ... ان مصيبة الإنسان في حريته واختياره ... لما تعجب أو تفجع !..

ومن قبل تعجب الملأ الأعلى ... وقال الملائكة :

« **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » ؟!.

فلما علمهم الله ... أسرار قضية الإنسان ... قالوا : « **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** » !..

فعظمة الإنسان ... ان الله خلقه كائناً حُرّاً ...

ان شاء علا ... وإن شاء هَوَى ...

ثم أعانه بقُوًى علوية ... إذا شاء العلو ... وهي الملائكة ...

وسلّط عليه قوًى سفلية ... إذا شاء الهبوط ... وهي الشياطين ...

والله ناظر ... ماذا هو فاعل الإنسان ؟!

كائن هذا شأنه ... تظهر عنه جميع المراتب ...

من أعلى عليين ... إلى أسفل سافلين ...

وما بين ذلك ...

فترى من جنس الإنسان الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين... وما دون ذلك ...

والعكس صحيح ...

ترى من الناس المجرمين ... والكافرين ... والأفاكين ... والشياطين ... والفجار ... والطغاة ... والزناة ... والقتلة ... وما لا يتصور العقل أنه يصدر عن كائن ...

« وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً » .

اشارة إلى أن هناك جرائم للإنسان ... لا يتصورها العقل !..

بل أعجب من هذا ... فإن تركيب قلب الإنسان ... انه كاللولب ... لا يستقر ... بل هو يتقلب باستمرار ...

فقد يؤمن الإنسان ... ثم يكفر بعـــد لحظة ... ثم يعود فيؤمن بعد لحظة أخرى !..

هذا الكائن المسمى بالإنسان ... يحبه الله ... إذا تزكّى وترقّى ...

لأنه يعلم مدى صعوبة التجربة التي وُضع فيها ...

روحٌ علوية نورية قدسية ... سجينة في جسد ترابي وطيني منتن ، فيه كل ما في تركيب الحيوان ...

الروح نزّاعة إلى أفقها الأعلى ...

والجسد والنفس ... نزّاعة للشوَى ...

والإنسان حائر دائر بين التنينين !..

ان أطاع الروح ... أبى الجسد ...

وإن أطاع الجسد ... أبت الروح ...

فالتجربة أصعب تجربة ...

ومن هنا يحب الله ذلك الإنسان ... الذي يغالب شهواته ... ونزواته ... ويتوجه إلى ربه ... رغم العقبات الموضوعة في طريقه ... والحق عليه أن يقتحمها ...

ومن هنا كذلك جعل الله الأجر عظيماً عظيماً ... جنات الخُلد ... ماكثين فيها أبداً !..

ما الذي سوّل لهؤلاء أن يعبدوا الشمس ؟!

ولماذا الشمس بالذات ؟!

نظروا فوجدوها مصدر الحياة ... فكل شيء حولهم ... أصله الشمس...

الأرض وما عليها ... أصلها جزء من الشمس ...

الضوء والحرارة ... مصدرهما الشمس !..

النبات ينمو بحرارة الشمس ...

الحيوان يعيش بحرارة الشمس ...

الرياح تتحرك بفعل حرارة الشمس ...

المياه تتبخر من المحيطات بفعل الشمس ... ثم تهطل أمطاراً فأنهاراً ...

ومن الأنهار تتكون الحياة !..

ثم هي كائن رفيع منيع ... لا سبيل اليه ...

ان أشرقت ظهر بنورها كل شيء ...

وإن غربت ... وغاب ضوؤها اختفى كل شيء !..

إذاً ... لا شيء أعلى منها ... إذاً هي الإله ... الذي ينبغي أن يُعبد ... وله نسجد !..

منطق حقير ... يدل على عقول حقيرة !..

ما هذه الشمس حتى تعبد ويَسجد لها ؟!.

لقد أسقطها ابراهيم ... وألغى صلاحيتها لأن تعبد :

« فلمّا رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلتْ قال يا قوم اني بريء مما تشركون » .

بحجة واحدة أسقط ابراهيم استحقاقها للعبـــادة ... « فلما أفلتْ » فلما غربت وغابت ...

والإله لا يغيب ...

وهذه الشمس تغيب ... إذاً هي لا تصلح أن تكون رباً يُعبد !..

ولكن هؤلاء ... شعب بلقيس ... ليسوا إبراهيم ليفقهوا هذا ...

وإنما ورثوا ... دين خرافة عن آبائهم ... فقدسوا ما كانوا يقدسون ...

ووجدوا ملوكهم لها يسجدون ... والناس على دين ملوكهم ... فسجدوا للشمس ...

وها هنا انحطوا عن مرتبة الحمير ... لأن الحمير لا تعبد الشمس ... وإنما تعبد ربها ورب الشمس !..

ومن هنا نفهم ثورة الهدهد ... حين شاهد شعباً بتمامه يسجد للشمس ...

ومن أي مرتبة ؟!. من مرتبة الإنسان ... الذي كان مفروضاً أن يعبد الله

ولا يشرك به شيئاً ... ولكنه انحط عن مرتبته العليـــا ... ونزل إلى أسوأ مرتبة ... إلى ما دون مراتب الحمير !..

ان الهدهد يكاد يمسه الجنون ... كيف للشمس يسجدون ... كيف ... وهم بشر كرمهم الله ... كيف هكذا ينحطون ؟!.

تلمس إحساسه هـــذا ... في أعماق قوله « **وجدتُها وقومَها يسجدون للشمس** » !..

وفي تعبير « **وجدتُها** » تحقير وأي تحقير !..

كنت أظنها امرأة عظيمة ... ذات عقل عظيم ...

فكانت فاجعتي فيها ... ان وجدتها تسجد للشمس !..

ويا ليتها وحدها فعلت فعلتها هذه ... بل « **وقومَها** » ... وشعبهـــا كذلك ... ملايين من البشر يسجدون للشمس !..

ملايين الوجوه الشريفة ... سجدت سجوداً خاطئاً ... سجدت لمربوب أقل منهم مرتبة ...

ذلك أن الإنسان أرقى من الشمس ... وأعلى من القمر ...

فكيف يسجد لشيء دونه منزلة ... وأنزل منه مقاماً ؟!.

ان فرداً واحداً مؤمناً بالله ... لا شيء يعدله من هؤلاء جميعاً ... لا شمس ولا قمر ولا مجرّة بأكملها ...

« ان ابراهيم كان أُمّةً » ...

والكائنات التي فُطرت على التوحيد ... تكاد تصاب بالجنون حين تشاهد انحرافات الكائنات الكوافر !..

ومن هنا كانت غـــيرة الهدهد في الله ... وغضبته على هؤلاء الساجدين للشمس من دون الله !..

وزاد من غضبه ... ان نبي الله ... سليمان ... الذي فُرض عليه تبليغ رسالة الله ... لم يعلم بهذا ... وتركهم فيما هم فيه !..

ان مرتبة الإنسان الصحيحة ... ألا شيء فوقه إلا الله ...

وهذه هي حقيقة معنى ... لا إله إلا الله ...

فإذا جهل الإنسان مرتبته ... ونزل عنها ...

انقلبت عليه الأمور ... فعبد أشياء هي في حقيقتها أقل منه مرتبة ...

وهذا تعكيس للأوضاع عجيب !..

الله ... يقول للإنسان :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر .

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر .

« واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » .

أنت أكرم أيها الآدمي ... من هؤلاء جميعاً ... كلهن مسخرات لك ... فكيف تنزل عن مرتبتك العليا ... وتتدهور فتتخذهن آلهة تعبدها ؟!.

لقد أسجدت لآدم أبيك ملائكتي ... فافهم ...

فكيف تسجد أنت ... يا ابن آدم ... للشمس أو للقمر ؟!

افهم منزلتك ... وخذ وضعك الصحيح بين الكائنات ...

أنت أعلاها وأزكاها وأرقاها ... فأنت فوقها ... فكيف تجعل نفسك تحتها ؟!

لذلك ... كان أمري اليك :

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر » ...

لأنكم فوق الشمس ... وفوق القمر مرتبة ...

« واسجدوا لله »!..

الله ... لا إله إلا هو ...

رب العرش العظيم ؟!...

الجمال . . .

الذي ليس كمِثله جمال . . .

في قوله عزّ من قائل :

« الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم » .

ويزيده جمالاً فوق الجمال . . . أن ينطق به . . . فم صغــير . . . ليس بفم بشر . . . ولا فم مَلك كريم . . .

ولكن فم هدهد جميل !..

هنالك يتلألأ الجمال . . . وتتجلى التجليات . . .

وتتشعشع القلوب لربها سُجّداً وبُكيّاً !..

فلو أن قائلها كان إنسياً . . . لقلنا الشيء من معدنه لا يستغرب !..

ولو أن ناطقها كان بشراً نبياً . . . لقلنا وحي يُوحى . . .

ولكن الناطق كان هدهداً . . .

وها هنا وجوه من العجب !..

ماذا قال الهدهد الجميل الجليل ؟!

«ألاّ يسجدوا لله الذي يُخرج الخَبءَ في السماوات والأرض وما تُعلنون.

« الله لا إله إلا هو ربّ العرشِ العظيم » .

« **ألاّ يسجدوا لله** » بمعنى : زيّن لهم الشيطان أعمـــالهم ، لئلا يسجدوا لله ...

ومن قرأ « ألا » بالتخفيف ، بمعنى : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فأضمر هؤلاء اكتفاء بدلالة « يا » عليها ...

« **الذي يخرج الخَبْءَ** » المخبوء .

« **في السماوات والأرض** » من غيث السماء ونبات الأرض ...

« **رب العرش العظيم** » الذي كل عرش – وإن عظم – لا يشبهه .

وهذا كله كلام الهدهد ، من قوله : (أحطتُ بما لم تُحط به) إلى ها هنا .

هذا مختصر تفسير الطبري ...

فماذا قال صاحب تفسير الفواتح الإلهية ؟!

« **ألا يسجدوا** » يعني تنبهوا أيهـــا الفاقدون قبلة سجودكم ، ووجهة معبودكم ، وانصرفوا عنها أيها القوم الضالون المنصرفون عن السجود الحقيقي والمعبود المعنوي ... بل اسجدوا وتذللوا ...

« **لله** » المتجلي في الأكوان ، المنزه عن الحلول في الجهات والمكان ، المقدس عن تتابع الساعات عليه ، وتعاقب الآنات والأزمان إياه ، بل له شأن لا يشغله شأن ، ولا يجري عليه زمان ومكان ، العليم القدير ...

« **الذي يُخرج** » ويُظهر بمقتضى علمه المحيط ، وقدرته الكاملة الشاملة .

« **الخَبْءَ** » أي الشيء الخفي المكنون الكائن .

« **في السماوات والأرض** » أي سماوات الأسماء الإلهية وأوصافه الذاتية .

« **و** » أيضاً .

« **يعلم** » سبحانه بعلمه الحضوري عموم .

« **ما تخفون** » تكتمون وتسترون أنـتم في سرائركم وضمائركم ... بل بالخفيات التي لا اطلاع لكم عليها أصلا ، بمقتضى قابلياتكم واستعداداتكم .

« و » كذا عموم .

« **ما تعلنون** » أنتم أيضاً من أفعالكم وأحوالكم .

وكيف لا يظهر المكنون من الأمور ولا يعلم خفيات الصدور ...

« **الله** » الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، الحي ، القيوم ، الذي .

« **لا إله** » ولا موجود في الوجود .

« **إلا هو رب العرش العظيم** » المحيط بجميع ما قد لمع عليه بروق تجلياته ، المتشعشعة ، المتجددة ، المترتبة على أسمائه الذاتية الكاملة ، المستدعية للظهور والبروز ، عن أوصافه الفعلية ، والمقتضية لإظهار ما قد كمن من الكمالات ، المندمجة في الذات الأحدية ، إلى فضاء الوجود والشهود .

هذا كلام رفيع منيع ... يحتاج إلى فهم رفيع منيع !..

فكيف وقد صدر هذا كله عن هدهد ... قد أوتي فصل الخطاب ؟!.

لقد انتهى ها هنا كلام الهدهد ...

فرأينا فيه عجائب ... نقف أمامها حيارى !.

إلا أن حيرتنا تزول ... حين نتذكر ... أن الله تجلّى على ذلك الهدهد ...

فكان منه ما كان ...

ولا تسل كيف كان ؟!

لا تقل : كيف وسع علم الهدهد كل هذه الأمور ؟

وإنما قل : ربّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى !.

ولا تقل : كيف علم هدهد ما لم يعلمه النبي سليمان ... الذي قال فيه ربه « وكلا آتينا حكماً وعلماً » ؟!.

وأين علم الهدهد ... من علم سليمان ؟!

ولكن قل : وأنّ الفضل بيد الله يُؤتيه مَن يشاء !..

ولا تقل : كيف يقف الهدهد من سليمان موقف المعلم ؟!

ولكن قل : أدبني ربي فأحسن تأديبي !..

ولا تقل : ما لهذا الهدهد قد أحاط بالأمر علماً ؟!

ولكن قُل : بهِ ... علم الهدهد ما لم يكن يعلم !..

وأخيراً ... إذا قال عقلك : ما فقهتُ ولا فهمتُ شيئاً !..

فقُل لعقلك : ما أظنك سوف تفهم شيئاً !..

وقُل لقلبك : « كلا ... لا تُطِعْهُ ... واسجُدْ ... واقتَرِب » !..

إنه ... من ... سليمان ؟!...

فــــرغ ...

الهدهد الجميل الجليل ... من حديثه العجيب ...

وتطلعت ملايين العيون ... من الجنّ ... والإنس ... والطـــير ... الى سليمان ...

تطلعوا الى عملاق عصره ... ونبي زمانه ... والمَلك الذي يجلس على عرش مُلك لا ينبغي لأحد من بعده !..

ووقف سليمان ... في عظمة الأنبياء ...

وهيبة أعظم المُلوك مُلكاً ...

وخشوع العبودية ...

ثم نظر إلى السماء ... ومجّد ربه ... تمجيد الأنبياء ...

ثم نظر إلى الهدهد ...

ونظر اليه الهدهد ...

ثم قال :

« **قال :**

« **سننظرُ .**

« **أصدقْتَ .**

« أم كنتَ من الكاذبين » ؟!.

وضجّت الملايين ... من الجنّ ... والإنس ... والطير ... يسبحون بحمد ربهم ...

عندما سمعوا نُطقاً عظيماً ... وحُكماً حكيماً ...

وطار الهدهد فرحـــاً ... بنجاته ... من العذاب الشديد ... أو الذبح الأكيد ...

ثم ماذا ؟!

ثم فرغ سليمان من شئون الاستعراض العام لجنوده ...

وعاد المَلك إلى عاصمة مُلكه ...

ثم كان أول عمل له ... أن أصـــدر أمراً ملكياً ... بتعيين الهدهد ... سفيراً له لدى مملكة بلقيس !..

ثم استدعى الهدهد السفير ... وأصدر اليه أوامره ... صريحة محددة :

« اذهب بكتابي هذا .

« فألقِهْ اليهم .

« ثم تولَّ عنهم .

« فانظُرْ ماذا يرجعون » .

أوامر صريحة ... محددة ...

الأمر الأول ... **« اذهب بكتابي هذا »** ...

خذ هذا الكتاب ... احمل هذا الكتاب ... وطِرْ إلى اليمن سريعاً ... ومعك الكتاب ... واحذر أن يفقد منك ... أو تُطلع عليه أحداً !..

الأمر الثاني ... **« فألقِهْ اليهم »** ... بمجرد وصـــولك إلى قصر الملكة

ببلقيس ... ألقه اليها هي لا إلى أحد غيرها ... كتابي هذا ... واعمل على أن تستلمه بنفسها ... وأن يقع في يديها !..

الأمر الثـــالث ... « **ثم تَوَلَّ عنهم** » ... ثم راقبهم من حيث لا يشعرون ...

الأمر الرابع ... « **فانظر ماذا يرجعون** » ؟!. فتأمل ما يرجعون ... وما يراجعون ويتراجعون ... بعضهم بعضاً ... في المشاورات والمحاورات ...

أي عليك بعد القاء الكتاب اليهم ... أن تقوم بمهمة الجاسوس عليهم ... وتحمل إليّ أخبارهم ... وتسجل مناقشاتهم ... كل ذلـــك في استخفاء عن أعينهم ... حتى تعلم كل ما يقولون ... وما سوف يقررون من مقررات ... ويدبرون من تدابير !..

لقد أصبح الهدهد موضع ثقة الملك ... وعهد اليه بمهمة السفير ... ومهمة المخابرات ... وكلفه أن يعود اليه بتقرير كامل عن مهمته الرفيعة ...

انه مستقبل شعب بأكمله ...

مستقبل أمة ... يريد سليمان أن يخرجها من ظلمات عبادة الشمس ... إلى نور عبادة الله ...

فانظر عجائب القدرة الإلهية ...

أن يجعل هداية أمة كاملة ... وإخراجها من الظلمات إلى النور ... على يدي هدهد ...

فأي آية ... هي أعظم من تلكم الآية ؟!.

ثم ماذا ؟!.

ثم أخذ الهدهد الكتاب ...

وأتى بلقيس ... وهي نائمة في قصرها ...

فألقاه على نحرها ...

فلما استيقظت ... رأت الكتاب في نحرها ...

فارتعدت ... وخضعت خوفاً ...

لقد نفـّذ الهدهد أوامر سليمان حرفياً ...

طار من الشام ... الى اليمن ... سريعاً ...

ثم تسلل إلى قصر الملكة ...

ثم تسلل إلى مخدعها ... من أحد نوافذ حجرتها ...

وطبيعي أن أحداً من الحراس ... لا يفكر في منع هدهد من الطيران فوق القصر ... ولا يخطر بباله أن هناك أمراً خطيراً يحمله هذا الهدهد ...

فما أكثر الهداهد ... في كل مكان ...

ودخل الهدهد الجميل ... إلى حجرة نوم الملكة الجميلة ...

وكانت الملكة نائمة ... تحلم أحلام العذارى ...

ثم حلـّق فوق فراشها ... وألقى الكتاب فوق صدرها ...

ثم طار ... واختفى في مكان من القصر ... بحيث يراها ... ولا تراه !..

ليتجسس عليها ... وينظر ماذا يكون وقع المفاجأة عليها ... وكيف تتصرف ؟!

وبعد قليل ... أفاقت الملكة الجميلة ... من نومها السعيد ...

ففوجئت بكتاب مختوم ... مستقراً على صدرها ...

ففزعت ... شأن الأنثى يُفزّعها أي شيء يفاجئها ...

وزادها فزعاً ... انها لا تدري ... مَن دخل عليهـا مخدعها ... ومَن ألقى على صدرها ... وهو مكان محرم ... ذلك الكتاب ؟!.

والهدهد الماكر ينظر اليها ... ويتبسم من حيرتها ...

وهي لا تشعر أن هناك شيئاً يراقبها !..

ومهما ترتقي أساليب المخابرات ... والجاسوسية ... وأجهـزة التصنت الالكترونية في العصر الحديث ... فإنها تعجز أن تحقق ما حققه هذا الهدهد الرائع ... من تجسس وتصنت ... فها هو معهـا في مخدعها ... يراها ... ويسجل كل أحاسيسها ... وهي مطمئنة تمام الاطمئنان ... أن ليس هناك من أحد معها !..

ثم ماذا ؟!

ثم هدأت الملكة قليلا ... من أثر المفاجأة ...

وتناولت الكتاب ... فإذا به كتـاب معطـّر بأطيب عطر ... مختوم بخاتم الدولة ...

ففضت خاتمه ... وجعلت تقرأ ما فيه ...

فإذا هو غاية في الإيجاز ... ونهاية في الإعجاز ...

وهذا هو نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

لا تَعلُوا عليّ وأتُوني مُسلمينَ » .

« سليمان » .

الأنثى أقرب إلى الإيمان ... من الرجل ...

ذلك أن الأنثى عاطفة ... قلب ...

والرجل عقل ... وفكر ...

والعقل حجاب ...

والقلب أوّاب ...

ومن هنا ... تشعشع قلبها ... حين قرأت الكتاب ...

فجعلت تشمه ... ثم إلى صدرها تضمه ...

ثم تشمه ... ثم تضمه إلى نحرها ...

ثم تبكي ... وتبكي ...

ثم تقرؤه ... وتقرؤه ...

فيتفتح قلبها ... ويتفتح ...

ما هذا في استهلال الكتاب ؟!.

بسم الله الرحمن الرحيم ؟!.

جعلت تسأل نفسها : ما معنى هذا ؟!. ما معنى: بسم الله ؟!. وما معنى : الرحمن ؟!. وما معنى الرحيم ؟!.

بسم الله الرحمن الرحيم ؟!.

ان قلبي يحب هذه الكلمات ... ولكن عقلي يرفضها ؟!.

ولكن ... لماذا لم يقل : بسم الشمس ؟!

هل لسليمان هذا ... إله يعبده غير الشمس ؟!. وهل هناك من إله أعظم من الشمس ؟!

وماج قلبها بأمواج كالجبال ... وهي تجري فيهـــا باسم الله ... مجراها ومرساها ...

ثم لماذا هذا الاختصار الشديد ... ولماذا هذا التهديد وهذا الوعيد ؟!.

« لا تَعلُوا عليَّ وأتوني مسلمين » ؟!.

مُسلمين لمن ؟!

أنا ... الملكة بلقيس ... ذات العرش العظيم ... أسلم لسليمان ؟!.

هذا لن يكون !..

ولكن خطابه لا يدل على طمع في مُلكي ...

فما الدافع الذي دفعه ... إلى تهديدي ووعيدي ؟!

ثم مَن ألقى إليَّ هـــذا الكتاب ... أهو الجنّ أهي الجاسوسية ... هل هناك أحد من الخونة في قصري وأنا لا أعلم ؟!

أسئلة ... تلقيها بلقيس على نفسها ... ولا تستطيع لها جواباً !..

إلا أنها لم تستطع مدافعة حنينها وأنينها ...

فجعلت تُقبل بفمها الجميل ... الكتاب ... وتضمه إلى صدرها ...

تكرر ذلك مرات ومرات ...

ثم قامت إلى المرآة ... فأصلحت من زينتها ...

ثم صاحت صيحة الملوك ...

فجاءها سرب من رجال حاشيتها ...

وانحنوا أمامها ... وانتظروا أمرها ...

فصاحت بهم : الآن ... وفوراً ... وبدون تريث ... يُعقد اجتماع عاجل ... في قصري ... يُدعى اليه جميع رجالات الدولة ... لبحث أمر غاية في الخطورة ...

ثم غادرت فراشها ... وفي يدها الكتاب ...

والهدهد الماكر ... يرقب قريباً منها ...

تنفيذاً لأمر سليمان ... « **فانظُرْ ماذا يرجعون** » ؟!.

أفتوني ... في ... أمري ...؟!

قاعة العرش . . .

خالية تماماً . . . في انتظار انعقاد الجلسة التاريخية الخطيرة . . .

يتصدر القاعة عرش الملكة بلقيس . . . الذي اشتهر بروعة جماله . . . وعظمة اخراجه . . .

وقد صفت على جانبيه مقاعد الوزراء والقادة وشيوخ القبائل . . .

أما النوافذ الكبيرة . . . فقد ازدانت بالستائر الفاخرة . . .

وفي أعلى ستارة من هذه الستائر اختبأ الهدهد . . . ليشهد ويسمع كل ما يدور في الاجتماع . . .

وبعد قليل يدأ المدعوون يتوافدون تباعاً إلى القاعة . . . ويأخذون مجالسهم المخصصة لهم . . .

وتكامل عددهم وهم في ملابسهم الرسمية . . .

حضر رئيس الوزراء والوزراء . . .

وحضر قائد عام القوات المسلحة . . . وقادة الأسلحة . . .

وحضر المستشارون الملكيون . . .

وحضر شيوخ القبائل . . . وزعماء الطوائف . . .

قيل : « كان أولوا مشورتها » ثلاثمائة واثني عشر رجلاً .

« كل رجل منهم على عشرة آلاف .

« وكانت بارض يقال لها : « مأرب » من صنعاء على ثلاثة أيام » .

وأخـــذ رجالات الدولة مجالسهم ... وتطلع الجميع ينتظرون حضور الملكة . . .

وفجأة نفخ النافخون في الأبواق ... ايذاناً بقدم بلقيس ...

ودخلت الملكة إلى القاعة ... تتلألأ اللآلىء على تاجها ... ويفوح العطر من ثيابها ... وسارت إلى كرسي عرشها ... تجرر أذيالها ...

وأومأت تحيي الحاضرين ... في ابتسامها ...

ثم جلست على عرشها !..

وعمّ القاعة صمت عميق ...

ثم تكلمت بلقيس ...

« قالتْ :

« يا أيها الملأُ .

« إني ألقِيَ إليَّ كتابٌ كريم » .

« يا أيها الملأ » يا حضرات السادة ... يا أشراف القوم ...

« إني أُلقِيَ إليَّ » ولا أدري مَن ألقى هذا إليّ ؟!.

ثم لوحت بالكتاب ... ليشهدوه جميعاً ...

« كتابٌ كريم » كتاب لم يأتني كتاب مثله ... ولم أقرأ في حياتي كتاباً في سموه ... ولغته الرفيعة ...

وزادني دهشة اني حتى الآن حائرة : مَن ألقى إليّ هذا الكتاب ؟!

ثم نشرت الكتاب ... وجعلت تقرأ ما فيه ...

فصاح صائح من المجتمعين : من أرسل هذا الكتاب . . . أيتهـــا الملكة العظيمة ؟

فقالت الملكة :

« إنَّه مِن سُليمان » !..

فهمهم الحاضرون : الملك سليمان بن داوود ؟!.

– مَلك الجنّ والإنس ...

– لعل الذي ألقاه اليها ... جنيّ ممن يعملون لسليمان ؟!

– ولم لا يكون طيراً ؟!

– وكيف يجرؤ سلـــيمان أن يرسل خطاباً ... إلى ملكة سبأ بمثل هذه الطريقة ؟!

ثم أشارت الملكة إلى الجميع ... فصمتوا جميعاً وأنصتوا ...

ثم قرأت في صوت عميق نص الخطاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

لا تعلـُوا عليّ .

« وأتـُوني مُسلمين » .

« سُليمان »

هذا هو نص الكتاب ... يا حضرات السادة ...

وهذا يُعتبر تهديداً سافراً من الملك سليمان ... لمملكة سبأ كلها ...

وهو أخطر تهديد تواجهه الدولة في تاريخها ...

ولهذا دعوتكم ... لتتخذوا قراركم ... الذي سوف يحدد مستقبل بلادنا إلى أجيال قادمة ...

فضجّت القاعة بالتصفيق الحاد ... وتعالت الهتافات بحياة الملكة ... واستعداد الجميع لفدائها بأرواحهم ودمائهم !..

إلا أن الملكة ... كانت تشعر بالخطورة البالغة ... فلم تلتفت إلى هتافاتهم الفارغة ... فصاحت بهم :

« **قالتْ يا أيها الملأُ أفتُوني في أمري .**

« **ما كنتُ قاطعةً أمراً حتى تشهدون** » .

« **يا أيها الملأ** » يا حضرات السادة ... ما جمعتكم لتسمعوني أناشيد التأييد والثناء ... ان الأمر أخطر مما تتصورون ... إن هـــذا ملك يهددنا ... اما التسليم ... وإما غزانا وقهرنا على ما يريد ...

« **أفتوني في أمري** » أشيروا عليّ : ماذا أفعل ؟!. ان الأمر على الغاية من الخطورة ...

« **ما كنتُ قاطعة أمراً** » كما هي عادتي ... لا أبت في أمر من أمـــور هذا البلد ...

« **حتى تشهدون** » حتى تحضرون ... وتجتمعوا ... وتقرروا قراركم ...

فارتفعت الأصوات في القاعة مرة أخرى ...

ودبّ الخلاف بينهم ...

وانشقت صفوفهم المتلاحمة ...

لقد مزّق خطاب سليمان وحدتهم ... وأثار الرعب في صفوفهم ...

فإنهم جميعاً يسمعون عن عظمة سليمان ... وعجائب مُلكه ...

وبدأوا يتهامسون :

– ان الرجل يطمع في خيرات سبأ ...

ـ أو لعله يريد التوسع ... فيسيطر على مداخل البحر الأحمر ...

ـ أو هو يهددنا ... ليضطرنا إلى تقديم الهدايا اليه ...

ـ ولم لا تقول أن الرجل داهية ... فهو يخوف الملكة طمعاً في جمالها ... ليتزوجها ؟ !

ـ انها مشكلة المشاكل ... تواجهنا بها الملكة ... لتفر من المسئولية ... وتلقيها علينا ...

فلما اشتد الجدل بين القوم ...

أشارت اليهم ... فصمتوا ...

ثم أشارت إلى قائد عام القوات المسلحة ... فوقف الرجل ...

فقالت الملكة : ان كتاب سليمان ... تهديد عسكري صريح ... فهو يقول مهدداً « لا تعلُوا عليّ » لا تحاولوا أن تتكبروا أو تتعالوا عليّ ... مهما أوتيتم من قوة ... ولم يقف عند ذلك ... بل هو يصدر الينا أمراً كأننا قد صرنا له عبيداً ... يأمرنا فيُطاع ...

ها هو يصدر الينا أمراً صريحاً « **وأتوني** » جميعاً «**مسلمين**» ... منقادين... مستسلمين ... معلنين اسلامكم لله ... مقرين بوحدانيته ... وألوهيته ...

ولم أر في حياتي تهديداً لدولة من الدول أشد من هذا التهديد !..

إنه يدمر كل معنوياتنا ...

ويهدر كل معتقداتنا ...

ويأمرنا أن نذهب اليه ... عبيداً مستسلمين !..

ثم سكتت الملكة ... لتسمع رأي قائد عام القوات المسلحة ... باعتبار أنه الرجـــل الذي تتطلع اليه الأنظار ... حيث أن الموقف موقف تهديد عسكري للدولة ... فهو رجل الساعة !..

« **قالوا** :

« **نحنُ أولُوا قوةٍ** .

« **وأولوا بأسٍ شديد** .

« **والأمر اليك** .

« **فانظري ماذا تأمرين** » .

« **نحن** » نحن شعب .

« **أولوا قوة** » أهل جيش عظيم ...

« **وأولوا بأس شديد** » وأهل شجاعة في القتال ... وصبر على النزال ... لا نرهب عدواً ... ولا نخاف الموت ...

لغة عسكريين ... يرون الأمور بمنظار القوة وحدها ...

ان كان سليمان يريدها حرباً ... فنحن لها ... نحن أهل جيش حاشد ... وأهل بأس في القتال شديد ...

ثم فوّض القائد العام ... الأمر إلى الملكة فقال :

« **والأمر اليك** » والقرار النهائي اليك أنت أيتها الملكة العظيمة ...

« **فانظري ماذا تأمرين** » ان شئت حرباً فهي الحرب ... وإن شئت صُلحاً ... فما شئتِ يكون ...

وهكذا ... ألقى الرجل المسئولية ... عليهـــا ... بعد أن قام باستعراض القوة ...

ثم أومأت اليه ... أن يجلس ... فجلس ...

وانتظر الجميع : ماذا يكون قرار الملكة ؟!.

هل تصدر اليهم أمراً بالحرب ؟!

هل ترفض إنذار الملك سليمان ؟!

هل تثبت على دين قومها ... وتسجد للشمس هي وشعبها ؟!

أم ماذا يكون أخطر قرار في تاريخ المملكة الشامخة ؟!

والهدهد العتيد ... ينظر اليهم جميعـــاً ... من وراء الستائر النفيسة وهم لا يشعرون !..

إن الملوك ... إذا دخلوا قرية ...
أفسدوها !؟...

عم ...

القاعة ... صمت طويل ...

الجميع ينتظرون قرار الملكة ...

ثم وقفت بلقيس ... وقد بدت كأنها تحمل جبلاً ضخماً على كتفيها ...

وقالت قولاً خالداً :

« قالتْ :

« ان الملوكَ إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلهـــا أذلـّة وكذلك يفعلون .

« وإني مُرسلةٌ اليهم بهديّة فناظرةٌ بمَ يرجعُ المرسلون » .

لقد ألقت بلقيس أنوثتها بعيداً ...

وتفجّرت تتكلم في حزم وعزم ...

« ان الملوك اذا دخلوا » عنوة أو غزْواً وانتصروا ...

« قرية » مدينة ... أو عاصمة مملكة ...

« أفسدوها » قلبوا نظامها قلباً تاماً ... وغيروا الأوضاع تغييراً شاملا ...

« وجعلوا أعزّةَ أهلها أذلـّة » وقلب نظام الحكم ... معناه إزالة المجموعة الحاكمة ... وإحلال مجموعة أخرى موالية لهم مكانهـــا ... فانقلب الأعزة إلى أذلة ...

واستولوا على مقدرات البلاد ... ونهبوا ثروات العباد ...

فجعلوا الأعزة أذلة ... والأذلة أعزة ...

« **وكذلك يفعلون** » دائماً ... وهـــذا دأبهم ... وذلك هو القانون الطبيعي ... لأن الغزاة إذا انتصروا استباحوا كل شيء من أعدائهم ... وفعلوا ما يشاءون ... وويل للمغلوب ...

هذا منطق الملكة ... وهو منطق حكيم ...

انها تريد تجنيب بلادها ويلات الحرب ... غير المتكافئة ...

فإن قوة بلادها مهما عظمت ... لا تستطيع التغلب ... على قوات سليمان ... التي اشتهرت في العالم كله ...

وما أن نطقت الملكة بقولها ... وألقت برأيها ... حتى بدأ المجتمعون جميعاً يميلون إلى رأيها ...

وجعل كل يفكر في مستقبله ... وأوضاعه التي سوف يفقدها كلها ... اذا انتصر عليهم سليمان ...

ثم أخذوا يتطلعون إلى الملكة ... ينتظرون قرارها ... وكيف يكون علاجها لتلك المشكلة العويصة ؟!

وفي صوت الملوك ... إذا أعلنوا قراراتهم المصيرية التاريخية قالت :

« وإني مرسلةٌ اليهم بهدية .

« فناظرةٌ بمَ يرجعُ المرسلون » ؟!.

هذا هو قرار الملكة التاريخي ...

فضجّت القاعة بالتصفيق الحاد ...

وتعالت الهتافات تأييداً للملكة العظيمة !..

وأثناء هذا الضجيج والعجيج ... انصرفت الملكة ... في موكبها الملكي الذي يلذّ للناظرين ...

أما الهدهد الخالد ... فقد طار لفوره ... إلى خارج القصر الملكي ...

ونشر أجنحته في الهواء ... طائراً من اليمن إلى الشام ...

لينقل إلى سليمان ... الأخبار كاملة ...

ويطلعه على كل ما كان منهم ... منذ ألقى الكتاب إلى بلقيس ... إلى أن اتخذوا قرارهم الأخير !..

أتُمدّونَنِ ... بمالٍ ...؟!

هــذا ...

مفتاح ... من أخطر مفاتيح شخصية سليمان ...

صراع بين ملكة من ملكات الدنيا ...

وملك من ملوك الآخرة ...

حوار بين منطق نبي ... ومنطق ملكة ...

حشدت بلقيس أغلى ما تملك من جواهر ونفائس ... وأعزّ ما عندها من أطيب الطيب ...

وجاءت بأعظم رجالاتها مكراً ودهاءً ...

وجعلتهم على رأس القافلة ... وأمرتهم أن يسيروا إلى سليمان ...

وأن يقدموا اليه ... تحياتها ...

ثم يقدموا اليه ... هداياها ...

ثم عليهم أن يدرسوا كل ما حولهم من أحوال مملكته ...

وأن ينظروا ماذا يكون قراره عندما يقدمون اليه هداياها ...

لتستطيع على ضوء ذلك كله ... أن تكيف موقفها منه ...

ولقد تفنن القصاص في وصف الهدايا المرسله منها إلى سليمان ...

وقال القشيري ... في لطائف الإشارات :

« جاء في القصة ، أنها بعثت إلى سليمان بهدايا .

« ومن جملتها لبنة مصنوعة من الفضة وأخرى من الذهب .

« وأن الله أخبر سليمان بذلك ، وأوحى اليه في معناه .

« وأمر سليمان الشياطين حتى بنوا بساحة منزله ميداناً .

« وأمرهم أن يفرشوا الميدان بهيئة اللبن المصنوع من الذهب والفضة ، من أوله إلى آخره .

« وأمر بأن توقف الدواب على ذلك ، وألا تنظف آثارها من روث وغيره .

« وأن يترك موضعان للبنتين خاليين في ممر الدخول .

« وأقبل رسلها ، وكانت معهم اللبنتان ملفوفتين .

« فلما رأوا الأمر ، ووقعت أبصارهم على طريقهم ، صغـــر في أعينهم ما كان معهم .

« وخجلوا من تقديم ذلك إلى سليمان ، ووقعوا في الفكرة ...

« كيف يتخلصون مما معهم ؟

« فلما رأوا موضع اللبنتين فارغاً ، ظنوا أن ذلك سُرق من بينها .

« فقالوا : لو أظهرنا هذا نُسبنا إلى أنا سرقناهما من هذا الموضع .

« فطرحاهما في الموضع الخالي .

« ودخلا على سليمان » .

هذه أقصوصة أوردها القشيري في تفسيره ...

ولا أميل الى اعتمادها ... وإنما أثبتناها كنموذج مما قيل في وصف هدايا الملكة إلى سليمان .

وإنما المقطوع بصحته أن أي ملكة ... في مثل عظمة مُلك بلقيس ...

إذا فكرت أن ترسل هدايا ... الى ملك في مثل عظمة مُلك سليمان ...

إنما ترسل اليه ما يليق بعظمة مُلكها ... ويليق بعظمة مُلكه ...

أضف إلى ذلك أن بلقيس كانت تريد أن تختبر سليمان بهديتها ... فإن كان من أهل الدنيا قبلها ... وإن كان نبياً رفضها ...

فمن الحتم عليها ... أن تبالغ في هداياها ... لتحقق غرضها وهدفها من ذلك الترتيب !

ثم ماذا ؟!

ثم وصل الهدهد الى سليمان ...

وأخبره بخبر رحلته ... ذاهباً إلى سبأ ... وعائداً منها إلى الشام ...

ونقل اليه أخباراً كاملة عن اجتماعاتهم وقراراتهم ... وإنهم انتهوا إلى ملاينته ... وإرسال الهدايا اليه ...

ثم هناك في سبأ ... أعدت الملكة القافلة التي سوف تسير إلى سليمان ... وعلى رأسها دهاة السياسة في بلادها ... وأكابر الجواسيس الذين يعملون لها ...

وبعد أسابيع وصلت القافلة إلى سليمان ...

وأذن لها بالمثول بين يديه ...

فتقدم رسل بلقيس إلى سليمان ...

وأبلغوه تحيات الملكة ... وتمنياتها الكريمة ...

وجعل سليمان يسألهم عن أحوالها ... وأحوالهم ...

ثم سألوه بأن يأذن لهم ... في تقديم ما يحملون اليه من هدايا ...

« فلما جاء سليمانَ قال أتُمدُّونَنِ بمالٍ فما آتانِيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون » .

« **فلما جاء** » الرسل الذين أرسلتهم بلقيس ...

« **سليمان** » وحضروا عنده ... نظر نحوهم بوجه حسن طلق ... وتكلم معهم ليناً ... مستخبراً عن أحوال ملكتهم ومملكتهم ثم ...

« **قال** » ما أمركم وشأنكم ؟

فأعطوا كتاب بلقيس فنظر فيه ...

ثم أتوا بالهدايا المرسلة ...

فأبى سليمان عليه السلام ، وامتنع من قبولها ، وردها كلها اليهم ... مهدداً حيث قال ...

« **أتُمدونَنِ** » وتزيدونني .

« **بمالٍ** » يميل اليها أبناء الدنيا الدنية ... المحرومين عن اللذات الأخروية ...

« **فما آتاني الله** » المنعم المتفضل عـــليّ من الأمور الأخروية ... واللذات الدنية ... من النبوة ... والرسالة ... وتسخير الثقلين ... والرياح ... والطيور ... والوحوش ... وجميع من في الجو ... وعلى وجه الأرض ...

« **خير مما آتاكم** » من حطام الدنيا ... وزخارفها الفانية ... فما لنا مثل والتفات اليها ...

« **بل أنتم** » وأمثالكم من أبناء الدنيا ...

« **بهديتكم** » هذه .

« **تفرحون** » تميلون ... وتسرون بها ... لفخركم بأمثال هذه الزخارف ... لقصور نظركم عليها ... وغفلتكم عن الأمور الأخروية .

ثم ماذا ؟!

قلنا في مطلع هذا الباب أن هذا أخطر مفتاح في شخصية سليمان ...

ونعني بالمفتاح قوله تعالى « أتمدونن بمالٍ » ؟!

ها هنا المفتاح ...

والتعبير ... فيه تحقير وتصغير ...

تحقير لكل ما كان منهم من تفكير ...

تصغير لكل ما كان عنهم من تدبير ...

بمـــال ؟!.

بمال حقير ... ليس له أي قيمة أو اعتبار ...

أموالكم هذه التي حشدتموها ... من ذهب وفضـــة وعطر وغلمان وجوارٍ وثياب ... وظننتموها شيئاً يسرني ويطربني ... انما هي عندي لا شيء ... يستحق أن يُلتفت اليه !..

أحسبتموني طالب دنيا وزينتها ... أم ظننتموني طامعاً في ما عندكم من ثروة ومتاع ؟!.

أنتم قوم تجهلون ... وآية جهلكم هذا الذي تفعلون !..

نحن معاشر الأنبياء ... لا نورث ما تركناه صدقة ...

ونحن معاشر الأنبياء ... لا نلتفت إلى دنيا ... ولا إلى آخرة ... وإنما إلى الله ...

ومن كان نظره إلى الله ... لا يمدن عينيه إلى شيء سواه ...

هيهات هيهات أن تفهموا شيئاً مما أقول لكم ...

ولو كنتم تعقلون ما عبدت ملكتكم ... وعبدتم الشمس من دون الله ...

ما هذه الشمس التي تعبدون ؟!

الله خالق الشمس ... وخالق كل شيء ... فكيف تعبدون مخلوقاً أيها الجاهلون ؟!

ووقف سليمان ... عالياً ... أعلى من السماء ... ثم قال :

« فما آتانيَ الله خيرٌ مما آتاكم » وما هنا يتلألأ منطق الأنبياء ... وهو يخالف منطق الفراعنة ...

الفراعنة يقولون « أليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » ...

ويقولون بلسان قارون « إنما أوتيته على علم عندي » !..

ينسبون ما هم فيه من نعم ... إلى أنفسهم « أليس لي » ؟!

المُلك ... لي ... وأين الله من تفكيره ... لا وجود لله في تفكيره !.

والمسمى قارون يقول « على علم عندي » ... عنده هو ... وأين الله يا أيها القارون ؟!. لا وجود لله عنده ... انما العلم علم عبقريته الفذة !..

هذا منطق الفراعنة ... منطق الجاهلين ...

ومنطق صِغار وصَغار ... وعار وشنار ...

منطق أطفال ... يفرحون بما في يدهم ... ويظنون أنهم أصحابه ... ولا شيء وراء ذلك ...

وهذا منطق لا يستحق ... حتى أن يبصق الإنسان عليه ...

أما منطق الأنبياء ... ومنهم سليمان فيقولون ... فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم ؟!.

كمال ... وجمال ... وجلال ...

كمال ... حين أطلقوها شاملة كاملة ... آتاني ... آتاكم ... ما عندي ... وما عندكم ... من الله ...

لغتهم لغة ... جوامع الكلم ... وفصل الخطاب ...

لغتهم لغة ... « له كل شيء » ... له هو سبحـــانه ... كل شيء ... ما أوتيت ... وما أوتيتم فمنه هو ...

هذا كان تعبيرهم ...

أما الجمال ... ففي قوله « خيرٌ » ... لم يقل أعظم أو أكثر مما آتاكم ... وإنما « خيرٌ » مما آتاكم !..

فماذا في هذا من الجمال ؟!.

فيها جمال ليس كمثله جمال ؟!.

خـــيرٌ ؟!.

أرقى ... وأسمى ... وأعلى ... وأبقى ... مما آتاكم ...

أين حقارات مُلككم ... من جنـــود أو أموال ... أو بساتين ... أو مناصب ... مما آتاني الله ؟!.

أين تلك التفاهات الفانيات الزائلات ... من الباقيات الصالحات ؟!.

أين النبوة ... من أي شيء في الأرض أو في السماء ؟!.

أين اختيار عبد من عباد الله ... ليكون سفيراً من الله إلى عباده ... من مُلك قطعة أرض من الكرة الأرضية ؟!

خـــيرٌ ؟!.

فيها جمال شمشماني عجيب !..

فكيف بها وهي تموج من قلب سليمان ... فتزداد جمالاً إلى جمال ؟!.

أولئك الأنبياء ... أعلى ثم أعلى من السماء !..

وأما الجلال ... ففي شخصية سليمان ... القاهرة ... الباهرة ... الظاهرة ... الشاكرة ... الناظرة ... إلى ربها !..

والأنبياء ... يتجلى عليهم ربهم ... بالجمال ... والجلال ...

فإذا رأيتَ ثمّ رأيت ... جمالاً وجلالاً ... يلتقيان !..

فإذا ما مسسنا ما في التعبير السليماني « **فما آتانيَ الله خيرٌ مما آتاكم** » من كمال وجمال وجلال ... وجدنا أنفسنا نسبح في بحار فضل الله على عبده الذي قال فيه «**نعم العبد إنه أوّاب**» ...

فرأينا عجائب العطاء الإلهي « **هذا عطاؤنا** » ...

ورأينا عجائب إطلاق العطاء ... بلا حدود وبلا قيود وبلا سدود ... « **فامنُن أو امسِك بغير حساب** » !..

ورأينا عجائب « **هبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي** » ...

ثم نسبح ونسبح فماذا نرى ؟!

« **وإذا رأيتَ ثَم رأيتَ نعيماً ومُلكاً كبيراً** » !..

نبوة ... فهو نبي زمانه ... وقُطب أوانه ...

ووراثة عن أب هو خير أب ... « **وورث سليمانُ داوود** » ...

وعطاء بعد عطاء ...

ريح مسخرة لأمره ...

جنّ يعملون بين يديه ...

طير محشورة لأمره ...

شعب مسخر له طوعاً ...

امكانيات ... أكداس من الذهب والفضة ...

قصور شاهخات من كل نوع وفن ...

حكمة تُضرب بها الأمثال ...

فأين من أين ؟!

أين مُلك بلقيس مهما أوتيت من كل شيء ... كما قال عنه الهدهد « **وأوتيت من كل شيء** » ...

من مُلك سليمان ... الذي قال فيه « **وأوتينا من كل شيء** » ؟!.

لا نسبة ...

مُلك بلقيس ... قطرة من مُلك سليمان الظاهر ...

ويزداد عنها ... مُلكه الباطن ... الذي لا مِثل له في الأرض ...

هنالك غابت عن نظر سليمان هداياهم ... وما حملوه اليه ... وعظم شعوره بنعمة الله عليه ...

وقال لرسل بلقيس : **بل أنتم بهديتكم تفرحون** !..

هذا أقصى ما عندكم من الإغراء ...

لأن قلوبكم هواء !..

فلنأتينَّهم ... بجنودٍ ...

لا قِبَلَ لهم بها ؟!...

الأنبياء . . .

كل الأنبياء ... اذا ما غضبوا ... غضبوا ... لله ...

وإذا ما رضوا ... رضوا ... لله ...

والناس يغضبون لهواهم ... ويرضون لهواهم ...

لكن الأنبياء ... لا هوى لهم ... وإنما كلهم لمولاهم ...

« وما ينطقُ عن الهوى .

« إن هو إلا وحيٌ يُوحى » !..

هذا ناموسهم ... وليس النطق وحده ... وإنما كل أحوالهم ...

ومن هنـــا ... كان صمتهم لله ... ونطقهم لله ... ورضاهم لله ... وغضبهم لله ...

وكل ما يكون منهم لله ...

وتذكر في هذا ... ما قيل لداوود :

« ولا تتبِـع الهوَى » !..

وها هنا ... في هـــذا المقام السليماني ... نشهد مشهداً عجباً ... من غضب الأنبياء ...

« ارجعْ اليهم .

« فلنأتينّهم بجنودٍ لا قبل لهم بها .

« ولنُخرجنّهم منها أذلّةً وهم صاغرون » .

أقوى شخصيات على الإطلاق ... شخصيات الأنبياء ...

وأقوى إرادة مطلقاً ... إرادة الأنبياء ...

هم مؤهلون أن يتحدى ويتصدى الواحد منهم ... وحده ... للعالم كله ...

تشهد تلك المشاهد المثلى ... منهم ... في مواقفهم الخالدة ... وهم يبلغون رسالات الله ...

« الذين يُبلغون رسالات الله .

« ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله » !..

هذا هو ينبوع قوة شخصياتهم المثلى ... صلى الله عليهم ...

وانظر في هذا ... إلى نوح حين وقف ... وحده ... طيـــلة نحو ألف عام ... يتحدى البشر جميعاً ...

أو انظر إلى ابراهيم ... حين هددوه بالموت حرقاً ...

واجتمعوا عليه أجمعين ... وألقوه إلى الجحيم ...

أو انظر إلى موسى ... حـــين وقف ... وحده ... يتحدى فرعون وشعبه كله ...

ثم انظر بعد ذلك ... إلى سلـــيمان ها هنا ... تتكامل لك الصورة ... وتدرك ان ليس كمثل شخصياتهم شخصيات !..

والمشهد هنا ... مشهد شعب ضخم ... على رأسه ملكة عظيمة حكيمة ... يعيش ناعماً ... في جنات وعيون ... وزروع ومقام كريم ...

شعب له جيش كبير ... واشتهر جنوده في الحرب ببأس شديد ...

وليس هنـــاك من شيء يعكر صفو العلاقات الطيبة بين مملكة سبأ .. ومملكة سليمان ...

فمنطق السياسة الطبيعي ... ألا يكون هناك توتر في العلاقات بين البلدين ...

وأن يقبل سلـــيمان هدية بلقيس ... ويعتبرها دليلاً على حسن العلاقات بين البلدين ...

وأن يرد على تحية الملكة بأحسن منها ... فيُهدي اليها كما أهدت اليه ... ويحييها كما أرسلت اليه تحياتها ...

هذا هو المألوف في العلاقات الدولية ... ولكن سليمان رفض الهدايا ... وقطع العلاقات الدبلوماسية فوراً بينه وبين مملكة سبـــأ ... وطرد أعضاء البعثة جميعاً ... طرداً عنيفاً ... حين هددهم :

« أرجعْ اليهم » مخاطبـــاً رئيس البعثة ... وهذا معناه في العرف الدبلوماسي ... عُد إلى بلادك من حيث أتيت ... واحمل معك جميع هداياكم ...

معناه طرد أعضاء البعثة جميعاً ...

ولم يقف الأمر عند هـــذا ... بل أعلن الملك بنفسه ... أمام أعضاء البعثة البلقيسية ...

أعلن الحرب ... فوراً ... على مملكة سَبَأ ...

« فلنأتينهم بجنودٍ » فلنضربنهم بقوات ...

« لا قِبَلَ لهم بها » تسحقهم سحقاً ... وتمزقهم شر ممزق ...

« ولنخرجنهم منها » من بلادهم ...

« أذلة » ما بين أسير ... وطريد ... وشريد ...

« وهم صاغرون » مهانون ... ان لم يأتوا مسلمين !..

وكان النبي ... الملك ... سليمان ... وهو يعلن الحرب على مملكة سبأ ... ويهددهم جميعاً بالإبادة والتشريد ... والإذلال ...

في حال من الغضب ... الشديد ...

ورُعب هنالك أعضاء البعثة رعباً عظيماً ...

ووقفوا يتلقون التهديد ... كأنهم خُشُب مُسنَّدة !..

لم ينطقوا ... ولم يحركوا ساكناً !..

فما معنى هذا ؟!

لماذا ردّ سليمان ... على ملاطفة بلقيس ... بعنف لا تحتمله الجبال ؟!

لماذا جلجل عالياً ... وقطع بسيفه كل العلاقات بينه وبين سبأ ... وأعلن عليهم حرباً ... تسحقهم سحقاً ؟!.

لأن القضية ليست قضية ملوك ... وسياسة وكياسة ...

انما هي قضية توحيد ...

شعب يعبد الشمس ...

وسليمان يدعوه إلى عبادة الله ...

فإن أبى ... فالحرب فوراً ...

كل طاقات سليمان تُصب صباً في هذا السبيل ...

كل جنوده تُحشد ... لله ... فوراً ...

فلتُدمر بلقيس ... وجيش بلقيس ... وإمكانيات بلقيس ...

انهم قد احتجبوا عن الله ...

فلتمزق هذه الحُجب فوراً ...

لتسطع شمس الحقيقة ... شمس لا إله إلا الله ...

ولتسقط الأباطيل التي يعبدون من دون الله ...

إنه نفس منطق سيد الأنبياء :

« أُمرت أن أقاتل الناس .

« حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله » !..

مشهد ... يا له من مشهد !..

مشهد نبي ... يغضب لله ...

فيزأر زئيراً ... يهز الوجود هزّاً هزّاً !...

« فلنأتينهم بجنود ... لا قبل لهم بها ... ولنخرجنهم منها ... أذلة ... وهم صاغرون » !..

منظر من المناظر الإلهية ...

نشهد فيه ... أن شخصيات الأنبياء ... أقوى شخصيات على الإطلاق ...

وها هو نبي منهم ... اسمه ... سليمان ...

يعلن الحرب والدمار ... على مملكة الشمس ...

غضباً لله ... وفي الله ...

إما ... لا إله إلا الله ...

وإما ... هو السيف ... بيني وبينكم !..

أيكم ... يأتيني ... بعرشها ...؟!

بلقيس ...

تجلس على عرشها ...

ورجالات الدولة من حولها ...

الجميع يتطلعون إلى جمالها ... ثم يغضون البصر ... خوفاً من جلالها ...

ثم أمرت بمثول البعثة بين يديها ...

فدخلوا ... ثم سجدوا أمام عرشها ... تحية لها ...

فأومأت اليهم في دلال ... فجلسوا في مجالسهم ... إلا رئيس البعثة فقد ظل واقفاً بين يديها ...

فقالت الملكة : تكلم ... واشرح للجميع ... كل شيء ...

فقال رئيس البعثة : سيدتي ... لقد أعلن سليمان الحرب علينا !..

فثارت الملكة وصاحت : لعلك ارتكبت حماقة من حماقاتك ... فأغضبته ؟ !

فقال في خوف : لا ... وحق الشمس ... لقد تذللت اليه ... وتلطفت في حديثي غاية التلطف ...

قلت : أحمل اليك تحيات الملكة ... وتحيات شعبها ...

ثم استأذنته أن نقدم اليه هدايانا ...

فثار ثورة لم نشهد مثلها وصاح « **أتمدونن بمالٍ** » ؟!.

ورفض قبول الهدايا ... وحقرها تحقيراً شديداً ...

وقال لنا : أنتم وأمثالكم ... « **بهديتكم تفرحون** » ...

إلا أن ذلك كله يهون ... بالنسبة إلى ما فاجأنا به بعد ذلك ...

فهتفت الملكة : وماذا هناك بعد ذلك ؟!

فقال : أعلن طردنا جميعاً ... وثار بنا صائحاً : « **ارجع اليهم** » ...

ثم أعلن الحرب علينا : « **فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها... ولنخرجنهم منها أذلة ... وهم صاغرون** » !..

فهتفت الملكة : إذاً هي الحرب ؟!.

فماذا تقولون ؟ !

إن سليمان يهددكم بالإبادة ... أيها الرجال ...

فصاح صائح منهم : نحن لها ... فانظري ماذا تأمرين ؟!

ثم قال رئيس البعثة : لقد طردنا طرداً ...

فقالت الملكة : كيف وجدتم مملكته ؟!

فقال : سيدتي ... مُلك ليس كمثله مُلك ... جنود لم نشهد مثلها قط ... امكانيات ... قصور ... الذهب الفضة النحاس ... لا قيمة لها عند سليمان ... عرشه من ذهب ... آنيته من ذهب ... قصوره لا يتصورها العقل ... مصيبة لم نواجه مثلها يا سيدتي ...

فهتفت الملكة : الآن تأكد عندي ... أنه نبي ... فلو كان ملكاً من ملوك الدنيا ... لقبل هدايانا ... ورضي منا ما قدمناه ...

ـ أما الحرب فنحن نخسرها ضده ...

ـ فليس أمامنا إلا التسليم . .

ـ فصـــاح رجال الكهنوت ... كالثيران الهائجة : لا وربّ بلقيس ... لا ندع عبادة الشمس ... ولا نسلم لسليمان أبداً ... الموت أهون علينا من ترك دين آبائنا وأجدادنا ...

فصاح قائد القوات المسلحة : أنتم رجال الكهنوت ... تحسنون التراتيم... فإذا جدّ الجد كنتم أول من يفر !..

فغضب كهنة الشمس وقالوا : وأنتم يا رجال السيف ... كالطواويس ... تحسنون الزهو ... ولا تحسنون الطعن ...

وارتفع النقاش ... وكادوا يشتبكون بالأيدي ... لولا أن صاحت بهم الملكة : كفوا عن هذا العبث ... ودعونا نواجه المصيبة العظمى ...

ـ اني قد اعتزمت المسير إلى سليمان ...

ـ ولا رجعة في قراري ...

فضجت القاعة بالتصفيق ... وتعالت الهتافات : عاشت الملكة ... حيّا الله الملكة ... الأمر أمر بلقيس !..

وانفض المجتمعون ... وغادرت الملكة قاعة العرش ...

وعلى الفور استدعت من كبار حاشيتها رجالاً موضع ثقتهـــا ... وأمناء سرّها ...

وقالت لهم في لهجة قاطعة : توجهوا فوراً ... إلى سليمان ... في أسرع وقت ... وعلى صهوات خيولكم ... لتصلوا اليه سراعاً ...

ـ فإذا جئتموه ... فأعظموا له التحية ... وقولوا له : ان الملكة قد اعتزمت المسير اليك ... هي ورجالات دولتها ...

ـ هيا . . نفـّذوا ما آمركم به ...

ومضت الأيام ... ووصلت بعثة بلقيس إلى سليمان ... وأخبروه بما أمروا ...

فأحسن سليمان ضيافتهم ... وحجزهم عنده ... ينتظرون مقدم الملكة ...

أما بلقيس فأغلقت الأبواب على قاعة عرشها ... وشددت الحراسة على قصرها ... وعينت نائباً عنها من أهل ثقتها ...

ثم خرجت على رأس الموكب الملكي... وخرج معها القادة... والزعماء... وكبار رجال الكهنوت ... وقد حرصت أن تجمعهم معها في رحلتها ... حتى لا ينتهزوا الفرصة ... ويُحدثوا انقلاباً ضدها وهي غائبة عن عاصمة ملكها !..

ومما ورد عند أهل الكتاب ... عن قدوم بلقيس إلى سليمان :

« وسمعت ملكة سَبأ بخبر سليمان .

« فأتت لتمتحن سليمان بمسائل الى أورشليم .

« بموكب عظيم جداً .

« وجمال حاملة أطياباً وذهباً بكثرة ، وحجارة كريمة .

« فأتت الى سليمان ، وكلمته عن كل ما في قلبها .

فأخبرها سليمان بكل كلامها .

« ولم يخفَ عن سليمان أمر إلا وأخبرها به .

« فلما رأت ملكة سَبأ حكمة سليمان ، والبيت الذي بناه ، وطعام مائدته ، ومجلس عبيده ، وموقف خدامه وملابسهم ، وسُقاته وملابسهم ، ومحرقاته التي كان يُصعدها في بيت الرب ، لم تبق فيها روح بعد .

« فقالت للملك : صحيح الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك .

« ولم أصدق كلامهم حتى جئتُ وأبصرت عيناي .

« فهو ذا لم أُخبر بنصف كثرة حكمتك .

« زدت على الخبر الذي سمعته .

« فطوبى لرجالك ، وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً ، والسامعين حكمتك .

« ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سُرَّ بك ، وجعلك على كرسيه ، ملكاً للرب إلهك » ...

ومما ورد عندهم :

« وأهدت للملك مئة وعشرين وزنة ذهب .

« وأطياباً كثيرة جداً .

« وحجارة كريمة .

« ولم يكن مثل ذلك الطيب الذي أهدته ملكة سبأ الملك سليمان » ...

ثم ماذا ؟!. ثم قالوا :

« واعطى الملك سليمان ملكة سبأ ، كل مشتهاها الذي طلبت ، فضلاً عما أتت به الى الملك .

« فانصرفت ، وذهبت إلى أرضها ، هي وعبيدها » .

هذا مما ورد عند أهل الكتاب عن موكب الملكة ...

لقد كان موكباً عظيماً ... يتناسب مع عظمة الملكة ... وعظمة المُلك الذاهبين اليه ...

مئات من الخيول العربية الأصيلة ... يركبها مئات من القادة والزعماء ... والملكة على رأسهم ... في إخراج ملكي بهيج ...

مئات من الإبل ... محملة بالجواهر ... والطيب ... والهدايا ...

ألوف ... من العبيد ... والغلمان ... والجواري ... يتبعون الموكب ...

وقطع المسافرون المسافة من اليمن إلى الشام ... في أسابيع ... وأصبحوا على مشارف عاصمة سليمان ...

وكان الملك سليمان ... يجلس على عرشه ... في قصر الحُكم ...

ومن حوله قادة الجنّ ... وقادة الإنس ... وقادة الطير ...

ونظر سليمان ... وهو على كرسيه ... فرأى سواداً من بعيد ... على مرمى البصر ... قادماً ... في اتجاه القصر ...

فسأل : ما هذا الذي يبدو من بعيد ؟!

فقالوا : هذه بلقيس ... قادمة اليك ... وقومها ...

« **قال يا أيها الملأُ** .

« **أيكم يأتيني بعرشها** .

« **قبل أن يأتوني مسلمين** » .

« **يا أيها الملأ** » يا أيها القادة ... من الجنّ ... والإنس ...

« **أيكم يأتيني** » فوراً ...

« **بعرشها** » بكرسي عرشها ... هذا الذي يتحدثون عن عظمته ...

« **قبل أن يأتوني** » قبل أن يصلوا إليّ ها هنا ... في مجلسي هذا ...

« **مسلمين** » طائعين ؟..

فنهض واقفـــاً واحد من الجنّ ... وأجاب على سؤال النبي الملك ... في اعتزاز بقوته ...

« **قال عفريتٌ من الجنّ** .

« أنا آتيك به .

« قبْلَ ان تقوم من مقامك .

« وإني عليه لقويٌ أمين » .

« قال » فوراً ...

« عفريت » رئيس منهم ... وكان أقواهم ... والعفريت ... هو الخبيث المارد ...

« من الجنّ » من جنس الجنّ ... الذين يجلسون في مجلس سليمان ... وقيل كان اسمه صخر ...

« أنا » ومعنى هذا أنه يعتز بقوته وقدرته ...

« آتيك به » أحمله اليك ...

« قبل أن تقوم من مقامك » قبل أن تقوم من مجلسك الذي تجلسه للحُكم ...

« و » بالجملة آتيك به قبل إتيانها ...

« إني عليه » أي على حمل العرش وإتيانه ...

« لقوي » أحمله بلا تزلزل أركانه وقوائمه ...

« أمين » لا أتصرف في شيء من زينته وجواهره ...

فلم يرغب سليمان في قوله ... لأنه بنى القول فيه على دعوى قوته ...

وبالتأمل في قول العفريت ... نلمس طبيعة الفخر والخيلاء ...

« أنا ... آتيك به ... وإني ... لقويٌ أمين » ...

أنا ؟!. إني ؟.. لقوي ؟.. أمين ؟..

سلسلة من التعزز بنفسه ... والفخر بصفاته ... ونسبة الفعل إلى نفسه ... لا إلى الله ...

ولا عجب ... فهو عفريت ... أي شرير ... خبيث ... وهـــذه لغة الخبيثين !..

يعبدون ذواتهم ... ويمجدون صفاتهم ... فهم دائمـــاً يقولون ... أنا ... وإني !..

ان أقصى سرعة عند المذكور ... أن يأتي بالعرش من اليمن إلى سليمان ... قبل أن يغادر قاعة العرش ... أي خلال ساعات قليلة ...

ولكن سليمان ... يريد أسرع من ذلك ...

لذلك أعرض عن كلام العفريت وقال لمن حوله : أريد أسرع من ذلك ؟..

فجلس العفريت ... خاسئاً ... وهو حسير !..

وتطلع الجميع ... ولسان حالهم يقول : مَن يجيب على سؤال سليمان ؟!.

أنا ... آتيك به ...

قبل أن يرتدّ إليك طرفك ...؟!

الجـــنّ ...

مهما أوتوا من قوة ... ليسوا شيئاً ذا بال ... بالنسبة الى قوة الإنس ...

وقد قرر أحد العارفين تلك الحقيقة حين قال : رجل صالح واحد أقوى من مملكة الجنّ بأسرها !..

وإنما استتار الجنّ عن العيون ... هو الذي يعطيهم هـــذه الهالة في نظر الجاهلين من الآدميين ...

فتراهم يقصون الأقاصيص ... ويتناقلون التهاويل ... عن الجنّ وما يصدر عنهم من أفاعيل !..

ولقد رأينا كيف أن أقصى ما يمكن أن يكون من الجنّ ... أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام ... في بضع ساعات ؟!.

وكيف وقف القوي الأمين منهم مفاخراً بهذا ... ويعتبره حدثاً عجيباً « أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ... وإني عليه لقوي أمين » ؟!.

ولكن سليمان ... النبي ... الذي كشف الله له حقائق الأجناس ... فهو يعلم مدى قوة جنس الجنّ ... ومدى قوة جنس الآدمي ... ومدى قوة جنس الطير والوحش ...

لم يلتفت إلى مقال العفريت من الجنّ ... لمـــا فيه من الفخر والخيلاء والاعتزاز بالقوة ...

لأنه يعلم أن الآدمي ... يستطيع أن يأتي بالعرش أسرع من ذلك ...

وجعل سليمان يترقب من جنس الآدميين مقالاً ... لأنهم أقدر من الجن وأقوى ...

« قال الذي عنده علمٌ من الكتاب .

« أنا آتيكَ به قبل أن يرتدَّ اليك طرفُك .

« فلما رآه مستقرّاً عنده .

« قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكرُ أم أكفرُ .

« ومن شكر فانما يشكر لنفسه .

« ومن كفر فان ربي غنيٌّ كريم » .

« قال الذي عنده علم » فائض عليه ...

« من الكتاب » أي من حضرة العلم ... المحيط الإلهي ... المعبر عنه بالقضاء ... واللوح المحفوظ ... وعالم الأسماء ... والأعيان الثابتة ... يقدر بذلك العلم على إحضار شيء ... وإعدامه دفعة ...

« وهو كان وزيره ... آصف بن برخيا ...

« قد انكشف عليه خواص الأسماء الإلهية ... ففعل بها ما فعل ...

« أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » أي قبل أن تعيد وتطبق أجفانك ... حين نظرك والتفاتك ...

« وهذا كناية عن كمال السرعة والعجلة .

« فأتى به طرفة عين ...

« فلما رآه » أي سليمان ... العرش ...

« مستقراً عنده » في طرفة عين ... قبل اتيان بلقيس ...

« **قال** » سليمان عليه السلام ... متوجهاً إلى ربه ... ذاكراً نعمه الفائضة عليه ... مجدداً الشكر إياها ...

« **هذا** » أي حضور هذا العرش العظيم... الثقيل في غاية الثقل... والعظمة في آن واحد ... مع أنه قد كان في مسافة بعيدة ...

« **من فضل ربي** » عليّ ... ومن عداد جلائل انعامه ... وأفضاله إليّ ... انما تفضل سبحانه عليّ بهذا ...

« **ليبلوني** » ليختبرني ...

« **أأشكر** » وآخذ بمواظبة شكر نعمه المتواترة عليّ ... بحيث أعجز عن أداء شكره ... وأعترف بالعجز والقصور ... عن إحاطة نعمه ... فكيف عن أداء حقوقها ؟..

« **ام اكفر** » نعمه ... ولا أقيم بمقام الشكر عليها ... وإن كانت الإقامة والتوفيق عليها أيضاً ... من جملة أنعامه وأفضاله وإكرامه ...

« **و** » لا عائدة من شكرنا اليه سبحانه ... إذ هو منزه عنها ...

« **من شكر** » الشاكر ...

« **لنفسه** » ولازدياد نعمه بمزيد الشكر ...

« **و** » أيضاً ...

« **من كفر** » فإنما يكفر لنفسه ... ولانتقاص نعمه... لانتقاص شكره ...

« **فان ربي غنيّ** » في ذاته ... عن عموم الفوائد والعوائد ...

« **كريم** » جواد ... لا يعلل فعله بالأغراض ... وأنعامه بالأعواض ...

أما الامام القشيري ... فقال في لطائف الإشارات :

«الذي عنده علم من الكتاب» (قيل هو آصف)... وكان صاحب كرامة.

وكرامات الأولياء ملتحقة بمعجزات الأنبياء . إذ لم يكن النبي صادقاً في نبوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته .

ومعلوم أنه لا يكون في وسع البشر الإتيان بالعرش بهذه السرعة ، وأن ذلك لا يحصل إلا بخصائص قدرة الله تعالى .

« وقطع المسافة البعيدة في لحظة لا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين :

« إما أن يُقدم الله المسافة بين (العرش وبين منزل سليمان) .

« وإما بأن يعدم العرش ثم يعيده في الوقت الثاني بحضرة سليمان .

« وأي واحد من القسمين كان ـ لم يكن إلا من قِبل الله .

« فالذي كان عنده علم من الكتاب ، دعا الله ـ سبحانه ـ واستجاب له في ذلك ، وأحضر العرش .

« وأمر سليمان حتى غيّر صورته ، فجعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه ، وأثبته على تركيب آخر غير ما كان عليه .

« ولما رأى سليمان ذلك أخذ في الشكر لله ـ سبحانه ـ والاعتراف بعظم نعمه ، والاستحياء ، والتواضع له ، وقال : « هذا من فضل ربي ؛ لا باستحقاق مني ، ولا باستطاعة من غيري ، بل أحمد النعمة لربي ، حيث جعل في قومي ومن أمتي مَن له الجاه عنده فاستجاب دعاءه .

« وحقيقة الشكر ـ على لسان العلماء ـ الاعتراف بنعمة المنعم على جهة الخضوع .

« والأحسن أن يقال : الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه .

« فيدخل في هذا شكر الله للعبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان العبد ، وشكر العبد ثناء على الله بذكر إحسانه ...

« إلا أن إحسان الحق هو إنعامه ، وإحسان العبد طاعته وخدمته لله ، وما هو الحميد من أفعاله .

« فإما على طريق أهل المعاملة وبيان الاشارة : فالشكر صرف النعمة في وجه الخدمة .

« ويقال الشكر ... ألا تستعين بنعمته على معاصيه .

« ويقال الشكر ... شهود المنعم من غير مساكنة إلى النعمة .

« ويقال ... الشكر رؤية العجز عن الشكر .

« ويقال ... أعظم الشكر ... الشكر على توفيق الشكر ...

« ويقال ... الشكر على قسمين : شكر العوام على شهود المزيد ، قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، وشكر الخواص يكون مجرداً عن طلب المزيد ، غير متعرض لمال العوَض .

« ويقال ... حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها ؛ لأن بالشكر بقاءها ودوامها » .

أما الامام الطبري ... فقال :

« قبل أن يرتد اليك طرفك » : قبل أن يرجع اليك طرفك ؛ من عند منتهى نظرك .

« فتكلم العالم بكلام .

« قيل : بأن قال : يا إلهنا ، وإله كل شيء ، إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها .

« فصار العرش في المكان الذي كان به .

« ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

« فلما رأى سليمان العرش بين يديه ؛ (قال : هذا من فضل ربي ليبلوني) : ليختبرني » .

وإنما أفضنا في نقل ما ذهب إليـــه بعض الأعلام من أهل التفسير ... في تفسير تلك الآية العزيزة ... لنضع أمام القارىء صورة متكاملة للمعجزة الخطيرة ... معجزة نقل عرش ضخم ... واقتلاعه من مكانه في صدر قاعة عرش بلقيس ... وإحضاره في لحظة أمام سليمان ...

نريد بذلك تثبيت العقول ... فإن المعجزات تخلخل العقل البشري ...

كيف ؟.. لماذا؟.. كيف تم نقل هذا العرش الثقيل من اليمن إلى الشام ... في أقل من لحظة ؟.. هل هذا ممكن ؟.. وماذا قال آصف هذا حتى تطاوع له العرش وجاء بين يديه فوراً ؟!.

العقل لحوح ملحاح ... يلح في الأسئلة ... ولا يُسلم في بساطة ...

والمعجزات خوارق ... تخرق العقل والقوانين العقلية ... فتهزه هزاً عنيفاً ... ويضطرب أمامها اضطراباً شديداً ...

ثم ماذا ؟ !

ثم ما هو سر هذه الخارقة ؟ !

سرها ... ذكره الإمام الأكبر ... ابن العرَبي ... وتجد ذلك من هذا الكتاب ... في باب « سليمان ... كما يراه ... ابن العربي » ... وقد كشف لنا فيه من عجائب تلك المعجزة !..

من أجل ذلك ... لا نتكلم عن سر المعجزة ... فإذا تكلم ابن العربي ... فليسكت أمثالنا ...

وإنما نتكلم عن المنظر ... باعتباره من المناظر الإلهية الفريدة ...

سليمان ... وما أدراك ما سليمان ؟!.

على كرسي عرشه ... يحف به أئمة الجنّ ... وأئمة الإنس ... وأئمة الطير ...

وكان الوقت ضحى ...

فرأى سليمان في الأفق من بعيد ... جمّاً غفيراً من الناس والدواب ... يسيرون في اتجاه قصره المشيد ...

فلما استفسر أخبروه أن ذلك الذي يرى ... موكب ملكة سبأ ...

فنادى في من حوله « **أيّكم يأتيني بعرشها** » ؟!

فثار عفريت من الجنّ صائحاً : « **أنا آتيك به** » !..

فأعرض النبي الملك عن قوله وقال : أريد أسرع من ذلك ؟

فنهض آصف من مجلسه وقال في خشوع الأولياء : « **أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك** » !..

وعلى الفور ... نبع العرش بين يدي سليمان ؟!.

لم يكن بين قول آصف ... وحضور العرش بين يدي سليمان ... زمان ما ...

بمجرد قوله ... كان العرش ... حاضراً ؟!.

هذا هو المنظر الفريد العتيد ...

وهذا ما يهتز له العقل اهتزازاً شديداً ...

ولا يستطيع له تفسيراً ...

ولكنه حقيقة قاطعة ... وقعت فعلاً ... ونطق بها الوحي الإلهي ... حيث قال « **أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك** » !..

أي ... قبل أن أتم كلامي معك ...

وقد كان ... واستقر العرش فوراً ... أمام سليمان ...

وحتى يُغلق باب التأويلات أمام العقول ... فتضطر إلى التسليم التام ... قال « **فلما رآه مستقراً عنده ...**

« **فلمَّا** » الفاء للفورية ... فوراً كان العرش أمامه ...

« **رآه » شاهده سليمان بعينيه ... وشاهده جميع الحاضرين من حوله ...**

« **مستقراً** » ثابتـــاً ... لا يتحرك ... ولا يهتز من أثر التحريك والنقل السريع ... وإنما جامداً أمامه ... كأن لم يحدث شيء !..

« **عنده** » في نفس المكان الذي يجلس فيه ... وبجوار عرشه ...

وبذلك قطع الوحـــي كل سبيل على العقول ... فلا تأويل ... ولا تفكيك ... ولا تحويل للحقيقة عن واقعها ...

وإنمـــا ... فوراً ... ها هو عرش بلقيس ... أمام العيون ... عن يمين عرش سليمان ...

هو ... هو ... بجواهره ... ونفائسه ... وزينته ...

والآن ... أيها العقل المسكين ... ماذا تقول ؟!.

ثم ماذا ؟!

ثم أقول... ولكن هذا الـ « آصف »... العظيم... هذا الوليّ المستور...

لقد كان مستوراً ... وإن من أولياء الله ... من لا يعلمهم إلا الله ...

كان مستوراً عن العيون ...

فصار مشهوراً ... إلى الأبد ...

وحسبه أن الله قال فيه « **الذي عنده علم من الكتاب** » ...

عنده ... علمٌ ؟!.

أي علم هـــذا ... هل هو علم « كن ... فيكون » ... تقول للشيء كن فيكون ؟!

هل هو علم خواص الأسماء الإلهية ؟!

هل هو علم اختصه الله به ؟!

وأي كتاب هذا ؟!

هل هو التوراة والزبور ؟!

هل هو « أم الكتاب » حيث فيه كل ما كان وما سيكون ؟!

هل هو علم اللوح المحفوظ ؟!

هل هو علم الأسرار والأنوار ؟!

علمٌ ... من ... الكتاب ؟!.

سَل ما شئت ... وقل ما شئت ...

ولن ترجع بشيء ...

لأن الولاية ... سر بين الله ... وعبده ...

لا يُطلع عليه أحداً ...

هو ... يواليه ... بما شاء منه ...

والوليّ ... يواليه ... بما شاء له ...

أسرار ... ولذلك قال « علمٌ » ... لا سبيل لكم اليه ... اختصصته به ...

كل وليّ ... له سره الخاص به ... لا يعلمه أحد سواه ...

وله جنته ... الخاصة به ... لا يدخلها أحد سواه ...

وله اكراماته ... الخاصة به ... لا يُكرم بها أحـــد سواه ... أي لا يشترك فيها معه أحد ...

والأولياء ... لا يريدون اشهاراً ... ولا شهرة ...

وإنما ... هو ... إذا أراد أشهرهم ... وجعلهم أُولى شهرة ...

فإذا شهرهم ... لا يستطيع أحد إطفاء شهرتهم ...

كالشمس ... إذا أشرقها ... لا يستطيع أحد أن يمنعها من الشروق ...

كان « آصف » مستوراً ... فجعله مشهوراً ...

ومن تلك اللحظة ... صار في الكتاب مسطوراً !..

وأخيراً ... نقول ... اذا كان هذا هو شأن وليّ من الأولياء ... في بطانة سليمان ... جاء بعرش بلقيس ... قبل أن يرتد اليه طرفه !..

فكيف يكون سليمان نفسه ... الذي كان آصف ... ذرّة من بحره ؟!.

لا يستطيع الاحاطة به ...

وكيف نحيط علمـــاً ... بمن أثنى عليه ربه ... وألقى على جبينه تاج الخلود به ...

« نِعم العبد » ؟!.

ثم ماذا بعد هذا ؟!

ثم انظر ... العظمة السليمانية ...

وأعظم ما يكون الانسان ... حين يكون في حال الشكر لربه ...

« **فلمّا** » ... فوراً ... بمجرد رؤيته للعرش مستقراً عنده ...

« **قال** » فوراً ... وماج بقلبه الينا موجاً ...

« **هذا** » المنظر الفريد العجيب ...

« **من فضل ربي** » لا مدخل لي ... ولا لآصف ... ولا لأحـــد ... ولا لشيء قط ... فيما حدث ...

وإنما هو « **فضل** » ... ليس إلا ...

ولو لم يتفضل ... ما تحركت ذرة من ذرات هذا العرش ...

والأنبياء أذكياء وأزكياء ...

هم أنبه الخلـْق ... وأزكى الخلق ...

يفهمونها بالإشارة... ولهم في كل حركة في الوجود ... فهمٌ ... ذوّاق ... توّاق ... مشتاق ... إلى ربهم !..

بمجرد رؤيته للعرش ... تفجر قلبه الشريف ... بشوقه إلى ربه ...

وجعل يموج اليه موجاً ...

ويشعشع في الكون ... شعشعانية قدسية :

« **هذا من فضل ربي** .

« **ليبلوني** .

« **أأشكر أم أكفر** .

« **ومن شكر فانما يشكر لنفسه** .

« **ومن كفر فان ربي غني كريم** » !..

كل أغرودة من هؤلاء ... بحر موّاج بأعلى وأغلى وأسمى معرفة !..

ومن كالأنبياء إذا غردوا لربهم ؟!.

كل منهم ... بلبل ... من بلابل الحضرة ...

له أغاريده ... وأناشيده ...

حتى إذا أنشدوا جميعاً ... في حضرة ربهم ...

سمعت ما لا أذن سمعت ...

ورأيت ما لا عين رأت ...

ولا خطر على قلب بشر !..

تَذكّرُوا ... لها ... عرشها ...؟!

سليمان ...

على عرشه ... ينظر إلى عرش بلقيس ... مستقراً عنـــده ... ويشكر ربه ... أن تفضل عليه بهذا الفضل العظيم ...

بينما جعل آصف بن برخيا ... يذوب حياءً من الله ... أن أكرمه بتلك الكرامة على الملأ ... فخرّ ساجداً ... شكراً لله ...

في هذا الموج ... من الحمد والشكر ... أصدر سليمان أمراً :

« قال نكّـِرُوا لها عرشها ننظرْ أتهتدي أم تكونُ من الذين لا يهتدون » .

« نكروا لها عرشها » غيروا لبلقيس كرسي عرشهـــا ... غيروا صورته الظاهرة ... بحيث يصعب التعرف عليه ...

« ننظرْ » نختبرها بذلك ... هل هي ممن يؤمن بقدرة الله ... على أن يفعل سبحانه ما يريد ؟.. هل عندها استعداد لتتفتح على الايمان بالغيوب ؟.. أم هي حبيسة عقلها لا تصدق بما وراء المحسوس ؟!

« أتهتدي » إلى ربها ... أتتوجه اليه بقلبها ...

« أم تكونُ من الذين لا يهتدون » أم تظل جامدة على كفرها ... كما هو حال الذين لا يهتدون ... مهما رأوا من آيات دالة على قدرة الله ؟..

ماذا نفهم من هذا ؟؟

نفهم من هذا أن نبي الله ... سليمان ... يريد أن يهز أعماق المرأة الملكة ...

وأن ينظر ماذا يكون احساسها عندما تبصر كرسي عرشها أمامها ... وهذا مستحيل أن يكون إلا بفعل خارق ... لا يصدر إلا عن قدرة الله ...

ثم هو أمر بتنكير عرشها ... ليختبر عقلها ... هل هذا معقول ؟.. مَن جاء بهذا العرش ؟.. وكيف ؟..

ان الذي فعل هذا ... انما هو إله عظيم قادر فعّال لما يريد !..

ثم ماذا ؟!

ثم قام سليمان من مجلسه ... ليعود اليه بعد ذلك ... وقد تم تنكير عرشها ... ويكون في انتظار الملكة واستقبالها ... في ضحى اليوم التالي ...

ليعطيهم الفرصة ليستريحوا من متاعب رحلتهم البعيدة ...

ويصلحوا من زينتهم ... ويأتوه في مراسم الملوك ...

وها نحن في ضحى اليوم التالي ... وها هو سليمان على عرشه ...

وها هو عرش بلقيس ... عن يمين عرشه ... وقد تم تنكيره كما أمر ...

ومن حول سليمان اصطف قادة الجنّ ... وقادة الإنس ... وقادة الطير ...

وقد دُعي إلى هذا الحفل كبار رجالات الدولة ... في الدين والدنيا ...

والقصر الفخم يهتز بمظاهر العظمة والأبهة ...

وزاد من عظمته ... عرش بلقيس العظيم ... بجواهره ونفائسه ونقوشه ...

وبعد قليل ... أعلن رجال القصر ... مقدم الملكة ...

فدخلت قاعة العرش ... في ثياب المُلك ... يتبعها قادة دولتها وعظماؤها ...

وتوجهت الملكة إلى حيث يجلس سليمان على عرشه ...

فوقف النبي الملك ... وتبسم تبسم الأنبياء ...

واستقبلها أحسن استقبال ... وصافح كبار دولتها ...

ثم دعاها الملك أن تأخذ مجلسها على عرشها ...

فتوجهت لتجلس عليه ...

ثم فوجئت بعرشها أمام عينيهـــا ... فذعرت وارتبكت ... ولم تصدق ما رأت !..

ثم جعلت تديم النظر إلى العرش ... فلاحظت أن الهيأة هيأة عرشها ... ولكن المنظر العام يختلف عن منظره ... الذي تعلمه علماً يقيناً !..

وتفجرت رأسها أسئلة لا تُحصى ...

هل هو عرشي ؟

هل هو تقليد لعرشي ؟!.

ومن أين لهم محاكاته بهذه الدقة ؟!.

وإذا كان هو نفس العرش ... فمن جاء به إلى هنا ... وكيف ؟!

« **فلما جاءتْ** .

« **قيل أهكذا عرشكِ** .

« **قالتْ كأنهُ هوَ** .

« **وأوتينا العلم من قَبْلها وكنا مسلمين** » .

« **فلما جاءت** » بلقيس إلى سليمان ... ودخلت اليه في موكبها ... وقام سليمان يستقبلها ...

« **قيل** » قال لها سليمان... لأن الملك لا يخاطبه إلا ملك في مثل مستواه ...

« **أهكذا عرشكِ** » كرسي عرشكِ ؟!.

فازدادت الملكة حيرة ... والجميع يركزون أنظارهم عليها ...

« قالتْ » الملكة ... بعد أن تفرست في عرشها ... وتفحصت زينته ...

« كأنـّه ُهوَ » كأن هذا العرش هو عين عرشي ...

ثم أخذت مجلسها على عرشها ...

وأخذ قادتها مجالسهم ... في الصف الأول أمامها ...

وعم القاعة صمت رهيب ...

ثم قطع سليمان ذلك الصمت بقوله : إن هذا العرش الذي تجلسين عليه ... هو عرشكِ ... وقد جيء به من هناك في لحظة ... وهذا من فضل ربي ...

فتبسمت الملكة وقالت :

« وأوتينا العلمَ » وسمعنا يا نبي الله كثيراً عن عظمة ُملكك ... وعلمنا قبل أن نحضر اليك كثيراً من المعجزات التي آتاك ربك إياها ...

« مِن قبلِها » مِن قبل هذه الخارقة ... من قبل أن نشهد هذه المعجزة ... فلا حاجة بنا إلى دليل جديد ... على نبوتك ... وصدق رسالتك ...

« وكنا » وجئنا اليك جميعاً ... أنا ... وجميع رجالات مملكتي ...

« مسلمين » منقادين لأمرك ... مصدقين لنبوتك !..

ثم استرسلت الملكة في حديثها ... على ملأ من قومها :

أيها الملك العظيم ... أيها النبي الكريم ...

ـ لقد سمعنا عن عظمة ملكك ... وكثرة حكمتك ...

ـ فلما جئنا وشهدنا ... وجدناك أعظم مما سمعنا ...

ـ فلما سمعنا حكمتك ... تأكدنا من نبوتك ...

ـ وما صدني عن الايمان بربي ... إلا أنني نشأت في قوم يعبدون الشمس ..

وما كنت لأخرج عن مألوف شعبي ... وكثيراً ما يضطر الملوك إلى مجاراة شعوبهم ... حرصاً على بقاء المُلك في أيديهم ...

ـ وكما تعلم أيها الملك ... فإن أكثر الناس لا يعقلون !..

ـ أيها الملك ... أيها النبي ... لقد كنت أعتقد أن مُلكي أعز مُلك ... فلما رأيت ما آتاك ربك ... صغر مُلكي في عيني... وصغرت في عيني نفسي...

ثم أشارت إلى رجالاتها وهم قعود وقالت :

ـ إني أشهدك ... وأشهد هؤلاء جميعاً ... ما عبدنا الشمس إلا تقليداً لآبائنا ... ما عبدناها اقتناعاً بربوبيتها ... وإنما هكذا وجدنا آبائنا يفعلون !

ـ كنتُ أسأل نفسي ... ولكن لا أستطيع الجهر برأيي ... هل صحيح أن الشمس إله ؟!.

ـ ألا يمكن أن يكون من ورائها شيء أكبر منها ... خلقها ؟!

وسليمان يتبسم ويستمع ... ويهمس في آذان من حوله :

« وصدَّها ما كانت تعبُدُ من دون اللهِ .

« إنها كانت من قومٍ كافرين » ...

وكان حفلاً خالداً ...

الملك النبي ... على عرشه ...

وقد جاءه شعب بأكمله ... ممثلاً في ملكته وقادته ...

يعلنون تسليمهم !..

وكانت لحظة ... من لحظات التحول الخطيرة ...

قلب ملكة يتحول إلى الله ...

وقلوب قادتها من ورائها تتحول إلى الله ...

وقلوب شعب بأكمله ... تتحول من ورائهم إلى الله ...

وسليمان ... يتلقى من ربه ... ذلك الفضل العظيم ... شاكراً ذاكراً ...

ثم نهض النبي الملك ... فوقف الجميع ...

ايذاناً بانتهاء مراسم الاستقبال ...

وتوجهت الملكة ... إلى قصر الضيافة ... الذي أعد لاستقبالها ...

وكانت الاشارة ... من هذه الأحداث كلها ...

أن الأرض ... تشهد نبيـــاً مَلكاً ... قد أوتي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده ...

وفي نفس الوقت ... تشهد امرأة ... ملكة ... جاءت ... إلى ذلك الملك النبي ...

لتغتسل من أوزار كفرها ... وتلقي عنها ثياب جهلها ...

تجربتان عظيمتان ...

تجربة نبي مَلك ...

توازيها تجربة امرأة ملكة ...

ولكن الأعجب من ذلك كله ... أن الذي فتح باب هذا الخير العميم ...

كان كائناً صغيراً ... ضئيلاً ... اسمه ... الهدهد !..

في ... قصر ... القوارير ...؟!

كان . . .

سليمان ... قد أصدر أمراً ... حين سمع بخروج بلقيس من مملكتها ... قادمة اليه ...

كان قد أصدر أمراً عجباً ... إلى قوم شأنهم عجيب !..

أصدر أمراً إلى الجنّ ... أن يعملوا له أعجب قصر ... في الأرض ...

أن يبنوا له قصراً ... من الزجاج الشفاف ... غير قابل للكسر ...

ليستقبل فيه ... الملكة بلقيس ... ويريها من آيات الله عجباً !..

وعلى الفور شرع الجنّ يعملون سريعاً ...

فشيدوا له قصراً شامخاً ... من عدة طوابق ...

تصميمه عجيب ...

كل شيء فيه من زجاج ...

وليت الأمر وقف عند هذا ولكن من زجاج شفاف ... يُرى ظاهره من باطنه ... وباطنه من ظاهره !..

وأكبر من ذلك ... زجاج غير قابل للكسر أو التهشم ...

يحتمل الضغط ... والمشي عليه .. وفيه صلابة شديدة ...

وأبدع الجنّ في صنعة ذلك القصر ابداعاً عجباً !..

قاعة العرش فسيحة ... في صدرها عرش لسليمان ...

وعن يمين عرشه ... عرش بلقيس ...

وأرض قاعة العرش... من زجاج شفاف... تجري من تحته المياه الملونة...

وتتسابق في هذه المياه ... الحيوانات البحرية ... من أنواع الأسماك ... والضفادع ... والزواحف ... وغيرها من عجائب البحار ...

وهكذا أرضيات سائر الحجرات ... والممرات المؤدية اليها ...

وفوق هذه المياه ... مسطحات من الزجاج الشفاف الملون ... تكشف للناظر ما تحتها ... بحيث يخيل اليه انها غير مسقوفة !..

براعة جنية ... وصنعة لا عهد للبشر بها ...

وأقيم القصر عالياً ... شامخاً ... جميلا ... شفافاً ... يتيه بصنعته الجان !..

فلما جاءت الملكة ... وأقيم لها حفل الاستقبال ... في القصر الرسمي ...

وُجهت اليها الدعوة ... من الملك سليمان ... لحضور حفل آخر ... تكريماً لها ... ولرجالها ...

وكانت الدعوة هذه المرة ... الى حضور حفل ملكي ... في قصر القوارير !..

وها هو الملك سليمان ... يجلس في صدر القاعة الملكية على عرشه ...

وعن يمينه ... أعد عرش بلقيس ... بعد أن تم نقله من القصر الرسمي ... إلى قصر القوارير ...

ومن حوله جلس كبراء الجنّ ... وسادات الإنس ... وكبراء الطير ... ثم أُعلن اقتراب الملكة ... في موكبها ...

فخف إلى مدخل القصر ... رجال الحاشية لاستقبالها ...

كانت الملكة في زينة ملكية ... في ثوب أنيق ... ذي أذيال طويلة ...

فدخلت إلى بهو القصر ... ومن ورائها كبراؤها وحاشيتها ...

فلما دنت من قاعة العرش ...

فوجئت ببحر تموج أمواجه ... وتلعب فيه الأسمـــاك ... وعجائب البحار ...

فغضبت غضباً شديداً ... وظنت أنهم يريدون اغراقها في هــــذا البحر الموّاج ...

فتقدم منها ... كبير أمناء الملك سليمان ...

وقال لها : تفضلي ... وادخلي قاعة العرش ...

فإن الملك ... في انتظار قدومك ...

ونظرت بلقيس طويلاً . . إلى البحر المواج... المطلوب منها أن تخوضه... لتصل إلى حيث يجلس سليمان ...

فوجدته بحراً عميقاً ... عمقاً لا بُدَّ لها من كشف ثيابها ... حتى لا تبتل من مياهه المتدفقة ...

« قيل لها :

« ادخلي الصرْح .

« فلما رأته حسبته لُجَّةً .

« وكشفتْ عن ساقيْها .

« قال إنه صرْحٌ مُمرَّدٌ من قواريرَ .

« قالت ربِّ إني ظلمت نفسي .

« وأسلمتُ مع سليمانَ لله رب العالمين » .

« قيل لها » قال كبير أمناء القصر لبلقيس ...

« ادخلي » تفضلي ... وادخلي ...

« الصرحْ » القصر ... قصر القوارير ...

صرح : أي قصر ... وكل بناء مشرف من قصر أو غيره فهو صرح ...

« فلما رأته » بمجرد أن رأت القصر ... أدهشتها المفاجأة ...

« حسبته » ظنت القصر ...

« لجَّة » بحراً ... تموج أمواجه ... وتضطرب فيه الأسماك ...

« وكشفتْ عن ساقيها » ورفعت ثوبها... وكشفت عن قدميها وساقيها... لتستطيع المشي في البحر !..

ثم كانت المفاجأة انها وجدت نفسها تمشي على شيء صلب ...

فأدركت أن البحر ليس بحراً بمعنى المألوف ... ولكنه مغطى بالزجاج ...

فازدادت دهشة ... واجترأت على المشي ... فأرخت ثيابها ... وهي تضحك من نفسها ...

وتوجهت إلى حيث يجلس سليمان ...

فتلقاها سليمان في تبسم ... وحيَّاها ... وطمأنها ... وقال لها :

« قال » سليمان ... وهو يستقبل الملكة ...

« انه » ان هذا البناء العجيب ... الذي أثار دهشتك ...

« صرْح » قصر ... لا مثل له في العالم ...

« مُمرَّد » مملس ... كل شيء فيه أملس ... شفاف ... في غاية الصفاء ...

« من قوارير » من زجاجات ... كله من الزجاج الشفاف ... كما رأيت ...

قام الجنّ ببنيانه ... وبرعوا في اخراجه كما رأيت !

« قالت » بلقيس ... معتذرة عن سوء ظنها بسليمان ... حيث ظنت أنه يريد اغراقها في ذلك البحر ... والخلاص منها ...

« **ربّ إني ظلمتُ نفسي** » بهذا الظن الفاسد في نبي الله ...

اني ظلمت نفسي ... بتسويف الايمان بك ... والايمان بنبيك ... وكان يجب أن أبادر إلى الإسلام بمجرد أن دعاني إلى ذلك في خطابه الأول « **بسم الله الرحمن الرحيم ... لا تعلُوا عليّ ... وأتوني مسلمين** » ... فجعلت أسوف وأتباعد ... وهذا ظلم شديد لنفسي ...

وكانت الملكة ... ما زالت واقفة أمام كرسي عرشها ... وها هي تعلن أمام الملك سليمان ...

وأمام المجتمعين جميعاً ... من قادة الجنّ ... والإنس ... والطير ...

وأمام رجالات دولتها ... الذين ظنوا كما ظنت ... أن هذه كانت مؤامرة من سليمان ... لإغراقهم جميعاً في مياه البحر ... والخلاص منهم ... ليستولوا بعد هلاكهم على مملكة سبأ بخيراتها وإمكانياتها !..

أمام الجميع .. أعلنت الملكة إسلامها ... وشهرت تسليمها ...

وهتفت في يقين :

« **وأسلمتُ** » إسلاماً تاماً ...

« **مع سليمان** » مع سليمان ... نبي الله حقاً وصدقاً ...

« **لله** » لا شريك له ...

« **رب العالمين** » رب العوالم كلها ... رب كل شيء !..

وما أن سمعها رجالات دولتها ... تعلن إسلامها ...

حتى بادر كبيرهم يردد في صوت شديد ... وهم يرددون وراءه :

« ربنا ... إننا ... ظلمنا أنفسنا ... وأسلمنا مع سليمان ... لله ... رب العالمين » !..

هنالك تهلل وجه النبي سليمان سروراً ...

وبدا وجهه الشريف كأنه قطعة قمر ...

وشاع السرور في جميع الحاضرين ...

وضجوا جميعاً بالتسبيح ... لرب العالمين ...

هؤلاء هم سادات سَبَأ ... جاءوا مسلمين ...

وعلى رأسهم بلقيس ... تلك المرأة العظيمة ... الحكيمة ... العليمة ... المسلمة ... المؤمنة ... التي قادت شعبها ... من عبادة الشمس ... إلى عبادة الله رب العالمين ...

وكان حفلاً مباركاً ميموناً ...

وشهد قصر القوارير ... مولد عهد جديد ...

خرج فيه ... شعب من الظلمات إلى النور ...

ثم ماذا بعد هذا ؟!

قالوا :

« وتزوجها سليمان .

« وأحبها حباً شديداً .

« وردّها إلى مُلكها باليمن .

« فكان يزورها كل شهر مرة .

« يقيم عندها ثلاثة أيام » .

ثم ماذا ؟!

كانت هذه هي وقائع قصة سليمان ... وبلقيس ...

كما وردت في كتاب الله العزيز ...

سجلناها مؤسسة على صريح الآيات الكريمة ... مبرأة من أقاصيص القصّاص ... وتهاويل الحكايات ...

بدءاً من نبأ الهدهد « **وجئتك من سَبأٍ بنبأٍ يقين** » ... وانتهاءً بالنهاية الكريمة ... في كتاب الله الكريم ... « **وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين** » ...

والآن ... متى دارت وقائع تلك القصة الخطيرة الخالدة ...

دارت في نحو السنة العشرين من مُلك سليمان ... وقد كانت مدة مُلكه أربعين عاماً ...

أي في منتصف مدة مُلكه ...

وهو في أوج عظمته ... وفي ذروة المُلك والسلطان !..

تدمير البيت ...
الذي بناه سليمان ... مرتين ...؟!

قـــد . . .

يسأل سائل : وما شأن سلـــيمان . . . بشيء حدث بعد مئات السنين . . . من بنائه لبيت المقدس ؟!

ما علاقته بتدمير البيت بسبب فساد من بعده ؟!

وأقول : صحيح أن هذا لا يدخل في « حياة سليمان » . . . وإنما أثبتناه ها هنا . . . لتتكامل الصورة . . . وتتم العبرة . . . وتُفهم النواميس الإلهية . . .

والناموس الإلهي . . . الذي لا تبديل له . . . ولا تحويل . . . هو :

« ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم .

« وإن أسأتم فلها » . . .

والناموس الأزلي هو :

« وكأيّن من قرية عتَتْ عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نُكراً .

« فذاقتْ وبالَ أمرها وكان عاقبة أمرها خُسرا » .

أمة أعطاها الله ما أعطاها . . .

وهداها ما هداها . . .

وأكرمها بما أكرمها . . .

وسلسل فيهم الأنبياء ...

وقال فيهم : **اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .**

« وأني فضلتكم على العالمين » .

هذا من وجه العطاء ... فماذا من وجه البلاء ؟!

القانون ... في كل عطاء بلاء ... ليتحقق التوازن ...

فبنسبة ما أوتوا من عطاء ... يُصب عليهم من البلاء ...

فإن أحسنوا ... وقاموا بحقوق النعمة ... زادهم ...

وإن أساءوا ... ونقضوا العهد ... أخذهم أشد الأخذ ...

كما قيل لهم : **« لئن شكرتم لأزيدنكم »** .

« ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

هكذا الناموس ...

ليس هناك له من تبديل ...

وهؤلاء ... بنو إسرائيل ... يسري فيهم الناموس ... كما يسري في سائر البشر ...

أعطاهم الله عطاءً واسعاً ... عبّر عنه سليمان حيث قال : **« وأوتينا من كل شيء »** ... وما يعطيه الله للنبي ... فإنما هو عطاء لأمته ...

وأمره أن يبني له بيتاً ...

فبناه سليمان ... أعظم بناء ...

وافتتحه أعظم افتتاح ...

وعَبَدَ الله فيه أحسن عبادة ...

ثم مات سليمان ... وكان ما كان ... وتطاول الزمان ...

وفسد بنو اسرائيل فساداً كبيراً ...

وقتلوا من الأنبياء ... وقتل الأنبياء هو الجريمة العظمى ...

وما تركوا من جريمة إلا ارتكبوها ...

فتحتم العقاب ... وتحتم الحساب ... وتحتم تدمير البيت ...

ولم يشفع للبيت ... أنه بيت الله ... لأن العبرة ليست بالمباني والزخارف ... وإنما يكون البيت بيتاً لله ... إذا كانت القلوب لله ...

قال تعالى :

« وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً » .

« وقضينا » وأوحينا .

« إلى بني إسرائيل في الكتاب » المنزل عليهم ... على وجه الايذان والاعلام ... تنبيهاً وتذكيراً ... والله ...

« لتفسدن » أنتم ...

« في الأرض مرتين » مرة بمخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا ... ومرة بقتل يحيى وزكريا ... وقصد قتل عيسى عليهم السلام ... كل ذلك من أعظم الجرائم عند الله ...

« و » مع ذلك ...

« لتعلن » ولتستكبرن عتواً وعناداً على الأنبياء ... استهانة واستخفافاً وسخريةً واستهزاءً ...

« علواً كبيراً » بحيث لا تبالون لهم ... ولا تعدونهم من العقلاء ... بل تسفهونهم تارة ... وتكذبونهم أخرى ... فاعلموا أيها المسرفون انا ننتقم منكم في النشأة الأولى ... لكل جريمة صدرت عنكم ... من الجريمتين العظيمين ...

« فإذا جاء وعدُ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً » .

« **فإذا جاء وعد** » انتقام ...

« **أولاهما** » أي أولى الجريمتين ...

« **بعثنا** » وسلطنا ...

« **عليكم** » حين أردنا الانتقام منكم ... والأخذ عليها ...

« **عباداً لنا** » منتقمين منكم ... من قبلنا ...

« **أولي بأس شديد** » وشوكة عظيمة ... وصولة قوية قاهرة ... وهم إذا دخلوا عليكم ...

« **فجاسوا** » أي تجسسوا ... وترددوا لطلبكم ...

« **خلال الديار** » ووسطها ... للقتل والاستئصال ...

« و » قد ...

« **كان** » ما ذكر من الانتقام ...

« **وعداً** » من الله ...

« **مفعولاً** » حقاً عليه سبحانه انجازه وإيقاعه ...

وذلك حين استولى « بخت نصّر » عليهم ... فقتل كبارهم ... وسبى صغارهم ... ونهب أموالهم ... وخرب بلدانهم ... وحرق التوراة ... وخرب الأقصى ...

« ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً » .

« **ثم** » بعد ما ضعفناكم وأخذناكم قد ...

« رددناكم » وأعددنا ...

« لكم الكرة » أي الدولة والصولة والغلبة ...

« عليهم » أي على أعدائكم ...

« وامددناكم باموال » عظام ...

« وبنين » معاونين ناصرين ...

« وجعلناكم » في الكرة الثانية ...

« أكثر نفيراً » من الكرة الأولى ... وأكثر عسكراً وجنوداً منها ...

« إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسُوءُوا وجوهكم وليدخـــلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرة وليُتبِّروا ما عَلَوا تتبيراً » .

« ان أحسنتم » لبني نوعكم ... خالصـــاً لوجه الله ... وآمنتم بالله لتزكية نفوسكم ...

« وإن أسأتم » لهؤلاء وكفرتم بالله ورسله ...

« فلها أي وبال اساءتكم أيضاً عائد عليها ... إذ الله في ذاته غني عن احسان المحسن وإساءة المسيء مطلقاً ...

« فاذا جاء وعد الاخرة » أي وقت انتقام الجريمة الأخيرة ... بعثنا عليكم أيضاً عباداً لنا أولى بأس شديد وبسطة قوية ... وبطش محكم متناه في الصولة والسطوة ... قيل انه ملك الفرس اسمه « جودرز » ... وإنما بعثناهم عليكم ...

« ليسُوءُوا وجوهكم » بحيث قـــد ظهرت آثار اساءتهم وإذلالهم إياكم من وجوهكم ...

« وليدخلوا » هؤلاء أيضاً ...

« المسجد » الأقصى ... وخربوه ...

« كما دخلوه » وخربوه ...

« أول مرة » في استيلاء « بخت نصّر » ... وأحرق هؤلاء الكتب أيضاً كما أحرقوا ...

« وليتبروا » وليهلكوا ...

« ما عَلوْا » وما قدروا عليه وغلبوا ...

« تتبيراً » هلاكاً كلياً ... بحيث لا ينجو منهم أحد ...

قيل : دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم ... فوجد فيه دماً يغلي ... فسألهم عنه ... فقالوا : دم قربان لم يُقبل منا ... فقال : ما هو إلا كذب ... فقتل منهم ألوفاً عليه ... ثم قال : ان لم تصدقوني ولم تبينوني دم من هو هذا ما تركت منكم أحداً ؟.. فلما اضطروا قالوا : انه دم يحيى النبي عليه السلام ، قد قتلناه ظلماً ... فقال : لمثل هذا ينتقم الله المنتقم الغيور منكم ... ثم قال ملتفتاً إلى الدم : يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاسكن من الغلي قبل أن لا أبقي أحداً منهم ... فسكن ... ولم يقتل بعد هذا ...

« عسى ربكم أن يرحمكم وإن عُدتم عُدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » .

« عسى ربكم » يا بني إسرائيل ... وقرب ...

« أن يرحمكم » بعد المرأة الثانية ... ان تبتم عن جرائمكم ومعاصيكم ...

« وإن عُدتم » اليها ثالثاً ...

« عُدنا » إلى الانتقام والعذاب ثالثاً ... وهكذا رابعاً وخامساً ... هذا في النشأة الأولى ...

« و » في النشأة الأخرى ...

« جعلنا جهنم للكافرين حصيرا ، محبسا ومضيقا ... أي سجنا ...

هذه هي الآيات ... التي سجلت تدمير بيت المقدس ... الذي بناه سليمان أعظم بناء ... وأقام حق الله فيه أعظم إقامة ...

وهذا هو مختصر تفسيرها ...

فماذا عن وقائع التاريخ ؟!

قال ابن الأثير :

« قد اختلف العلمـــاء في الوقت الذي أرسل فيه « بخت نصّر » على بني إسرائيل ...

« فقيل : كان في عهد « إرْميا » النبيّ ...

« ... وإنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني إسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره .

« وكانت سُنة الله تعالى في بني إسرائيل أنه اذا ملك عليهم ملكاً أرسل معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة .

« فلما كان قبل مسير « بخت نصّر » اليهم كثرت فيهم الأحداث المعاصي .

« وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم .

« فبعث الله اليه إرميا ...

« فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعـــاصي ، ويذكر لهم نعمة الله عليهم بإهلاك سنحاريب .

« فأمره الله أن يحذرهم عقوبته ، وأنه إن لم يراجعوا الطاعة ، سلّط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ، ويخرب مدينتهم ، ويستعبدهم ، ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة .

« فلم يراجعوها .

« فأرسل الله اليه : لأقيضنّ لهم فتنة تذر الحليم حيران ، ويضل فيهم رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم .

« ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتيـــاً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرحمة .

« يتبعه عدد مثل سواد الليل ، وعساكر مثل قطع السحاب .

« يهلك بني إسرائيل ، وينتقم منهم ، ويخرب بيت المقدس .

« فلما سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه .

« وجعل الرماد على رأسه ..

« وتضرع إلى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه ...

« ... فلم يزدادوا إلا سوء سيرة ...

« ونزل بخت نصّر على بيت المقدس بأكثر من الجراد .

« ففزع منهم بنو إسرائيل ...

« ودخل بخت نصّر وجنوده بيت المقدس .

« فوطىء الشام .

« وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم .

« **وخرّب بيت المقدس .**

« **وأمر جنوده ، فحملوا التراب .**

« **وألقوه فيه حتى ملأوه .**

ثم انصرف راجعاً إلى بابل ، وأخذ معه سبايا بني إسرائيل .

« وأمرهم ، فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم .

« فاجتمعوا ، واختار منهم مائة ألف صبي .

« فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه ...

« وقسّم بني إسرائيل ثلاث فرق .

« فقتل ثلثاً ، وأقر بالشام ثلثاً ، وسبى ثلثاً ...

« ثم إن بخت نصّر عاد إلى بابل ، وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم » .

هذا ما قال ابن الأثير ... عن المرة الأولى ... التي دُمر فيها بيت المقدس ...

ثم توالت السنون ... وأراد الله تعالى أن يرد بني إسرائيل إلى بيت المقدس وكان بخت نصّر قد مات . . . فإنه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة ...

ثم توالت من بعده السنون ... وبدأ بنو إسرائيل يعودون إلى بيت المقدس ... ورجعوا اليه ... وعمروه ... وعاد اليه ازدهاره ... وأمدهم الله بأموال وبنين ...

وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خرّبه بخت نصّر مائة سنة ... ثم عاد اليه عمرانه ...

« ولما عمر بيت المقدس ، ورجع اليه أهله ، كان فيهم عُزَيْر » ...

ثم ماذا عن الكَرّة الثانية ؟!

قال ابن الأثير :

« أهل السير والتاريخ ... مجمعون على أن بخت نصّر غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا ، في عهد إرْميا ...

« وبين عهد إرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ...

« وأما ابن اسحاق فإنه قال :

« الحق أن بني إسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل ، وكثروا .

« ثم عادوا يحدثون الأحداث ويعود الله سبحانه عليهم ، ويبعث فيهم الرسل .

« ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون .

حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكرياء وابنه يحيى وعيسى بن مريم ، عليهم السلام .

« فقتلوا يحيى وزكرياء .

« فابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له « جودرس » .

« فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام .

« فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه « نبوزاذان » ، وهو صاحب الفيل : اني كنت حلفت لئن أنا ظفرت ببني إسرائيل ، لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إلى أن لا أجد من أقتله .

« وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم .

« فدخل نبوزاذان المدينة ، فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم .

« **فوجد فيها دماً يغلي .**

« فقال : يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي ؟

« فقالوا : هذا دم قربان لنا لم يُقبل فلذلك هو يغلي .

« فقال : ما صدقتموني الخبر !

« فقالوا : انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يُقبل منا .

« فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم .

« فلم يهدأ !

« فأمر بسبعمائة من علمائهم فذُبحوا على الدم .

« فلم يهدأ !

« فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم : يا بني إسرائيل أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم ، قبل أن لا أدعَ منكم نافخ نار ، أنثى ولا ذكراً إلا قتلته .

« فلما رأوا الجهد وشدة القتل ، صدقوه الخبر .

« وقالوا : هذا دم نبيّ ، كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله ، ويخبرنا بخبركم ، فلم نصدقه ، وقتلناه ، فهذا دمه .

« فقال : ما كان اسمه ؟

« قالوا : يحيَى بن زكرياء .

« قال : الآن صدقتموني . لمثل هذا انتقم ربكم منكم .

« وخرّ ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا مَن ها هنا من جيش جودرس .

« ففعلوا .

« وخلا في بني إسرائيل ، ثم قال للدم : يا يحيى ، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قُتل منهم .

« فاهدأ بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد .

« فسكن الدم ! » .

« ورفع نبوزاذان القتل .

« وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقت به ، وأيقنت أنه لا رب غيره .

« ثم قال لبني إسرائيل : إن جودرس أمرني أن أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره ، ولست أستطيع أن أعصيه .

« قالوا : افعل .

« فأمرهم أن يحفروا حفيرة ، وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها حتى كثر الدم ، وأجرى عليه ماء ، فسال الدم في العسكر ، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فألقوا فوق المواشي .

« فلما نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره أرسل إلى نبوزاذان : أن ارفع القتل عنهم ، فقد انتقمت منهم بما فعلوا .

« وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل .

« وكانت الوقعة الأولى بخت نصّر وجنوده .

« ثم رد الله سبحانه لهم الكرّة .

« ثم كانت الوقعة الأخيرة جودرس وجنوده .

« وكانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم .

« يقول الله تعالى (وليُتبِروا ما عَلَوْا تتبيراً) » .

وفي رواية أخرى :

« فخرب سور المدينة ، فدخلوها ، فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكرياه حتى يسكن .

« فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم ، فأمرته بالكفّ ، وكفّ .

« وخرّب بيت المقدس ، وأمر أن تُلقى فيه الجيف » .

هـذا شيء مما ذكر المؤرخون ... عن هاتين الوقعتين ... وأهوالهما ... وتدمير البيت الذي بناه سليمان ... أعظم بناء ... مرتين ... مرة على يدي « بخت نصّر » ... ومرة على يدي « جودرس » ...

« **وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة** » !..

لنفهم جميعاً ... ان الله إذا أعطى عطاء ... إنمـا يعطيه ليطاع فيه ... ويستعمل في ما يرضيه ...

فإذا اتخذ العباد عطاءه ليفسدوا في الأرض ...

أنذرهم ... وحذرهم ... ثم « **فحقّ عقابِ** » ...

وكان ما كان من انتقام ...

رأينا منه ... صورتين رهيبتين ...

يشيب من هولها الولدان !..

سليمان ... كما يراه ...
ابن العربي ...؟!

نثبت ...

هنا ... كما أثبتنا في « حيـــاة داوود » ... ما قاله شيخ العارفين ... ابن العربي ... في سليمان ...

ولتمييز كلام ابن العربي ... عن كلام القاشاني ... شـــارح الكتاب ... جعلنا كلمات ابن العربي بالبنط العريض ... وكلمات القاشاني بالبنط الطبيعي ...

والكتاب الذي ننقل عنه هنـــا هو ... « **فصوص الحكم** » ... للإمام الأكبر ... محيي الدين بن العربي ...

وأرجو مرة أخرى ... أن يوضع في الاعتبار ... أن ما ننقله عن الإمام أو عن الشارح ... هو من باب الاستئناس . لنضيف إلى « حياة سليمان » أفقاً جديداً ... ونظرة عالية ... غـــير تلك النظرات التقليدية التي اعتادها الناس حين ينظرون إلى حياة الأنبياء ...

هذا هو الهدف من هذا الفصل من الكتاب ... أما يذهب اليه الإمام ... أو الشارح ... من مذاهب أو آراء ... فلا تعقيب لنا عليها ... فلكل وجهة هو موليها ...

فص حكمة رحمانية
في كلمة سليمانية

قال القاشاني ... شرحاً للعنوان :

« انما اختصت الكلمة السليمانية بالحكمة الرحمانية ، لاختصاصه عليه السلام من عند الله ، جميع أنواع الرحمة العامة والخاصة .

« وقد خصه الله تعالى بالوجود التام على أكمل الوجوه .

« والاستعداد الكامل للولاية والنبوة من الرحمة الذاتية الخاصة والعامة ، وبالمواهب الظاهرة والباطنة .

« وأسبغ عليه نعمه الصورية والمعنوية .

« وسخّر له العالم السفلي ، بما فيه من العناصر والمعادن والنبات والحيوان .

« والعـــالم العلوي ، بالامدادات النورية والقهرية واللطفية ، من الرحمة الصفاتية ، الخاصة والعامة .

« مما يطول تفصيلها ، كالسلطنة الكاملة .

« والملك العام ، بالتصرفات الشاملة في الأرض ، والتبوء منها ما شاء .

« والمـاء ، بالغوص .

« والريح ، بالجري بأمره حيث شاء .

« والنار ، بتسخير الشياطين النارية .

« كما ذكر الله تعالى في مواضع من القرآن .

« وحكي عنه قوله ـ يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين . وحُشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس ـ الآية .

« ولو لم يسخر الله العالم العلوي حتى يؤيده ، لما أطاعه الكون والشيطان ، ولا دان له الإنس والجان » .

قال الشيخ الأكبر :

« انه – يعني الكتاب – من سلـــيمان وإنه - أي مضمونه – بسم الله الرحمن الرحيم –

« فأخذ بعض الناس في تقديم اسم سليمان على اسم الله .

« ولم يكن كذلك . .

« وتكلموا في ذلك بما لا ينبغي ، مما لا يليق بمعرفة سليمان عليه السلام بربه .

« وكيف يليق ما قالوه ، وبلقيس تقول فيه – إني ألقي إليّ كتاب كريم – أي يكرم عليها » ؟!!

قال القاشاني :

« ذهب الشيخ رضي الله عنه إلى قوله تعالى ـ إنه من سليمان ـ حكاية قول بلقيس ، لا حكاية المكتوب في الكتاب .

« وذلك أن بلقيس لما ألقي إليهـــا الكتاب قالت لقومها وأرتهم الكتاب ـ إنه من سليمان ـ

« فذلك قولها ، لا ما في طي الكتاب من المكتوب .

« وكذلك قوله ـ وإنه من ـ قولها .

« أي وإن مضمونه ـ بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلُوا عليّ وأتوني مسلمين .

« فما في الكتاب إلا ـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ إلى قوله ـ مسلمين ـ

« وقد تأدب مع الحق الذي في أعيان الطاعنين في سليمان ، حيث لم يسمهم ولم يصرح بتخطئهم .

« بل قال بعض الناس وتكلموا ما لا يليق .

« ومعنى قوله ـ ولم يكن كذلك ـ لم يقدم سليمان اسمه على اسم الله كما زعموا .

« ثم أنكر ما قالوا بقوله ، وكيف يليق ما قالوه وبلقيس تقول ـ إني أُلقي إليّ كتاب كريم ؟

« فهي التي تقول ـ إنه من سليمان ـ الضمير في إنه يرجع إلى الكتاب ، وهذا واضح التفسير .

« وعلى ما قالوه ليس الضمير المذكور يعود اليه ، وفيه تعريض بهم ، كأنه يقول ، كيف يليق ما قالوه في حق سليمان من الطعن في كتابه وهم مسلمون ، وبلقيس وصفت كتابه بالكرم ، وأنه يكرم عليها وهي كافرة ؟

« فقولها ـ إنه من سليمان ـ بعد ذكر الكتاب بيان للمرسل .

« وقولها ـ إنه ـ بيان لمضمون الكتاب وهو ـ بسم الله ـ إلى آخره » .

ثم يقول ابن العربي :

« وإنما حملهم على ذلك تمزيق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وما مزقه حتى قرأه كله وعرف مضمونه .

« فلذلك كانت تفعل بلقيس ، لو لم توفق لما وفقت .

« فلم تكن تحمي الكتاب عن الاخراق بحرمة صاحبه تقديم اسمه عليه السلام على اسم الله تعالى ، ولا تأخيره عنه » .

قال الشارح :

« هذا اقامة لعذرهم : أي ربما حملهم على ما قالوه تمزيق كسرى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وقوله : وما مزقه ، بيان لضعف عذرهم ، فإن كسرى إنما مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرأه ، وعرف أن مضمونه دعوته إلى خلاف دينه ومعتقده ، وقد قدم فيه اسم الله ، وإسم رسول الله على إسمه ، فغاظه ذلك فمزقه .

« وأما بلقيس فوفقها الله تعالى لما قرأت الكتاب ، فآمنت باطناً ، وقالت لقومها : إنه كتاب كريم من سلطان عظيم .

« فلو لم توفق لما وفقت له لمزقته سواء تقدم فيه اسم سليمان على اسم الله أو أخر عنه .

« فلم يكن تقديم اسمه حامياً للكتاب عن الإخراق بسبب حرمة صاحبه ، ولا تأخيره فلم يكن كما قالوه » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« فأتى سليمان بالرحمتين .

« رحمة الامتنان ورحمة الوجوب .

« اللتين هما الرحمن الرحيم » .

قال القاشاني :

« أي فصل ما في اسم الله من أحدية جمع الأسماء بالرحمن الدال على رحمة الامتنان .

« لعموم الرحمة الرحمانية الكل ، من حيث أن الرحمن هو الحق ، باعتبار كونه عين الوجود العام للعالمين .

« فعم بهذه الرحمة الذاتية جميع الأسماء والحقائق .

« فهي رحمة الامتنان التي لا يخلو عنها شيء ، كما قال ــ ورحمتي وسعت كل شيء ــ .

« حتى وسعت أسماءه ، فإنها عين ذاته كعلمه ، كما قال على لسان الملائكة ــ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ــ .

« ولهذا قال الامام المحقق جعفر بن محمد الصادق : الرحمن اسم خاص : أي بالله تعالى ، بصفة عامة ، أي صفة له شاملة للكل ، لأنه لا يمكن غيره أن يسع الكل .

« وبالرحيم الدال على رحمة الوجوب ، لخصوص الرحمة الرحيمية ، بما يقتضي الاستعداد بعد الوجود .

فالأعيان مرحومة بالرحمة الرحمانية : أي التجلي الذاتي من الفيض الأقدس دون الرحيمية ، فإنها بعد الاستعداد .

« ولهذا قال الإمام عليه السلام : الرحيم اسم عام ، أي مشترك لفظاً بين الحق والخلق بصفة خاصة بمن يستعد .

« فإن الكمال الذي هو مقتضى الاستعداد بعد الوجود لا بد من وقوعه ، إما بواسطة الهادي والمرشد والعالم من الأسماء أو الملك أو الإنسان ، اللذان هما صورتان للأسماء أيضاً » .

ثم يقول ابن العربي :

« **فامتن بالرحمن ، وأوجب بالرحيم .**

« **وهذا الوجوب من الامتنان ، فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن .**

« فانه كتب على نفسه الرحمة سبحانه .

« ليكون ذلك للعبيد بما ذكره الحق من الأعمال التي يأتي بها هذا العبد ، حقا على الله أوجبه له على نفسه يستحق بها هذه الرحمة ، أعني رحمة الوجوب ».

قال القاشاني :

« فامتن على الكل بالرحمن أي بتعميم الرحمة في قوله ــ رحمتي وسعت كل شيء ــ .

« وأوجبها في قوله ــ فسأكتبها للذين يتقون ــ .

« وقوله « سبقت رحمتي غضبي » امتنان أيضاً على الكل ، بإيجاب الرحمة لهم على نفسه .

« وهو معنى قوله : فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن ، يعني دخول الخاص تحت العام .

« لأنه إنما أوجب الرحمة السابقة على الغضب في قوله ــ كتب ربكم على نفسه الرحمة ــ ليكون للعبد ما ذكره من الأعمال التي أوجدها الله على يده وأجراها عليه تلك الرحمة ، وذلك بالثواب الذي وعده على تلك الأعمال ، حقاً له على الله أوجبه على نفسه له بسبب الكتابة عليها ، امتناناً يستحق ذلك العبد بها هذه الرحمة .

« فذلك وجوب في تضمن الامتنان ، إذ الكتابة على نفسه امتنان » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ومن كان من العبيد بهذه المثابة ، فانه يعلم من هو العامل منه » .

قال الشارح :

« وفي نسخة ـ العامل به ـ أي ومن كان من العبيد مستحقاً لرحمة الوجوب بالتقوى والعمل الصالح ، يعلم أن الله هو العامل بهذا العبد ، أو من هذا العبد هذه الأعمال التي تستدعي هذه الرحمة على سبيل المجازاة بما يناسبها ، فإن هذا العلم من أعلى مراتب التقوى » .

ثم يقول :

« والعمل منقسم على ثمانية أعضاء من الانسان .

« وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها .

« فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مندرجة فيه أي في اسمه لا غير » .

« أي هوية العبد هو حقيقة الله ، أدرجت في اسمــــه ، فالعبد اسم الله ، وهويته المسماة هو الله .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« لأنه تعالى عين ما ظهر وسمى خلقاً ، وبه كان الاسم الظاهر والاخر للعبد ، وبكونه لم يكن ثم كان » .

« أي وبسبب أن هذا العبد لم يكن ثم كان ، تحقق بالآخرية من هذه الحيثية فهو الآخر ، وفي مادته فسمى الله بالآخر » .

ثم يقول :

« وبتوقف ظهوره عليه ، وصدور العمل منه ، كان الاسم الباطن والأول » .

« أي بتوقف وجود العبد على الله الموجد له .

« ومن حيث أن الأعمال الصادرة من العبد ظاهرة ، صادرة عن الحق باطناً ، وفي الحقيقة تحقق للحق الاسم الأول والباطن من غيب هوية العبد ، فإن الحق هو العامل به وفيه » .

ثم يقول :

« فاذا رأيت الخلق رأيت الأول والاخر والظاهر والباطن .

« وهذه معرفة لا يغيب عنها سليمان عليه السلام .

« بل هي من المُلك الذي لا ينبغي لأحد من بعده .

« يعني الظهور به في عالم الشهادة » .

« يعني أن سليمان كان عارفاً بأن الله هو العامل بسليمان وغيره ما يصدر عنه من الأعمال والتصرفات والتسخيرات .

« ولو لم يشهد أن الله عينه وجميع قواه وجوارحه ، لما تأتى له هذا السلطان والحكم الكلي » .

ثم يقول :

« فقد أوتي محمد عليه الصلاة والسلام ما أوتيه سليمان وما ظهر .

« فمكنه الله تمكين قهر من العفريت الذي جاءه بالليل ليفتك به » .

وفي نسخة : ليفضل به .

« فهمّ بأخذه وربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح فيلعب ولدان المدينة به .

« فذكر دعوة سليمان عليه السلام ، فرده خاسئاً ، فلم يظهر عليه الصلاة والسلام بما أقدر عليه ، وظهر بذلك سليمان .

« ثم قوله – مُلكاً – فلم يعم ، فعلمنا أنه يريد مُلكاً ما ، ورأيناه قد شورك في كل جزء وجزء من المُلك الذي اعطاه الله .

« فعلمنا انه ما اختص إلا بالمجموع من ذلك .

« وبحديث العفريت انه ما اختص إلا بالظهور .

« وقد يختص سليمان بالمجموع والظهور .

« ولو لم يقل صلى الله عليه وسلم في حديث العفريت « فأمكنني الله منه » .

لقلنا انه لما همّ بأخذه ذكره الله دعوة سليمان ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدره الله على أخذه ، فرده الله خاسئاً .

« فلما قال « فأمكنني الله منه » علمنا أن الله تعالى قد وهبه التصرف فيه » .

« ثم ان الله ذكره فتذكر دعوة سليمان ، فتأدب معه .

« فعلمنا من هذا أن الذي لا ينبغي لأحد من الخلق بعد سليمان ، الظهور بذلك في العموم » .

« وهذا كله ظاهر » .

« وليس غرضنا من هذه المسألة إلا الكلام والتنبيه على الرحمتين اللتين

ذكرهما سليمان في الاسمين اللذين تفسيرهما بلسان العرب الرحمن الرحيم فقيد رحمة الوجوب » .

قال الشارح :

« في قوله – فسأكتبها للذين يتقون – .

« وأطلق رحمة الامتنان في قوله – ورحمتي وسعت كل شيء – حتى الأسماء الالهية أعني حقائق النسب » .

« أي التي يمتاز بها كل اسم بخصوصية من الآخر .

« فإن للأسماء مدلولين : أحدهما الخصوصية ، والثاني الذات من حيث هي ، فإن كل اسم هو الذات عينهـــا والذات عينه ، فلا يطلق بهذا الاعتبار أنه مرحوم ، ويطلق على خصوصيته .

« أي الحقيقة المميزة أنها مرحومة ، فالمرحومة هي حقائق النسب الداخلة تحت عموم كل شيء .

« وهي على وجهين : أحدهما المعـــاني التي هي أمور اعتبارية وتعينات لا تحقق لها في الأعيان إلا بالعلم والرحمة الذاتية .

« فإنها نسب للذات كالحياة والعلم والقدرة وسائر معـــاني الصفات المنسوبة اليه .

« والثاني : هذه النسب إلى الحق الواحد الأحد كالحيية والعالمية والقادرية وأمثالها ، فهي التي وسعتها رحمة الامتنان مع العالمين » .

ثم يقول ابن العربي :

« فامتن عليها بنا ، فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الالهية و النسب الربانية » .

« أي فامتن على الأسماء بوجودنا ، يعني الكمل من نوع الانسان .

« فإن الله أكرم آدم بتعليم الأسمـــاء ، وجعله وبنيه مظاهرها ومظاهر النسب ، أي حقائق الأسماء من الصفات .

« فنحن أي الكـُمل من هذا النوع نتيجة الرحمة الذاتية الرحمانية التي هي رحمة الامتنان ، وبنا رحم الأسماء فأوجدها » .

« ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا » .

« أي لمعرفتنا أنفسنا ، فانها رحمة رحيمية وجوبية » .

« وأعلمنا أنه هويتنا ، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا لنفسه ، فما خرجت الرحمة عنه » .

« فهو الراحم والمرحوم » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« فعلى مَن امتنّ وما ثَمّ إلا هو ؟

« إلا أنه لا بد من حكم لبيان التفضيل ، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم ، حتى يقال : ان هذا أعلم من هذا ، مع أحدية العين » .

« فالتفاضل بالظهور والخفاء ، بحسب تفاضل الاستعدادات في المظاهر .

لأن العين الواحدة في كل مظهر هي أصفى وأتم استعداداً وجلاء ، كان أظهر كمالاً وجمالاً » .

« ومعناه معنى نقص تعلق الارادة عن تعلق العلم » .

« فإن العلم والتعلق بالشيء متحكم على الإرادة .

« والإرادة متحكمة على القدرة دون العكس .

« ألا ترى أن العلم ما لم يعين الإرادة لم تتعلق بالشيء ؟

« والإرادة ما لم تخصص القدرة وتحكم عليها بالتعيين لم تتعلق ؟

« ولا حكم للقدرة والإرادة على العلم .

« ويستتبع العلم الإرادة ، والإرادة للقدرة دون العكس » .

« فهذه مفاضلة في الصفات الالهية » .

« فإن العلم أكمل من الإرادة .

« فمن تجلى الله له بصفة العلم حتى انكشف له العلم اللدني كان أكمل ممن تحقق بإرادة الله لفناء إرادته في إرادة الحق ، فحصل له مقام الرضا » .

« وكمال تعلق الارادة وفضلها وزيادتها على تعلق القدرة .

« وكذلك السمع الالهي ، والبصر ، وجميع الأسماء الالهية ، على درجات في تفاضل بعضها على بعض .

« وكذلك تفاضل ما ظهر في الخلق من أن يقال هذا أعلم من هذا مع أحدية العين .

« وكما ان كل اسم إلهي اذا قدمته سميته بجميع الأسماء ونعته بها » .

« لأنك ما قدمته إلا لعمومه وشرفه فيتـــلوه تابعه كالرحمن بالنسبة إلى الرحيم » .

« كذلك فيما ظهر من الخلق فيه أهلية كل ما فوضل به » .

« أي قوة قبوله » .

« فكل جزء من العالم مجموع .

« أي هو قابل لحقائق متفردات » .

« وفي نسخة متفرقات » .

« العالم كله ، فلا يقدح قولنا : إن زيداً دون عمرو في العلم ، ان تكون هوية الحق عين زيد وعمرو ، وتكون في عمرو أكمل منه في زيد وأعلم .

« كما تفاضلت الأسماء الالهية وليست غير الحق .

« فهو تعالى من حيث هو عالم ، أعلم في التعلق من حيث هو مريد قادر .

« وهو هو ليس غيره .

« فلا تعلمه يا وليّ هنا وتجهله هنا ، وتنفيه هنا وتثبته هنا ، إلا أن أثبته بالوجه الذي أثبت نفسه .

« كالاية الجامعة للنفي والاثبات في حقه حين قال - ليس كمثله شي — فنفي — وهـــو السميع البصير — فأثبت بصفة تعم كل سامع بصير ، من حيوان .

« وما ثم إلا حيوان .

« إلا أنه بطن في الدنيا عن ادراك بعض الناس .

« وظهر في الآخرة لكل الناس .

« فانها الدار الحيوان » .

قال الشارح :

« لما تحقق أن الحق تعالى هو عين الوجود المطلق .

« وأن حياته وعلمه وسائر صفاته ، هي عين ذاته .

« فحيث كان الوجود كانت الحياة وسائر الصفات .

« إلا أن المظاهر كما ذكر متفاوتة في الصفاء والكدورة والجلاء وعدمه : أي الاعتدال وعدمه .

« فما كان أصفى وأجلى وأعدل ظهر فيها الحياة والإدراك فسمي حيواناً .

« وما كان أكدر وأصدأ وأبعد عن الاعتدال ظهر فيه الوجود الذي هو أعم أنواع الرحمة الذاتية .

« وبطن الحياة والعلم لعدم قبول المحل لظهور ذلك فلم يسم حيواناً عرفاً ، بل جماداً أو نباتاً .

« وذلك لاحتجاب أهل الحجاب عن الحقائق ، وعدم نفوذ بصائرهم في البواطن .

« أما المحققون من أهل الكشف فهم الذين أطلعهم الله على الحقائق فلم يحتجبوا عن البواطن للطف بصائرهم ، فهم يعرفون أن الكل حيوان .

« وكذلك في الآخرة عند كشف الغطاء عن أعين المحجوبين ، ورفع الستر عن أبصارهم عمت المعرفة .

« وعرف الكل أن الكل حيوان ، لأنها دار الحيوان » .

« وكذلك الدنيا .

« إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما يدركونه من حقائق العالم .

« فمن عم إدراكه كان الحق فيه أظهر في الحكم ممن ليس له ذلك العموم .

« فلا تحتجب بالتفاضل وتقول : لا يصح كلام من يقول ان الخلق هوية الحق .

« بعد ما أريتك التفاضل في الأسماء الالهية ، التي لا تشك أنت أنها هي الحق ، ومدلولها المسمى بها وليس إلا ألله » .

« فلا تحتجب : نهي ، وتقول : حال على أنها جملة اسمية ، أي وأنت تقول » .

« ثم انه كيف يقدم سليمان اسمه على اسم الله كما زعموا ، وهو من جملة من أوجدته الرحمة الرحمانية ؟

« فلا بد ان يتقدم الرحمن الرحيم ليصح استناد المرحوم ، هذا عكس الحقائق ، تقديم من يستحق التأخير ، وتأخير من يستحق التقديم ، في الموضع الذي يستحقه » .

« أي لما تحقق التفاضل بين الأسماء امتنع عادة أن يقدم سليمان اسمه على اسم الله .

« مع أن سليمان اسم إلهي أوجدته الرحمة الرحمانية مقيدة بالمادة السليمانية ، من جملة مظاهر اسم الرحمن المطلق عارف بذلك .

« فلا يقدم المقيد على المطلق ، كما لا يتقدم الرحيم على الرحمن .

« لأن الرحمن الذي أوجد سليمان ، وأظهر عموم حكم سلطته على العـــالم ، يستحق التقدم بالذات على من أوجدهم ممن سليمان من جملتهم .

« فلا يليق بكمال علم سليمان ومعرفته تأخيره ، سيما في موضع الاستحقاق الذي هو أول الكلام وصدر الكتاب ومفتتح الدعوة إلى الحق » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ومن حكمة بلقيس وعلو علمها كونها لم تذكر مَن ألقى اليها الكتاب .

« وما عملت ذلك إلا لتعلم أصحابها أن لها اتصالا الى أمور لا يعلمون طريقها ، وهذا من التدبير الالهي في المُلك .

« لأنه اذا جهـــل طريق الاخبار الواصل للملك ، خاف أهل الدولة على أنفسهم في تصرفاتهم .

« فلا يتصرفون إلا في أمر إذا وصل الى سلطانهم عنهم يأمنون غائلة ذلك التصرف .

« فلو تعين لهم على يدي مَن تصل الأخبار إلى ملكهم لصانعوه وأعطوا له الرشا حتى يفعلوا ما يريدون ، ولا يصل ذلك الى ملكهم ، فكان قولها – 'ألقي إليّ كتاب كريم – ولم تسمّ من ألقاه سياسة منها أورثت الحذر منها في أهل مملكتها وخواص مدبريها .

« وبهذا استحقت التقدم عليها » .

« هذا غني عن الشرح » .

« وأما فضل العالم من الصنف الانساني على العالم من الجنّ بأسرار التصريف وخواص الأشياء ، فمعلوم بالقدر الزماني .

« فان رجوع الطرف الى الناظر به أسرع من قيام القائم من مجلسه .

« لأن حركة البصر في الادراك الى ما يدركه أسرع من حركة الجسم فيما يتحرك منه .

« فان الزمان الذي يتحرك فيه البصر عين الزمان الذي يتعلق بمبصره ، مع بعد المسافة بين الناظر والمنظور .

« فان زمان فتح البصر ، زمان تعلقه بفلك الكواكب الثابتة .

« وزمان رجوع طرفه اليه عين زمان عدم ادراكه .

« والقيام من مقام الانسان ليس كذلك ، أي ليس له هذه السرعة .

« فكان « آصف بن برخيا » أتم في العمل من الجنّ .

« وكان عين قول « آصف بن برخيا » عين الفعل في الزمان الواحد .

« فرأى في ذلك الزمان بعينه سليمان عليه السلام عرش بلقيس مستقراً عنده .

« لئلا يتخيل أنه أدركه وهو في مكانه من غير انتقال » .

قال القاشاني :

« عالِم الإنس » هو آصف بن برخيا .

« وهو مع فنون علمه كان مؤيداً من عند الله ، معانا من عالم القدرة بإذن الله وتأييده .

« أعطاه الله التصرف في عالم الكون والفساد ، والهمة ، والقوة الملكوتية .

« فتصرف في عرش بلقيس بخلع صـــورته عن مادته في سبأ ، وإيجاده عند سليمان .

« فإن النقل بالحركة أسرع من ارتداد طرف الناظر اليه محال .

« إذ النقل زماني ، وحركة البصر نحو المبصر آنية لوقوع الإبصار في فتح البصر في وقت واحد .

« فإذن ليس حصول عرش بلقيس عند سليمان بالنقل من مكان إلى مكان .

« ولانكشاف صورته على سليمان في مكانه ، لقوله — فلمـــا رآه مستقراً عنده — .

« فلم يبق إلا أنه كان بالتصرف الإلهي ، من عالم الأيدي والقدرة .

« فكان وقت قـــول آصف — أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك — عين وقت انعدام العرش في سبأ ، وإيجاده عند سليمان .

« وهذا التصرف أعلى مراتب التصرف .

« الذي خصّ به من شاء من عباده ، وأقدره عليه .

« وما كان ذلك إلا كرامة لسليمان .

« حيث وهب الله تعالى لبعض أصحـــابه ، وأحد خاصته ، هذا التصرف العظيم .

« وهو من كمال العلم بالخلق الجديد .

« فإن الفيض الوجودي ، والنفس الرحماني ، دائم السريان والجريان في الأكوان كالماء الجاري في النهر .

« فانه على الاتصال ، يتجدد على الدوام .

« فكذلك تعينات الوجود الحق ، في صورة الأعيان الثابتة في العلم القديم ، لا يزال يتجدد على الاتصال .

« فقد يخلع التعيين الأول الوجودي عن بعض الأعيان في بعض المواضع ، ويتصل به الذي يعقبه في موضع آخر .

« وما ذلك إلا ظهور العين العلمي في هذا الموضع ، واختفاؤه في الموضع الأول ، مع كون العين بحاله في العلم وعالم الغيب .

« ولما كان آصف عارفاً بهذا المعنى معتنى به من عند الله ، مخصوصاً منه بالتصرف في الوجود الكوني .

« وقد آثر الله تعالى سليمان بصحبته ، وآزره وقواه بمعونته إكراماً له ، وإتماماً لنعمته عليه في تسخير الجنّ والإنس والطير والوحوش .

« وإعلاء للقدرة ، وإعظاماً لملكه ، سلط الغيرة على آصف ، فغار على سليمان وملكه ، الذي آتاه ، من أن يتوهم الجنّ أن تصرفهم الذي أعطاهم الله أعلى وأتم من تصرف سليمان وذويه .

« فأعلمهم أن الملك والتصرف الذي أعطى على بعض أصحاب سليمان ، من خوارق العادات ، أعلى وأتم من الذي خص الجنّ به ، من الأعمال الشاقة الخارجة عن قوة البشر ، والخارق للعادة بحسب الفكر والنظر .

« واعلم أن الجن أرواح قوية ، متجسدة في أجرام لطفية .

« يغلب عليها الجوهر الناري والهوائي .

« كما غلب علينا الجوهر الأرضي والمائي .

« وللطافة جواهر أجسامهم ، وقوة أرواحهم ، أقدرهم الله على التشكل بالأشكال المختلفة .

« والتمكن من حركات سريعة ، وأعمال عن وسع البشر متجاوزة .

« كالملائكة ، إلا أنها سفلية ، والملائكة علوية ، والله أعلم .

« والزمان في قول الشيخ قدس سره فإن الزمان الذي يتحرك فيه البصر عين الزمان الذي يتعلق بمبصره .

« وفي قوله : فان زمان فتح البصر زمان تعلقه بفلك الكواكب الثابتة ، وكل زمان استعمله في النص المتقدم بمعنى الآن الذي أوردناه في الشرح ، وهو الزمان الذي لا يقبل الانقسام في الخارج لصغره ويقبله في الوهم المسمى بالزمان الحاضر ، لا الذي هو نهاية الماضي وبداية المستقبل ، فان ذلك عدمي وهذا وجودي ، ولفظ الآن يطلق عليها بالاشتراك اللفظي » .

« ولم يكن عندنا باتحاد الزمان انتقال » .

« أي لم يكن أن يكون مع اتحاد زمان قول آصف ورؤية سليمان عرش بلقيس مستقراً عنده وعدمه في سبأ انتقال ، إذ لا بد للانتقال من زمان يتخلل وجوده في سبأ وكونه عند سليمان » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« وإنما كان اعدام وإيجاد من حيث لا يشعر بذلك أحداً إلا من عرفه ، وهو قوله تعالى – بل هم في لَبْس من خلْق جديد – » .

« وهو أي عـــدم الشعور بإعدامه وإيجاده معنى قوله تعالى – بل هم في لَبْس من خَلْق جديد – » .

« ولا يمضي عليهم وقت لا يرون فيه ما هم راءون له » .

« بيان « لَبْس » أي يتخلل زمان بين عدمه ووجوده حتى يروا فيه عدمه ، بل كان وجوده متصلاً لم يحسوا بعدمه وقتاً ما .

« وكذلك في كل شيء من العالم ، لا يحسون وقتـــاً بعدَم ، بين الخلقين المتعاقبين ، بل يرون وجوداً واحداً كما ترى » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« وإذا كان هذا كما ذكرناه ، فكان زمان عدمه أعني عدم العرش من مكانه عين وجوده عند سليمان » .

« أي عين زمان وجوده » .

« من تجديد الخلْق مع الأنفاس ، ولا علم لأحد بهذا القدر.

« بل الانسان لا يشعر به من نفسه أنه في كل نفس لا يكون ثم يكون » .

قال القاشاني :

« لاقتضاء إمكانه ، مع قطع النظر عن موجده عدمه كل وقت على الدوام .

« واقتضاء التجلي الدائم الذاتي وجوده ، بل اقتضـــاء التجليات الفعالية

الأسمائية على الاتصال دائماً تكوينه بعد العدم في زمان واحد ، من غير قبلية ولا بعدية زمانية يحس بها ، بل عقلية معنوية .

« لأن هناك عدماً دائماً مستمراً باقتضاء العين الممكنة .

« ووجوداً دائماً مستمراً بتجلي الذات الأحدية .

« وشؤونات وتعينات متعاقبة مع الأنفاس ، باقتضاء التجلي الأسمائي .

« فإن التشخصات المعينة لهذا الوجود المعين تتجدد مع الآنات » .

ثم يقول الشيخ الأكبر :

« ولا تقل ثم تقتضي المهلة » .

« أي ولا تقل ان لفظة ثم تقتضي الزمان المتراخي » .

« فليس ذلك بصحيح .

« وإنما هي تقتضي تقدم الرتبة العلية عند العرب في مواضع مخصوصة .

« كقول الشاعر (كهز الرديني ثم اضطرب) .

« وزمان الهزّ عين زمان اضطراب المهزوز بلا شك .

« وقد جاء بثم ولا مهلة .

« كذلك تجديد الخلْق مع الأنفاس .

« زمان العدم عين زمان وجود المِثل .

« كتجديد الأعراض في دليل الأشاعرة .

« فان مسالة حصول عرش بلقيس من أشكل المسائل إلا عند مَن عرف ما ذكرناه آنفاً في قصته .

« فلم يكن لآصف من الفضل في ذلك إلا حصول التجديد في مجلس سليمان عليه السلام » .

قال الشارح :

« يعني أن حصول التعينات المتعاقبة ، وظهور الوجود في صـــورة عرش بلقيس ، أو ظهور صورة العرش في وجود الحق ، أو تعاقب الوجدات بتعاقب التجليات كلها للحق .

« وليس لآصف إلا حصول التجديد في مجلس سليمان .

« وذلك أيضاً إن كان يقصد منه ، فهو للحق في مادة آصف .

« ولكن لسان الارشاد والتعليم يقتضي بما رسمه الشيخ قدس سره » .

« ثم يكشف الشيخ الأكبر ... سر المعجزة فيقول :

« فما قطع العرش مسافة .

« ولا زويت له أرض .

« ولا خرقها ، لمن فهم ما ذكرناه .

« وكان ذلك على يدي بعض أصحاب سليمان ، ليكون أعظم لسليمان عليه السلام ، في نفوس الحاضرين ، من بلقيس وأصحابها .

« وسبب ذلك كون سليمان هبة الله لداود .

« من قوله تعالى – ووهبنا لداود سليمان – .

« والهبة : عطاء الواهب ، بطريق الانعام ، لا بطريق الجــزاء الوفاق والاستحقاق .

« فهو النعمة السابغة ، والحجة البالغة ، والضربة الدامغة » .

وفي ذلك يقول القاشاني :

« فهو أي سليمان لداود هو النعمة .

« فإن الخلافة الظاهرة الإلهية قـــد كملت لداود ، وظهرت أكمليتها في سليمان .

« وأما علمه فقوله – ففهّمناها سلـــيمان – مع نقيض الحُكم ، أي حكم داود » .

« وكلا آتاه الله حُكماً وعلماً .

« فكان علم داود علماً مؤتى آتاه الله .

« وعلم سليمان علم الله في المسألة .

« إذ كان هو الحاكم بلا واسطة .

« فكان سليمان ترجمان حق في مقعد صدق .

« كما أن المجتهد المصيب لحُكم الله الذي يحكم به الله في المسألة لو تولاها بنفسه ، أو بما يوحي به لرسوله له أجران .

« والمخطىء لهذا الحكم المعين له أجر واحد .

« مع كونه علماً وحُكماً .

« فأعطيت هذه الأمة المحمدية رتبة سليمان عليه السلام في الحُكم » .

« أي بالقرآن والحديث » .

« ورتبة داود في الحكمة » .

« بالاجتهاد » .

« فما أفضلها من أمة .

« ولما رأت بلقيس عرشها مع علمها ببعد المسافة ، واستحالة انتقاله في تلك المدة عندها ، قالت — كأنه هو — وصدقت بما ذكرناه من تجديد الخلق بالأمثال ، وهو هو » .

« أي بالحقيقة السرية ، والعين المعينة العلميـــة ، لا بحسب الوجود المشخص » .

« وصدق الأمر .

« كما أنك في زمان التجديد ، عين ما أنت في الزمن الماضي .

« ثم انه من كمال علم سليمان التنبيه الذي ذكره في الصَّرْح - فقيل لها ادخلي الصرح — .

« وكان صرحاً أملس ، لا أمت فيه ، من زجاج — فلمـــا رأته حسبته لُجّة — أي ماء — فكشفت عن ساقيها — حتى لا يصيب الماء ثوبها .

فنبهها بذلك على أن عرشها الذي رأته من هذا القبيل .

« **وهذا غاية الانصاف** » .

« يعني ان تقييد الوجود في الصورة العرشية عند سليمان ، لم يكن اعادة العين .

« ولا نقل الوجود المشهود في سبأ إلى مجلس سليمان .

« فإن ذلك محال .

« بل اعدام لذلك الشكل في سبأ .

« وإيجاد لمثله عند سليمان .

« من علم الخلق الجديد .

« فهو إيجاداً لمِثل لا إيجاداً لعين .

« وذلك إيهام وتنبيه لها بإظهار المِثل .

« فإن الصرح موهم للرائي أنه ماء صاف .

« كما أن المِثل من الصورة العرشية موهم أنه عين العرش الذي كان في سبأ .

« فنبهها سليمان بقوله — انه صرح ممرد من قوارير — **على** أن قولها — كأنه هو — صادق .

« إذ ليس هو هو ، بل كأنه هو .

« وكذا سؤال سليمان عنها — **أهكذا عرشك** — ولم يقل : أهذا عرشك ، لعلمه بالأمر في نفس الأمر » .

« **فانه أعلمها بذلك اصابتها في قولها — كأنه هو —** .

« **فقالت عند ذلك – رب اني ظلمتُ نفسي** » .

« أي اعترفت بظلم نفسي بتأخير الإيمان الى الآن » .

« **وأسلمت مع سليمان** » .

« أي إسلام سليمان » .

« **لله رب العالمين – فما انقادت لسليمان وإنما انقادت لرب العالمين** .

« **وسليمان من العالمين** .

« **فما تقيدت في انقيادها** .

« **كما لا تتقيد الرسل في اعتقادها في الله** .

« **بخلاف فرعون ، فانه قال – رب موسى وهارون – وإن كان يلحق بهذا الانقياد البلقيسي من وجه ، ولكن لا يقوى قوته** » .

« يعني قيد فرعون إيمانه بقوله – آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل – .

« وإنما نسب اليه الشيخ الايمان برب موسى وهارون ،لأن إيمان بني اسرائيل انما كان برب موسى وهارون ، فأسند اليه مجازاً .

« وإلا لم يقل فرعون – رب موسى وهارون – وقيد ايمانه بإيمان بني اسرائيل .

وأطلقت بلقيس بقولها – رب العالمين – .

« وإن كان يلحق تقييده اطلاقها من وجه ، لأن رب موسى وهارون رب العالمين .

« لأن كلا منهما اتبع اسلامه اسلام نبيئه .

« ولكن لا يقوى اسلامه قوة اسلامها ، لدلالة اسلامها على كال اليقين ، حين قرنت اسلامها بإسلام سليمان دون اسلامه .

« فإن اسلامه كان في حال الخوف ورجا النجاة من الغرق بإسلامه » .

ثم يثني الشيخ الأكبر ، على اسلام بلقيس فيقول :

« وكانت أفقه من فرعون في الانقياد لله .

« وكان فرعون تحت حكم الوقت حيث قال – آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل – .

« فخصص ، وإنمـــا خصص لما رأى السحرة قالوا في إيمانهم – رب موسى وهارون – .

« فكان اسلام بلقيس اسلام سليمان .

« إذ قالت – مع سليمان – فتبعته .

« فما يمر بشيء من العقائد ، إلا مرت به معتقدة ذلك .

« كما كنا نحن على الصراط المستقيم الذي الرب تعالى عليه ، لكون نواصينا في يده .

« ويستحيل مفارقتنا اياه .

« فنحن معه بالتضمين .

« وهو معنا بالتصريح » .

قال القاشاني .

« انما كان فرعون تحت حكم الوقت حيث كان الوقت وقت غلبة بني اسرائيل ونجاتهم وغرقه .

« فخصص ايمانه بإيمانه تقليداً ورجاء للخلاص كخلاصهم لا يقيناً .

« فكأنه لما رأى الدولة معهم مال اليهم ، وقايس التخصيص على تخصيص السحرة وأخطأ في القياس كإبليس .

« فإن ايمان السحرة يتقيد بإيمان النبيين ، والتابع يجب أن يتقيد ايمانه بإيمان نبيّه ، وإنه قيد ايمانه بإيمان بني اسرائيل فكم بين الايمانين ؟

« وأيضاً كان تخصيص السحرة بعد التعميم في قولهم — آمنا برب العالمين — واستشعارهم أن القبط لغاية تعمقهم في الضلال يحسبون رب العالمين فرعون .

« وبين اسلامه وإسلام بلقيس بون بعيد لأن المعية في قولها دالة على أنها تعتقد اعتقاد سليمان مطلقاً في جميع الأشياء .

« كما نحن بالتبعية مع الرب تعالى على الصراط المستقيم لكون نواصينا بيده فهو على الصراط المستقيم ، فامتنع انفكاكنا عنه فنحن على صراط ربنا بالتبعية .

« وهو معنى قوله بالتضمين : أي على الصراط المستقيم في ضمن كونه عليه لأنه الكل ونحن كالجزء من الكل ، وهو آخذ نواصينا معنا بالتصريح » .

« فانه قال تعالى — وهو معكم أينما كنتم — .

« ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيث ما مشي بنا من صراطه .

« فما أحد من العـــالم إلا على صراط مستقيم ، وهو صراط الرب تبارك وتعالى .

« وكذا علمت بلقيس من سليمان فقالت – لله رب العالمين – وما خصصت عالماً من عالَم » .

« لأنها علمت أن سليمان مع الرب ، والرب مع الكل بأسمائه .

« فيكون سليمان مع الكل لكونه مع الله بجميع أسمائه .

« ولهذا سخّر الكل بأسماء الله » .

ثم يقول الامام الأكبر :

« وأما التسخير الذي اختص به سليمان عليه السلام ، وفضل به غيره ، وجعله الله له من المُلك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فهو كونه عن أمره .

« فقال – فسخّرنا له الريح تجري بأمره – .

« فما هو من كونه تسخيراً فان الله يقول في حقنا كلنا من غير تخصيص – وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً – وقد ذكر تسخير الرياح والنجوم وغير ذلك ، ولكن لا عن أمرنا بل عن أمر الله .

« فما اختص سليمان أن عقلت إلا بالأمر ، من غير جمعية ولا همّة .

« بل بمجرد الأمر .

« وإنما قلنا ذلك لأنا نعرف أن أجرام العالم تنفعل لهمم النفوس ، إذا أقيمت في مقام الجمعية .

« وقد عاينا ذلك في هذا الطريق .

« فكان من سليمان مجرد التلفظ بالأمر لمن أراد تسخيره .

« من غير همّة ولا جمعية » .

« يعني أن التسخير المختص بسليمان هو التسخير بمجرد أمره .

« لا بالهمة والجمعية وتسليط الوهم .

« ولا بالأقسام العظام ، وأسماء الله الكرام .

« والظاهر أنه كان له أولاً بأسماء الله ، والكلمات التامات ، والأقسام .

« ثم تمرن حتى بلغ الغاية ، وانقادت له الخلائق .

« وأطاعه الجنّ والإنس والطير والوحش وغيرها .

« بمجرد الأمر والتلفظ بما يريد بها ، من غير جمعية ولا تسليط وهم وهمة ، عطاء من الله تعالى وهبة .

« وكان أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

« ويحتمل أن يكون ذلك اختصاصاً له من الله بذلك ابتلاء » .

ثم ينقلنا الشيخ الأكبر ... الى أفق أعلى ... فيقول :

« واعلم أيدنا الله وإياك بروح منه .

« أن مثل هذا العطاء إذا حصل للعبد ، أي عبد كان ، فانه لا ينقصه ذلك من مُلك آخرته ، ولا يُحسب عليه .

« مع كون سليمان عليه السلام طلبه من ربه تعـــالى ، فيقتضي ذوق الطريق » .

« وفي نسخة : ذوق التحقيق » .

« ان يكون قد عجل له ما ادخر لغيره ويحاسب به إذا أراده في الآخرة .

« فقال الله له – هذا عطاؤنا – ولم يقل الك ولا لغيرك -. فامنُن – أي أعط – او أمسك بغير حساب – .

« فعلمنا من ذوق الطريق ان سؤاله عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه .

« والطلب إذا كان عن الأمر الالهي ، كان الطالب له الأجر التام على طلبه » .

« لكونه مطيعاً لربه في ذلك ممتثلا لأمره » .

« والباري تعالى ان شاء قضى حاجته فيما طلب منه .

« وإن شاء أمسك .

« فان العبد قد وفى ما أوجب الله عليه من امتثال أمره ، فيما سأل ربه فيه .

« فلو سأل ذلك من نفسه عن غير أمر ربه له بذلك لحاسبه به .

« وهذا سار في جميع ما يسأل فيه الله تعالى .

« كما قال لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم – وقل رب زدني علماً – .

« فامتثل أمر ربه ، فكان يطلب الزيادة من العلم ، حتى كان اذا سيق له لبن يتناوله علما .

« كما تاول رؤياه لما رأى في النوم أنه أتى بقدح لبن فشربه وأعطى فضله عمر بن الخطاب ، قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم .

« وكذلك لما اسرى به أتاه الملك باناء فيه لبن وإناء فيه خمر ، فشرب اللبن ، فقال له الملك : أصبت الفطرة ، أصاب الله بك أمتك .

« فاللبن متى ظهر فهو صورة العلم ، فهو العلم تمثل في صورة اللبن .

« كجبريل تمثل في صورة بشر سويّ لمريم » .

« انما أورد هذه المسألة التمثيلية ها هنا لأن الحكمة التي كان في بيانها عن تجديد المِثل ، مع الإلباس في الخلق الجديد ، هي تمثل المعاني والحقائق ، في صورة ما كان من الوجود الظاهر بها .

« أو بالعكس على الذوقين من مشربي قرب الفرائض والنوافل ، فكانت من تتمة ذلك البحث ونهايته » .

« ولما قال عليه الصلاة والسلام « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » نبه على أن كل ما يراه الانسان في حياته الدنيا انما هو بمنزلة الرؤيا للنائم فلا به من تأويله » .

« مضمون الحديث أن الحياة نوم .

« وفحواه أن كل ما يرى من المحسوسات المشهورة كالرؤيا للنائم خيال .

« فكما أن الرؤيا معاني متمثلة في الخيـــال ، وحقائق متجسدة تحتاج إلى تأويل .

« فكذلك كل ما يتجسد ويتمثل لنا في هذا العالم ، معان وحقائق تمثلت في عالم المثال ، ثم في عالم الحس .

« فعلى أهل الذوق والشهود تأويله ، إما بالعبور على تلك الحقائق التي تنزلت حتى تمثلت في الصورة المحسوسة التي وصلت اليها .

« وإما الى لوازم هذه الصورة ولوازم لوازمها .

« فإن الوجود الساري في الأكوان ، سرى من كل صورة إلى ما يناسبها ويلازمها ، ثم الى عوارضها ولواحقها وتوابعها وتوابع توابعها .

« واعلم أن هذه الصور والأشكال والهيئات والأحوال التي نشاهدها بما في العالم ، آيات نصبها الله لنا ، وأعلام أظهرها ، أمثـــلة لحقائق وصور ومعان معقولة أزلية ، هي شؤونه تعالى ، وتعيناتها الذاتية – وما يعقلها إلا العالمون – بالله ، الذين يعرفون تأويلها ، ويعبرون عن صورها إلى حقائقها ، وهو الموفق » .

ثم يكشف الامام الأكبر ... سراً جميلاً ... فيقول :

« انما الكون خيال .

« وهو حق في الحقيقة .

« والذي يفهم هذا ، حاز أسرار الطريقة » .

« أي الكون من حيث الصـــور والهيئات والأشكال ، فظاهر في وجود الحق .

« فمن لم يحتجب عن الحق بهذه الصور ، ورأى الحق المتجلي فيها ، المتحول في الصور ، فهو المحق الواقف على أسرار الطريقة » .

« فكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم له لبن قال « اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » .

« لأنه كان يراه صورة العلم .

« وإذا قدم اليه غير اللبن قال « اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه

« فمن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن أمر إلهي ، فان الله لا يحاسبه به الدار الاخرة .

« ومن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي، فالأمر فيه الى الله ان شاء حاسبه ، وإن شاء لم يحاسبه .

« وارجو من الله في العلم خاصة ان لا يحاسب به .

« فان أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة من العلم ، ع أمره لأمته .

« فان الله يقول – لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة – .

« وأي اسوة أعظم من هذا التأسي ، لمن عقل عن الله ؟

« ولو نبهنا على المقام السليماني على تمامه .

« لرأيت أمراً يهولك الاطلاع عليه .

« فان أكثر علماء هذه الطريقة جهلوا حالة سليمان ومكانته .

« وليس الأمر كما زعموا » .

قال القاشاني :

« أي حسبوا أنه عليه السلام اختار مُلك الدنيا ، وأنه ينقصه ذلك مُلك الآخرة .

« وهو أعظم مما اعتقدوا في حقه ، وما قدروا حق قدره .

« فإنه عليه السلام كان في أكملية رتبة الخلافة .

« وإن الوجود الحق المتعين به ، وفيه ظهر ، في أكمل صـــوره الإلهية والرحمانية .

« فهو أكمل مجلى لله .

« مع قيامه بحق العبدانية .

« وكمال إيقانه بذلك .

« فإنه عليه السلام في عين شهود ربه على هذا الكمال .

« وظهوره بأسمائه العظمى ، كان يعمل بيديه .

« ويأكل بكسبه .

« ويجالس الفقراء والمساكين ، ويفتخر بذلـــك ويقول : مسكين جالس مسكيناً .

« والله الموفق » .

* * *

كان هذا ... ما قاله الإمام الأكبر ... عن سليمان ... عليه السلام ...

« وما قاله الامام الرباني القاشاني ... شرحاً عليه ...

« فماذا أنا قائل ... بعد ما قالوا ؟!.

ليس من الأدب ... ان يتكلم مثلي في حضرتهم !..

ولقد آتينا ... داوود وسليمان ...
عِلما ؟!...

كي تستطيع ...

أن تدرك ... علم سليمان ... انظر في هذه المرآة ...

يتلألأ فيها ... أمام عينيك ... قوله عزّ ثناؤه :

« ففهمّناها سليمانَ .

« وكُلا آتينا حُكماً وعِلماً » ...

وفيها يتعالى ... قوله تعالى :

« ولقد آتينا داوود وسليمان عِلماً .

« وقالا الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين .

« وورث سليمانُ داوود وقال يا أيها الناس عُلـّمنا منطق الطير .

« وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين » .

فإذا نظرت ثمّ نظرت ... في المرآة ... رأيت قوله :

« ووهبنا لداوود سليمانَ .

« نعم العبد انه أوّاب » .

ورأيت قوله :

« قال رب اغفر لي .

« وهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي انك أنت الوهاب » .

وتلألأت في المرآة ... أمام ناظريك ... تلك الجميلة جمالاً ليس كمثله جمال :

« هذا عطاؤنا .

« فامنن أو أمسك بغير حساب » !..

فإذا نظرت الى المرآة ملياً ... تشعشعت أمام عينيك ... تلكم الآيات ... بحراً لُجيّا !..

هو بحر ... علم سليمان ... وفهم سليمان ... وفضل الله على سليمان !..

ولست أدري ... أنّى لمثلي ... أن يتحدث عن علم نبي كريم عظيم ... اسمه سليمان بن داوود ؟..

كيف أستطيع الحديث عن نبي ورث نبياً ... في كل علومه ... ثم زاده الله علوماً فوق علوم أبيه ؟!.

وما أدراك ما علوم أبيه ؟!.

ثم ما أدراك ما علوم سليمان ... وكيف تكون ... وقد حيزت له علوم داوود بالوراثة ... وآتاه الله بعدها علوماً جديدة ؟!.

الحق ... أني لا أدري ... كيف أستطيع الحديث ... عن علم مَن هذا شأنه ؟!.

اللهم أمددني ... وزدني ... علماً ...

وفهمني ... وزدني ... فهْماً ...

فإن من اقترب ... من مقامات الأنبياء ... احترق !..

شأنهم ... بعيد ... بعيد ... عن ادراكنا ...

فكيف بأمثالنا ؟!.

ما جئتهم ... إلا وأحسست أني أصغر ... من أن أتكلم عنهم !..

إنهم ... أعلى ... من عقولنا عُلواً وكبراً !..

وليس يعيبني أن أعلن عجزي عن إدراك علوم سليمان ...

فإن العجز عن درك الإدراك ادراك ... كما يقولون ...

لقد وقفت مشلولاً تماماً أمام هذا الباب ... باب علوم سليمان ...

رأيتني أمام ... بحر لُجّيّ ... يغشاه موج ... من فوقه موج ... من فوقه سحاب ...

وتذكرت ما قاله القاشاني ... عن سليمان :

« فإنه عليه السلام كان في أكملية رتبة الخلافة .

« وإن الوجود الحق المتعين به ، وفيه ظهر ، في أكمل صـــوره الإلهية الرحمانية .

« فهو أكمل مجلى لله » !..

فقلت : ويحي ... أنّى لي السبح ... في بحر سليمان ؟!.

وإنما اليك اشارات ... الى عظمة المقام السليماني ...

داوود . . بكل عظمته ... وبكل علومه ... ورثه سليمان ...

ثم زاده الله علماً ... على علم ...

زاده صبياً ... « ففهّمنا سليمان ... وكلاً آتينا حُكماً وعلماً » !..

وزاده نبيّـــاً ... « وورث سليمان داوود ... وقال يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير » ... زيادة على ما ورثه عن داوود ... نموذج مما زاده الله ...

ليس منطق الطير وحده ... وإنما زاده ما لا سبيل إلى ادراكه ... فه
عنه سليمان بقوله « وأوتينا من كل شيء » ... أي اعلموا يا أيها الناس ...
الله آتاني ما لا سبيل لكم إلى ادراكه !..

وإنما ذلك كان كذلك ... لأنه من المُلك الذي لا ينبغي لأحد من بعده.
وأعظم مُلك الأنبياء ... مُلك العلم ...

الأنبياء ... ملوك العلماء !..

علمهم كُلّي ...

الكلمة ... من النبي ... تصدر على مستوى ما كان وما سيكون ...

« وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » .

لو استوى علماء البشر صفاً واحداً ... يحاولون فهم جملة واحدة من ك
النبي ... ما فهموا منها إلا قليلاً !..

« وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

ذلك أن علم الأنبياء ... كُلّي ...

وعلم العلماء ... جُزئي ... نسبي ...

ومن هنا كان اختلاف العلماء ... في فهم ما صدر عن الأنبياء ...

ومن هنا ... وجب علينا التسليم التام ... للأنبياء ...

لأننا جميعاً أطفال صغار ... بالنسبة اليهم ...

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم .
« ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت .

« ويسلموا تسليماً » !..

ويسلموا تسليماً ؟!.

أيها الناس جميعاً ... أيها العلماء ... سلموا للأنبياء تسليماً تاماً !..

كما ينبغي للقطرة ... أن تندمج في البحر ...

كذلك ينبغي للناس... أن يندمجوا في بحر الأنبياء... ويسلموا تسليماً؟.

فإذا قال النبي ... وجب الاستماع ...

وإذا أمر ... وجبت الطاعة ...

وإذا نهى ... وجب الانتهاء ...

لأن في اتباعه ... الحياة ...

وفي عصيانه ... الموت ...

تماماً ... إذا فصلت قطرة ماء ... وعزلتها وحدها ... بعيداً عن البحر ... جفّت ... وانتهت وماتت ...

وإذا رددتها ... الى بحرها ... اندمجت في البحر ... واتسع وجودها ... اتساع البحر كله !..

فالذين ضادوا الأنبياء ... انما ضادوا أنفسهم ... وكانوا أتعس التعساء ...

« والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم » !..

ثم ماذا ؟!

فلما عجز النــاس ... عن ادراك علم الأنبياء ... ضرب الله لهم في كتابه أمثالاً ... ليفهموا منها شيئاً من علومهم ...

فمن الأمثال ... أو من نماذج علم سليمان ...

مَثَل . . . **« قالتْ نملة »** . . . لنعلم أن من علوم سليمان . . . علم منطق النمل ...

ومَثَـل ... « ما ليَ لا أرى الهدهد » ... لنعلم أن من علوم سلـــيمان ... منطق الهدهد ...

ومَثَـل ... أيكم يأتيني بعرشها » ... « قال عفريت مِن الجنّ » ... لنعلم أن من علم سليمان ... منطق الجنّ[1] ...

ومَثَـل ... أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » ... لنعلم أن من علم أسرار التسخير !..

ومَثَـل ... « ادخلي الصرح » ... لنعلم أن من علم سليمان ... أن يأمر الجنّ ... فيتطاوعوا فوراً لأمره ... ويعملوا له ما يشاء !..

ومَثَـل ... « ففهّمناها سليمان » ... لنعـــلم اذا عجزنا عن فهم علم سليمان ... أنه رأساً من الله ... وليس عن تحصيل دراسة وسهر الليالي !..

وهكذا ... أمثال ... على سبيل المثال ...

لا على سبيل الحصر ...

تقريباً إلى أفهامنا ... وتنزلاً إلى عقولنا ...

أما الإحاطة بعلم سليمان كله ... فلا سبيل لنا اليها ...

لأن الإحاطة تقتضي الموازنة ... وعلمنا لا يوازي علم سليمان ... ومن هنا عجزنا عن ادراك علم سليمان ... لأن الأدنى لا يدرك الأعلى ...

ولعل الإبهـــام في قوله « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » فيه إشارة الى ذلك ...

علماً ؟!. يكفيكم أن تعلموا أننا آتيناهما علماً ... أما مدى هذا العلم ... فلا سبيل لكم اليه !..

هذا شيء قليل ... عما ورد في كتاب الله العزيز ... عن علم سليمان ...

فماذا عما ورد عند أهل الكتاب عن علم سليمان ؟!.

---

(١) راجع تفصيل هذه الأمثال ... في الفصول السابقة من الكتاب .

سليمان ... الحكيم ؟!...

رؤيا . . .

رآها ... النبي الملك سليمان ... وهو في مطلع توليه المُلك ...
وردت عند أهل الكتاب ...

قالوا :

« ... تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً ...

« وقال الله : اسألْ ، ماذا أُعطيك ؟

« فقال سليمان : انك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة ، حسبما سار أمامك بأمانة وبرّ واستقامة قلب معك ، فحفظت له هذه الرحمة العظيمة، وأعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم .

« والآن أيها الرب إلهي ، أنت ملكت عبدك مكان داود أبي ، وأنا فتى صغير ، لا أعلم الخروج والدخول .

« ... فاعط عبدك قلبـــاً فهيماً ، لأحكم على شعبك ، وأميز بين الخير والشر ، لأنه من يقدر ان يحكم على شعبك العظيم هذا .

« فحسن الكلام في عيني الرب ، لأن سليمان سأل هذا الأمر .

« فقال له الله : من أجل انك قد سألت هذا الأمر .

« ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة .

« ولا سألت لنفسك غنى .

« ولا سألت أنفس اعدائك .

« بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحُكم .

« هو ذا قد فعلتُ حسب كلامك .

« حتى انه لم يكن مثلك قلبك .

« ولا يقوم بعدك نظيرك .

« وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله ، غنى وكرامة .

« حتى انه لا يكون رجل مثلك في الملوك ، كل أيامك .

« فان سلكت في طريقي ، وحفظت فرائضي ووصاياي ، كما سلك داود ابوك ، فاني اطيل في ايامك .

« فاستيقظ سليمان ، وإذا هو حُلم » ...

وكما هو معلوم .. فإن رؤيا الأنبياء حق ...

والذي نلتقطه هنا قوله « أعطيتك قلباً حكيماً » ...

وهو يؤيد ما ذهبنا اليه في الفصل السابق ... حيث قيل : « أعظم مُلك الأنبياء ... مُلك العلم » ...

فإذا أعطاه الله ... قلباً حكيماً ... فقد أعطاه قلباً عليماً ... لأن الحكمة قمة العلم ... وهما متلازمان ... « وكلا آتينا حُكماً وعلماً » ...

ثم ماذا عند أهل الكتاب عن حكمة سليمان ؟!

قالوا :

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً .

« ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطىء البحر .

« وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق ، وكل حكمة مصر .

« وكان أحكم من جميع الناس ...

« وكان صيته في جميع الأمم حواليه .

« وتكلم بثلاثة آلاف مَثَل .

« وكانت نشائده ألفاً وخمساً .

« وتكلم عن الأشجار ، من الأرز الذي في لبنان ، الى الزوفا النابت في الحائط .

« وتكلم عن البهائم .

« وعن الطير[1] .

« وعن الدبيب .

« وعن السمك .

« وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان .

---

(١) يتطابق مع ما جاء بالقرآن العظيم : « عُلّمنا منطق الطير » !..

« من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته » .

وماذا نفهم من هذا ؟!.

نفهم أن سليمان تكلم مع البهائم ، ومع الطير ، ومع الدواب ، ومع الأسماك في البحار ...

وهذا ثابت له... في نصوص القرآن الكريم !..

ثم ماذا عندهم ؟!

قالوا :

« وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب .

« فأتت لتمتحنه بمسائل .

« فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً ...

« وأتت الى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها .

« فأخبرها سليمان بكل كلامها .

« لم يكن أمر مخفياً عن الملك لم يخبرها به .

« فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان ...

« لم يبق فيها روح بعد .

« فقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن امورك وعن حكمتك .

« ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي .

« فهو ذا النصف لم أخبر به .

« زدت حكمة وصلاحاً على الخبر الذي سمعته !..

فماذا نفهم من هذا ؟!.

نفهم منه ... أن بلقيس لما عاينت بنفسها وتكلمت وجهـاً لوجه مع سليمان ... تأكدت أن ما سمعته عن حكمته أقل كثيراً ممـا لمسته من تلك الحكمة !..

ما من شيء من أخبارها ... إلا أخبرها به !..

ما من شيء يدور برأسها ... أو بقلبها ... إلا كاشفها به !..

انها أمام رجل خارق ... لم تشهد مثله قط في الملوك !..

انها أمام نبيّ ... يُوحى اليه !..

والأنبياء إذا تحدثوا ... صمت السامعون ... ولو كانوا ملوكاً !..

ثم ماذا عند أهل الكتاب ... من أمثال سليمان ... وحكمة سليمان ؟!

عندهم في سِفر « أمثال » الشيء الكثير من حكمة سليمان ...

وكما اخترنا في « حياة داوود » شيئاً من المزامير ...

فإني أختار لك في « حياة سليمان » نماذج من الـ « أمثال » ... لتكتمل لك الصورة ... عن شخصية سليمان ...

وإليك ... المختار ... من هذه الأنوار ...

من الاصحاح الثالث

« طوبى للانسان الذي يجد الحكمة ، والرجل الذي ينال الفهم :

« لأن تجارتها خير من تجارة الفضة ، وربحها خير من الذهب الخالص .

« هي أثمن من اللآلىء ، وكل جواهرك لا تساويها .

« في يمينها طول أيام ، وفي يسارها الغنى والمجد .

« طرقها طرق نِعَم ، وكل مسالكها سلام .

« هي شجرة حياة لممسكيها ، والمتمسك بها مغبوط .

« الرب بالحكمة أسس الأرض .

« اثبت السماوات بالفهم .

« بعلمه انشقت اللجج ، وتقطر السحاب ندى » .

« لا تحسد الظالم ، ولا تختر شيئاً من طرقه .

« لأن الملتوى رجس عند الرب .

« أما سره فعند المستقيمين .

« لعنة الرب في بيت الشرير ، لكنه يبارك مسكن الصدّيقين .

« كما أنه يستهزىء بالمستهزئين ، هكذا يعطي نعمه للمتواضعين .

« الحكماء يرثون مجداً ، والحمقى يحملون هواناً » .

* * *

من الاصحاح الرابع

« اسمعوا أيها البنون تأديب الأب ، واصغوا لأجل معرفة الفهم .

« لأني أعطيكم تعليما صالحا ، فلا تتركوا شريعتي .

« فاني كنتُ ابناً لأبي ، غضاً ، ووحيداً عند أمي .

« وكان يُريني ويقول لي : ليضبط قلبك كلامي .

« احفظ وصاياي فتحيا .

« اقتن الحكمة .

« اقتن الفهم .

« لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي .

« لا تتركها فتحفظك ، أحببها فتصونك .

« الحكمة هي الرأس .

« فاقتن الحكمة ، وبكل مقتناك اقتن الفهم .

« ارفعها فتعليك .

« تمجدك اذا اعتنقتها .

« تعطي رأسك اكليل نعمة .

« تاج جمال تمنحك » .

* * *

من الاصحاح السادس

« ... هذه الستة يبغضها الرب ، وسبعة هي مكرهة نفسه .

« عيون متعالية .

« لسان كاذب .

« أيد سافكة دماً بريئاً .

« قلباً ينشىء أفكاراً رديئة .

« أرجل سريعة الجري الى السوء .

« شاهد زور يفوه بالأكاذيب وزارع خصومات بين اخوة » .

* * *

من الاصحاح العاشر

« حكيم القلب يقبل الوصايا ، وغبي الشفتين يُصرع .

« من يسلك بالاستقامة يسلك بالأمانِ ، ومن يُعوج طُرُقه يُعرّف » .

* * *

من الاصحاح الحادي عشر

« موازين غش مكرهة الرب ، والوزن الصحيح رضاه .

« تاتي الكبرياء فيأتي الهوان .

« ومع المتواضعين حكمة .

« المحتقر صاحبه هو ناقص الفهم .

« أما ذو الفهم فيسكت .

« الساعي بالوشاية يُفشي السر ، والأمين الروح يكتم الأمر .

« حيث لا تدبير يسقط الشعب .

« أما الخلاص فبكثرة المشيرين » .

* * *

من الاصحاح الثاني عشر

« المرأة الفاضلة تاج لبعلها .

« من يشتغل بحقله يشبع خبزاً .

« أما تابع البطالين فهو عديم الفهم .

« الرجل الذكي يستر المعرفة .

« وقلب الجاهل ينادي بالحمق .

« يد المجتهدين تسود .

« أما الرخوة فتكون تحت الجزية .

« الغم في قلب الرجل يُحنيه ، والكلمة الطيبة تفرحه .

« الصدّيق يهدي صاحبه .

« أما طريق الأشرار فتضلهم .

« الرخاوة لا تمسك صيداً .

« أما ثروة الانسان الكريمة فهي الاجتهاد » .

* * *

من الاصحاح الثالث عشر

« المساير الحكماء يصير حكيماً ، ورفيق الجهال يضر » .

* * *

من الاصحاح الرابع عشر

« حكمة المرأة تبني بيتها ، والحماقة تهدمه بيدها .

« تاج الحكماء غناهم .

« تقدم الجهال حماقة .

« في كثرة الشعب زينة الملك .

« وفي عدم القوم هلاك الأمير .

« البر يرفع شأن الأمة ، وعار الشعوب الخطية .

* * *

من الاصحاح السادس عشر

« للانسان تدابير القلب ، ومن الرب جواب اللسان .

« كل طرق الانسان نقية في عيني نفسه .

« والرب وازن الأرواح .

« الرب صنع الكل لغرضه ، والشرير أيضاً ليوم الشر .

« إذا أرضت الرب طرقُ انسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه .

« القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق .

« قلب الانسان يفكر في طريقه ، والرب يهدي خطوته .

« قبّان الحق وموازينه للرب .

« ومن يتوكل على الرب فطوبى له » .

* * *

من الاصحاح السابع عشر

« لقمة يابسة ومعها سلامة ، خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام .

« تاج الشيوخ بنوا البنين ، وفخر البنين آباؤهم .

« الابن الجاهل غم لأبيه ، ومرارة للتي ولدته » .

* * *

من الاصحاح الثامن عشر

« كلمات فم الانسان مياه عميقة .

« نبع الحكمة نهر مندفق .

« من يجد زوجة يجد خيراً ، وينال رضًى من الرب .

« بتضرعات يتكلم الفقير .

« والغنيّ يجاوب بخشونة » .

* * *

من الاصحاح التاسع عشر

« الغني يُكثر الاصحاب ، والفقير منفصل عن قريبه .

« كثيرون يستعطفون وجه الشريف ، وكلٌ صاحبٌ لذي العطايا .

« كل اخوة الفقير يبغضونه .

« فكم بالحريّ أصدقاؤه ، يبتعدون عنه .

« البيت والثروة ميراث من الاباء .

« أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب .

« من يرحم الفقير يَقرض الرب ، وعن معروفه يجازيه .

« اسمع المشورة ، واقبل التأديب ، لكي تكون حكيماً في آخرتك .

« في قلب الانسان أفكار كثيرة ، لكن مشورة الرب هي تثبيت .

« زينة الانسان معروفة ، والفقير خير من الكذوب » .

* * *

من الاصحاح العشرين

« خبز الكذب لذيذ للانسان ، ومن بعد يمتلىءُ فمه حصى .

« رُبَّ مُلك مُعجل في أوله .

« أما آخرته فلا تبارك .

« الرحمة والحق يحفظان المَلك ، وكرسيه يُسند بالرحمة .

« فخر الشبان قوتهم ، وبهاء الشيوخ الشيب » .

* * *

من الاصحاح الحادي والعشرين

« قلب المَلك في يد الرب ، كجداول مياه ، حيثما شاء يُميله .

« كل طرق الانسان مستقيمة في عينيه ، والرب وازن القلوب .

« فعل العدل والحق ، أفضل عند الرب من الذبيحة .

« من يسد اذنيه عن صراخ المسكين ، فهو ايضاً يصرُخ ولا يُستجاب .

« الفرَس مُعدّ ليوم الحرب ، اما النصرة فمن الرب .

* * *

من الاصحاح الثاني والعشرين

« الغني والفقير يتلاقيان .

« صانعهما كليهما الرب .

« ربّ الولد في طريقه ، فمتى شاخ ايضاً لا يحيد عنه .

« لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ، ولا تسحق المسكين في الباب .

« لأن الرب يُقيم دعواهم ، ويسلب سالبي أنفسهم .

« ارأيت رجلا مجتهداً في عمله .

« امام الملوك يقف ، لا يقف امام الرعاع » .

* * *

من الاصحاح الثالث والعشرين

« لا يحسدن قلبك الخاطئين ، بل كن في مخافة الرب اليوم كله .

« لأنه لا بد من ثواب ، ورجاؤك لا يخيب .

« اسمع لأبيك الذي ولدك ، ولا تحتقر امك إذا شاخت » .

* * *

من الاصحاح الخامس والعشرين

« مجد الله إخفاء الأمر ، ومجد الملوك فحص الأمر .

« السماء للعلو ، والأرض للعمق ، وقلوب الملوك لا تُفحص .

« اجعل رجلك عزيزة في بيت قريبك ، لئلا يمل منك فيبغضك .

« عين مُكدرة وينبوع فاسد الصّديق المنحني امام الشرير .

« اكل كثير من العسل ليس بحسن ، وطلب الناس مجد انفسهم ثقيل .

مدينة منهدمة بلا سور ، الرجل الذي ليس سلطان على روحه » .

* * *

من الاصحاح التاسع والعشرين

« كبرياء الانسان تضعه ، والوضيع الروح ينال مجداً .

« خشية الانسان تضع شَرَكاً ، والمتكل على الرب يُرفع » .

* * *

كان هذا ... شيئاً مما سجّل أهل الكتاب ... من حكمة سليمان ...

والذي ينبغي أن يتقرر في العقول ... أن حكمة سليمان وعلمه ... شيء وراء ذلك ... لا تدركه العقول ... ولا سبيل إلى تسجيله ...

لأن سليمان كنبيّ ... لحكمته وعلمه ... وجهان ...

وجه بينه وبين ربه ... وهذا لا سبيل لنا إلى ادراكه أو تسجيله ...

ووجه بينه وبين الناس ... وهو ما يتنزل فيه الى مستوى النـــاس ... فيحدثهم ويوجههم ويعلمهم ... وهذا الوجه هو ما يمكن تسجيل بعضه لا كله ...

وهذه الأمثال ... التي اخترنا بعضها ... هي من هذا الوجه ...

أما سليمان الذي قال الله في شأنه « ولقد آتينا داوود وسليمان علماً » ... فشيء فوق الإدراك ...

سليمان ... الذي هـــو « أكمل مجلى لله » ... فإن حكمته وعلمه أعلى من عقولنا ... ويستحيل أن يستطاع تسجيل ... مثل ذلك العلم !..

معجزة ... موت ... سليمان ؟!...

قال ...

عزّ ثناؤه :

« فلما قضينـــا عليه الموتَ ما دلّهم على موته إلا دابّةُ الارض تأكل مِنساته .

« فلما خــرّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المُهين » .

قيل في تفسير الآية الكريمة :

« يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمّى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة .

« فإنه مكث متوكئاً على عصاه – وهي مِنسأته – مدة طويـــلة نحواً من سنة .

« فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرضة ، ضعفت وسقط إلى الأرض .

« وعُلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة .

« وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب ، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك » .

وقيل في تفاصيل التفسير :

« كان نبي الله سليمان إذا صلى رأى شجرة بين يديه .

« فيقول لها : ما اسمك ؟

« فتقول : كذا .

« فيقول : لأي شيء أنتِ ؟

« فإن كان لغرس غُرست ، وإن كانت لدواء كُتبت .

« فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه .

« فقال لها : ما اسمك ؟

« قالت : الخروب .

« قال : لأي شيء أنتِ ؟

« قالت : لخراب هذا البيت .

« فقال سليمان عليه السلام : اللهم عمّ على الجن موتي ، حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب .

« فنحتها عصا ، فتوكأ عليها ، حولاً ميتاً ، والجن تعمل .

« فأكلتها الأرضة .

« فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حــــولاً في العذاب المهين » .

ومما قيل في التفسير كذلك :

« كان سليمان عليه السلام يتحرر في بيت المقدس .

« السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر .

« فيدخل فيه ، ومعه طعامه وشرابه .

« فأدخله في المرة التي توفي فيها .

« فكان بدء ذلـــك أنه لم يكن يصبح فيه ، إلا يُنبت الله ببيت المقدس شجرة .

« فيأتيها ، فيسألها ، فيقول : ما اسمك ؟

« فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا .

« فإن كانت لغرس غرسها .

« وإن كانت تنبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك .

« حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة .

« فسألها : ما اسمك :

« قالت : الخروبة .

« قال : لأي شيء نبتِ ؟

« قالت : نبت لخراب هذا المسجد !

« قال سليمان عليه السلام : ما كان الله ليخربه وأنا حيّ !.. أنتِ التي على وجهك هلاكي ، وخراب بيت المقدس !

« فنزعها ، وغرسها في حائط له .

« ثم دخل المحراب .

« فقام يصلي ، متكئاً على عصاه .

« فمات .

« ولم تعلم به الشياطين

« وهم في ذلك يعملون له ، يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم .

« وكانت الشياطين تجتمع حـــول المحراب ، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه .

« فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألست جلداً ، ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟

« فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر .

« فدخل شيطان من أولئك ، فمرّ .

« ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في المحراب إلا احترق .

« فمرّ ، ولم يسمع صوت سليمان .

« وكان عليه السلام ، قد سقط ميتاً .

« فخرج ، فأخبر الناس أن سليمان قد مات .

« ففتحوا عليه فأخرجوه .

« ووجدوا مِنسَأته — وهي العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرَضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ؟!

« فوضعوا الأرَضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة .

« ثم حسبوا على ذلك النحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة !..

« فمكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملا .

« فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم .

« ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له .

« وذلك قول الله عز وجل (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنسَأته فلما خــرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) .

« تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم » .

ثم ماذا ؟!

ومن ألطف ما قيل في التفسير :

« في قوله تبارك وتعــالى (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنسأته) .

« قال سليمان عليه السلام لملك الموت : اذا أُمِرت بي فأعلمني .

« فأتاه فقال : يا سليمان ، قد أُمِرت بك ؛ قد بقيت لك سويعة .

« فدعا الشياطين ، فبنوا عليه صرحاً من قوارير .

« وليس له باب .

« فقام يصلي .

« فاتكأ على عصاه .

« ولم يصنع ذلك فراراً من مَلِك الموت .

« والجن تعمل بين يديه ، وينظرون اليه ، يحسبون أنه حيّ !..

« فبعث الله عز وجلّ دابة الأرض ...

« فدخلت فيها وأكلتها .

« حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها .

« فخرّ . . . ميتاً .

« فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا .

« فذلك قوله تعالى (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنسَأته) .

« قيل ... أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر .

« وذكر غير واحد من السلف نحواً من هذا والله أعلم » .

ثم ماذا ؟!

ثم ماذا قال صاحب الفواتح الإلهية في تفسير الآية الكريمة ؟!

« **فلما قضينا عليه** » على سليمان عليه السلام .

« **الموت** » فأخبرناه بموته ... فدعا نحونا بأن نعمّي على الجن أمر موته ، حتى يتموا عمارة البيت ... فأعميناهم موته إلى أن قد تمت ثم ...

« **ما دلّهم** » وما هداهم وأشعرهم .

« **على موته** » وما أخبرهم عنه .

« **إلا دابة الأرض** » أي الأرَضة .

«**تأكل مِنسَأته** » أي عصاه ... التي هو متكيء عليها .

« **فلما** » أكلتها ... وانكسرت عصاه .

« **خرّ** » وسقط عليه السلام على الأرض فحينئذ قد ...

« **تبينت الجن** » وظهر دونهم ... وانكشف أمر موته عليهم ... وعلموا بعد ما التبس الأمر عليهم في موته ... بخروره وسقوطه ... فظهــــر حينئذ للإنس أن الجن لم يكونوا من المطلعين على عموم الغيوب ، على ما زعموا في حقهم ... لأنهم لو كانوا مطلعين الغيب لعلمـــوا موته أول مرة ... ولم يعلموا مع ...

« **ان** » أي أن الجن .

« **لو كانوا يعلمون الغيب** » مطلقاً ... لعلموا أمر موته حين وقوعه ولو علموا . . .

« **ما لبثوا** » وما استقروا .

« **في العذاب المهين** » الذي هو العمل المتضمن لأنواع المتاعب والمشاق ... مع انهم لم يرضوا به ... لكنهم لبثوا وعملوا سنة بعد موته ... فظهر انهم ما كانوا عالمين بالغيوب كلها » ...

ثم ماذا ؟!

ثم ماذا قال صاحب لطائف الإشارات في اشارات الآية ؟!

« كان سليمان – عليه السلام – يتكىء على عصاه وقتما قُبض .

« وبقي على ذلك الوصف مدة .

« والشياطين كانوا مسخرين يعملون ما أمرهم به ، ويتصرفون على الوجه الذي رسم لهم ، وينتهون عما زجرهم .

« فقد كانوا يتوهمون أنه حيّ .

« ثم إن الأرَضة أكلت عصاه ، فخرّ سليمان .

« فعلم الشياطين عندئذ أنه مات .

« فرجعوا إلى أعمالهم الخبيثة .

« وانفك عنهم ما كانوا عليه من التسخير .

« وهكذا المَلك الذي يقوم مُلكه بغيره ، ويكون استمساكه بعصا ...

« فإنه إذا سقط سقط بسقوطه .

« ومَن قام بغيره زال بزواله » .

ثم ماذا بعد هذا ؟ :

انما أسهبنا عمداً في ايراد جوانب متعددة ... مما قيل في تفسير الآية ... لتكتمل الخطوط العريضة . . . لذلك الحادث العجيب . . . والمنظر الإلهي الفريد ... مشهد معجزة موت ... النبي الملك ... سليمان عليه السلام !..

والآن في تصوير وإخراج حديث عصري ... يناسب ذوق الإنسان المعاصر ... كيف كان موت سليمان ، وكيف كانت المشاهد ساعة بساعة ؟!.

نقول والله أعلم بما حدث

كان من عادة سليمان عليه السلام ... الاعتكاف في بيت المقدس ... للتعبد وشكر الله على نعمه ... كلما سنحت له الفرصة ... أن يتفرغ للاعتكاف ...

وفي ذات يوم نوى سليمان أن يعتكف ببيت المقدس ...

فأناب عنه مَن يقوم بتصريف شئون الدولة ...

وأمَرَ فأعدوا له ما يلزمه أثناء اعتكافه عاماً كاملا ... يطرح فيه المُلك وراء ظهره ... ويتوجه الى ربه ... يناجيه ... ويسأله ... وهو يعطيه ... ويعطيه . . .

وللأنبياء مع ربهم ... أوقات لا تسعهم فيها أرض ولا سماء ...

لحظات يتجلى الله فيها عليهم ... بما شاء من العطايا والهدايا ...

وهي عندهم أحلى وأغلى وأعلى ... من مُلك الدنيا ... مهما أوتوا منها ... ولو كان مُلكهم كمُلك سليمان . . . الموصوف « **مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي** » ...

وماذا يساوي مُلك الدنيا . . . بالنسبة إلى لحظة واحدة ... مع الله ؟!

انه لا شيء في الوجود ... يعدل لحظة أنس بالله ... ومن ذاق عرف ...

أعدوا لسليمان في بيت المقدس ما يلزمه أثناء فترة اعتكافه ...

وما يلزم الأنبياء ... من ذلك لقيمات يقمن صلبهم ... وجرعات ماء تُذهب ظمأهم ...

ثم هم بعد ذلك ... يُطعمون من عند الله ...

« إني لستُ كهيئتهم « إني أُطعَمُ وأُسقَى » !..

ودخل النبي الملك إلى معتكفه في بيت المقدس ...

وفي ذات يوم جاءه مَلكُ الموت فقال له : يا سليمان ... قد أُمرت بك ... قد بقيت لك سويعة !..

ونادى سليمان ربه ... ونداء الأنبياء ليس مثله نداء : اللهم عَمِّ على الجن أمر موتي ... حتى يتبين للناس أنهم لا يعلمون الغيب !..

ثم انتقل سليمان إلى محراب من محاريب بيت المقدس ... إلى محراب من قوارير ...

الى محراب من زجاج شفاف ... يُرى ظاهره من باطنه ... وباطنه من ظاهره ...

وكانت فكرة النبي العظيم من ذلك ... أن يكون مرئياً للجميع ... للإنس والجن ...

الإنس لينتظموا في أعمالهم ...

والجن ليستمروا في ما هم فيه من شاق الأعمال ...

وفي لحظة القضاء ... « **فلما قضينا عليه الموت** » ... قام سليمان يصلي ... ويذكرنا بهذا المشهد قوله « **فنادته الملائكة وهو قائم يُصلي في المحراب** » ...

إلا أن المنادي هنا ... كان مَلك الموت ...

وكان سليمان متكئاً على عصاه ... وهو قائم يصلي في المحراب ...

وعصا سليمان ... عصا معلومة للجميع ... لها تقاليدها ... وشكلها ... ورهبتها ورعبها في النفوس ...

وما زال هذا التقليد قائمـــاً في آداب الملوك ورؤساء الدول في العالم ... فللملوك عصيهم المصنوعة من نفيس المعادن ... وللقائد الأعلى للقوات المسلحة عصاه ... وهكذا ... لها تقاليدها ولها بروتوكولاتها ...

فكيف بعصا سليمان ... النبي ... الملك ... الذي مُلكه لا ينبغي لأحد من بعده ؟!.

قام سليمان في المحراب يصلي ... متوكئاً على عصاه ...

وبينما هو كذلك « **قضينا عليه الموت** » ...

سليمان الآن قدْ مات ...

فالمفروض والأمر الطبيعي ... ما دام قد مات ... أن يسقط على الأرض ...

إلا أنه لم يسقط ... ولم يختل توازنه ...

وها هنا المعجزة ؟!.

مكث سليمان ... قائمـــاً يصلي في المحراب ... متوكئاً على عصاه ... عاماً كاملاً ...

تقول النواميس الطبيعية ... يتحتم أن يخرّ سليمان فوراً ... بمجرد موته ... وأن تسقط عصاه فوراً ...

ولكن سليمان ظل واقفاً ... يصلي ... متوكئاً على عصاه .. عاماً كاملاً ... وهو ميت ...

فكيف هذا ... في منطق العقول ؟!.

منطق العقول ... مشلول ...

إذاً هي معجزة ... والمعجزة وراء العقول ... تصدر رأساً من القدرة ... والقدرة لا تدركها العقول ...

عاماً كاملاً ... هكذا سليمان ...

مشهد إلهي ... جميل جليل ...

والناس موقنون ... أن النبي الملك ... ما زال في اعتكافه ... ويمكن لمن كان في شك ... أن ينظر اليه قائماً يصلي في المحراب !..

فالمحراب من زجاج شفاف ... ينكشف للعيون ما يجري فيه ...

والجنّ ... ملايين الشياطين المسخرة ... في البنـــاء والتشييد ... والزخارف ... والغوص في البحار ... كلهم دائبون على أعمالهم ... يخافون بطشة سليمان ... إذا كفّوا عن أعمالهم ...

ومَن كان في شك من الجن ... يمكنه أن ينظر إلى محراب القوارير ... يجد سليمان قائماً يصلي في المحراب !..

وكان هؤلاء الشياطين ... قد أشاعوا وأذاعوا في الناس ... أن سليمان لا ينفرد بعلم الغيب وحده ... وإنما هم كذلك يعلمون الغيب ... وأن ما يذكره

سليمان للناس من الغيوب .. إنما هو مما يُلقيه اليه الجن ... فيلقيه إلى الناس... فيتوهم الناس أنه وحي أوحى اليه ... وما هـو بوحي ... إن هو إلا من حديث الجنّ ...

واتبع كثير من ضعاف العقول ما يذيعه الجن في الناس ... **« واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان »** ...

فلما أيقن سليمان أنه ميت ... سأل الله أن يُعمّي على الجن موته ... حتى يعلم الجميع أن الجن لا يعلمون الغيب ... كما يوهمون الناس ... وحتى يُفصل في تلك القضية ... فصلاً عملياً أمام الجميع ... فيظهر كذب الجن ... ويتأكد عند الناس ... أن ما يخبر به الأنبياء من الغيوب ... إنما هو عن وحي يوحى اليهم من الله ... وليس مما يلقيه الجن اليهم ...

فإذا ظهر للناس أن الجن مكثوا عاماً كاملاً ... لا يعلمون بموت سليمان ... فمن باب أولى هم لا يعلمون من الغيب شيئاً !..

نعود إلى المشهد الإلهي الجميل ...

سليمان قائماً يصلي في المحراب ... متوكئاً على عصاه ...

والأيام تمر ... حتى مضى عليه عام كامل وهو هكذا ...

ومنذ اللحظة التي مات فيها سليمان ...

بعث الله إلى عصاه ... حشرة قارضة ... آنست من عصاه استقراراً ... أغراها أن تقرضها وتأكل منها ...

فدأبت كل يوم على قرض شيء منها ...

حتى إذا مرّ عام عليه ... كانت الأرَضة قد نخرت عصاه ... وأكلت جوفها ... فضعفت العصا ... عن حمل الجسد المستند اليها ...

فخرّ سليمان ... وسقط الجسد فورا على الأرض ...

« فلما خرّ » فلما سقط ...

وفوراً ... وبمجرد سقوط الجسد ... وسقوط العصا ...

تدافع المسئولون في الدولة ... الى المحـــراب ... ينظرون ماذا حدث للملك ؟ !

وعيون الناس دائماً على ملوكهم ... يحصون عليهم حركاتهم وسكناتهم ...

وانتشر الخبر ... في المملكة من أقصاها إلى أدناها ...

ثم انتقل إلى العالم كله ... وصار سليمان حديثاً !..

وجعل المسئولون يفحصون أسباب الوفاة ... فآنسوا أن الجسد ليس بالطري الندي ... كما هو حال الأجساد التي ماتت منذ لحظات ...

وإنما حال الجسد يؤكد أن الوفاة حدثت من زمن بعيد ...

فرجعوا الى العصا ... فوجدوا الأرضة بداخلها ... تقرض فيها ...

فتركوها في شأنها ... وراقبوا قرضها يوماً كاملاً ... فوجدوها قرضت شيئاً يسيراً ...

فحسبوا حسابهم ... بنسبة ما قرضت في يوم واحد ... فتبين لهم أن النخر الذي نخرته في العصا ... لا يتم إلا في عام كامل !..

فتأكد لهم أن سليمان فارق الحياة منذ عام !..

وأنه مكث قائماً هكذا ... ميتاً ... عاماً كاملاً !..

فصدر بيان رسمي من الدولة ... أن المَلك ... مات منذ عام ... وأن

قدرة الله ... أمسكته هكذا طيلة العام ... فلما نخرت الأرَضة عصاه ... خرّ ... وسقطت العصا ...

فكبّر المؤمنون ربهم تكبيراً ...

وكان يوماً ينتظره الجن جميعاً ...

ها قد مات سلـــيمان ... المسلط عليهم ... الذي لا يستطيعون لأمره عصياناً ...

لقد استعادوا حريتهم ... وتوقف سلطان سليمان عليهم ...

فانفضوا جميعاً ... يعيشون في الأرض كما شاءوا ...

فلا سليمان بعد اليوم !..

وكان يوماً أخزى الله فيه الجن خزياً عظيماً ...

وتحدث الناس بالحدَث ... وصار الحديث أقاصيص ...

وقالوا : لو كان الجن كما زعموا لنـــا ... يعلمون الغيب ... لعلموا بموت سليمان ... منذ سنة ...

ولكنهم عجزوا عن علم ما هو أمام أعينهم ... فهم عن عـــلم الغيب أشد عجزاً !..

ولو كانوا يعلمون الغيب ... ما جهـــلوا موت سليمان وهو قائم أمام أعينهم ... وما استمروا يكدحون وهم كارهون ...

« فلما خرّ تبينت الجنّ .

« أن لو كانوا يعلمون الغيب .

« ما لبثوا في العذاب المُهين » !..

إلا أن الجن لم يكن يعنيهم أن يظهر كذبهم للناس ... فهم يعلمون أنهم كثيراً ما يكذبون ... ولا جديد في هذا بالنسبة اليهم ...

وإنما الذي يعنيهم الآن ... انهم تفككوا من سلطان سليمان عليهم ... واستردوا حريتهم ...

فانطلقوا وهم يهتفون ... لا سليمان بعد اليوم ؟..

قالوا :

« وكانت الأيام التي مَلك فيها سليمان ... أربعين سنة .

« ثم اضطجع سليمان مع آبائه .

« ودُفن في مدينة داود أبيه » !..

فهرس